مقدمة شيخنا المبارك
يحيي بن علي الحجوري

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أما بعد:

فقد جعل الله عز وجل البركة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فاستفاد منها أمم لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل، وكان من أنفع وأروع كتب شيخ الإسلام المختصرة في العقيدة الصحيحة هذا الجزء العظيم، الذي احتوى مع صغر حجمه على أهم معتقد أهل السنة والجماعة مدعمًا كل فصل منه بحشد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو الآثار السلفية فصار هذا الجزء الذي جمعه شيخ الإسلام من بعد العصر إلى قبيل غروب الشمس مرجعًا هامًا نافعًا ينهل منه العلماء وطلبة العلم النافع في كل قطر ومصر، وكان ممن استفاد وأفاد منه دراسة وتدريسًا وعناية وتحقيقًا:

أخونا الجليل الشيخ أبوعبدالرحمن جميل بن عبدة بن قايد الصلوي حفظه الله وزادنا وإياه من فضله ولقد تصفحت ما كتبه من الحواشي على «الواسطية» مع شرح الهراس رحمه الله فرأيته أتى عليها بتحقيقات مفيدة ورصعها بنقولات مناسبة بديعة تمس الحاجة إليها طلاب العلم. فجزى الله أخانا الشيخ جميلًا خيرًا.

كتبه: يحيى بن علي الحجوري

في الرابع من شهر ربيع الثاني لعام ستة وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام.

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ربِّ الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله إلى الخلق أجمعين ﷺ.

أما بعد:

فإنَّا نحمد الله ظاهرًا وباطنًا، حالًا وقالًا، على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[إبراهيم:٣٤]، ومن أعظم هذه النعم نعمة الإسلام، ونعمة سلوك طريق سيد الأنام، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ونعمة طلب العلم النافع، والعمل به، والدعوة إليه، فنسأل الله أن يرزقنا تذكر هذه النعم وغيرها، وشكر المنعم علينا بها.

وكما يقال: شرف العلم بشرف المعلوم، فأشرف العلوم علم العقيدة؛ لأنه يدرس ما يجب اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وجزى الله علماءنا -المتقدمين والمتأخرين- خير الجزاء، فقد قاموا بخدمة هذا العلم، وألفوا فيه المؤلفات الكثيرة، ومن هذه المؤلفات هذا الكتاب الذي بين أيدينا: «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرحه للعلامة محمد خليل هراس -رحم الله الجميع- وهو من أحسن الشروح، وقد اشتهر وانتشر في أوساط طلبة العلم، فرأيت الحاجة ماسة إلى خدمته والاعتناء به؛ فاستخرت الله في ذلك؛ فانشرح صدري لذلك؛ فقمت بتخريج وتحقيق أحاديث الكتاب وآثاره، والتعليق على بعض المواضع منه.

وكنا في الطبعة الأولى قد اعتمدنا مقابلة بعض الناس متن «الواسطية» على الطبعة التي هي ضمن «مجموع الفتاوى»، ومخطوطة تيسرت له - على ما فيها من السقط والأغلاط - كما ذكر - ، فأثبتنا في الحاشية بعض ما أثبته مما يتغير به المعنى كثيرًا، ثم تيسرت لنا مخطوطتان: إحداها مغربية وصلت إليَّ عن طريق شيخنا يحيى حفظه الله، وثانيتها من مكتبة الحرم المدني وصلت إليَّ عن طريق أخينا أبي عمرو الحجوري حفظه الله.

ثم قوبل المتن على هاتين المخطوطتين، وعلى الطبعة التي هي ضمن «مجموع الفتاوى»، وكان الرمز إلى المغربية بـ(أ)، وإلى الصادرة من مكتبة الحرم بـ(ب)، و«مجموع الفتاوى» بـ(م)، وهذا مما تميزت به هذه الطبعة عن سابقتها، ومما تميزت به أيضًا تصحيح ما وجد من تصحيف في الطبعة الأولى، وإضافة بعض الزيادات، وتنسيق الكتاب، وجعل فهرسة في آخره.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل لله عز وجل، ثم لمن أعانني على خير، وعلى خدمة هذا الكتاب.

وأسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، كما نفع بأصله وشرحه، ونسأله أن يعيننا على مواصلة طلب العلم حتى الممات، وأن يعيذنا من فتنة المحيا والممات، وأن يوفقنا لخدمة كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه: أبوعبدالرحمن جميل بن عبدة بن قايد الصلوي

اليمن - صعدة - دار الحديث بدماج حرسها الله

وسائر بلاد المسلمين، ورحم الله مؤسسها

وهو شخينا مقبل بن هادي الوادعي

وحفظ من يقوم عليها من بعده

* * * * *

سبب تسمية هذه العقيدة بالواسطية

قال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٤):

كان سبب كتابتها: أَنَّه قدم عليَّ من أرض واسط بعضُ قضاة نواحيها، شيخٌ يقال له: (رضي الدين الواسطي) من أصحاب الشافعي، قدم علينا حاجًّا، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد، وفي دولة التتر من غلبة الجهل، والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فأستعفيت من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة؛ فخذ بعض عقائد أئمة السنة.

فألَحَّ في السؤال وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة؛ في مصر والعراق؛ وغيرهما. اهـ المراد.

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمَّد، عبدالله ورسوله، وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلما كانت «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أجمع ما كُتِبَ في عقيدة أهل السنة والجماعة، مع اختصارٍ في اللفظة، ودقَّة في العبارة، وكانت تحتاج في كثير من مواضعها إلى شرح يجلِّي غوامضها، ويزيح الستار عن مكنون جواهرها، ويكون مع ذلك شرحًا بعيدًا عن الإسهاب والتطويل والإملال بكثرة النُّقول، حتى يلائم مدارك الناشئين، ويعطيهم زبدة الموضوع في سهولة ويسر؛ فقد استخرتُ الله تبارك وتعالى، وأقدمتُ على هذا العمل؛ رغم كثرة الشواغل، وزحمة الصوارف؛ سائلًا الله عز وجل أن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله خالصًا لوجهه؛ إنه قريبٌ مجيبٌ.

محمد خليل هرّاس

(**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، [وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا]**[(١)]).

/ ش/ اختلف العلماء في البسملة؛ هل هي آية من كل سورة افتُتِحت بها؟ أو هي آية مستقلة أُنزلت للفصل بها بين السور وللتبرُّك بالابتداء بها؟

والمختار: القول الثاني.

واتَّفقوا على أنها جزء آية من سورة النمل، وعلى تركها في أول سورة براءة؛ لأنها جُعِلَت هي والأنفال كسورة واحدة.

والباء في (**بسم**) للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف، قدَّره بعضهم فعلًا، وقدَّره بعضهم اسمًا، والقولان متقاربان، وبكلٍّ ورد القرآن؛ قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[العلق:١]، وقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾[هود:٤١].

ويحسن جعل المقدَّر متأخرًا؛ (لأن الاسم أحق بالتقديم، ولأن تقديم الجار والمجرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متَبَرَّكًا به، والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنى تعيينًا له أو تمييزًا).

واختُلِفَ في أصل اشتقاقه، فقيل: إنه من السمة؛ بمعنى: العلامة. وقيل: من السمو. وهو المختار[(٢)]. وهمزته همزة وصل.

---

(١) زيادة من (أ).

(٢) وهذا الذي صححه القرطبي والبغوي في تفسيريهما.

قال القرطبي: اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين:

فقال البصريون: هو مشتق من السُّمُو وهو العلو والرفعة، فقيل: اسم؛ لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به. وقيل: لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره. وقيل إنَّما سمي الاسم اسمًا لقوته على قسمي =

وليس[١] الاسم نفس المسمَّى؛ كما زعم بعضهم، فإن الاسم هو اللفظ الدَّالُّ، والمسمَّى هو المعنى المدلول عليه بذلك الاسم.

= الكلام: الحرف والفعل، والاسم أقوى منهما بالإجماع؛ لأنه الأصل؛ فَلِعُلُوِّهِ عليهما سُمِّيَ اسمًا، فهذه ثلاثة أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من السِّمَة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له. فأصل اسم على هذا (وَسيمْ). والأول اصح؛ لأنه يقال في التصغير سُمي، وفي الجمع أسماء؛ والجمع والتصغير يردَّان الأشياء إلى أصولها؛ فلا يقال: وُسَم ولا أوسام.

ويدل على صحته أيضًا فائدة الخلاف... فإنَّ من قال الاسم مشتق من العُلُو يقول: لم يزل الله سبحانه موصوفًا قبل وجود الخلق، وبعد وجودهم، وعند فنائهم، ولا تأثير لهم في أسمائه ولا صفاته؛ وهذا قول أهل السنة.

ومن قال الاسم مشتق من السمة يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء وصفاتٍ، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة؛ وهذا قول المعتزلة، وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة، وهو أعظم في الخطأ من قولهم: إن كلامه مخلوق تعالى الله عن ذلك. اهـ

(١) هذه المسالة مسألة الاسم والمسمى: بدعة كما نص على ذلك شيخ الإسلام في «الحموية» وقد ذكر أبو جعفر الطبري كما في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية أن القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف فيها قول لأحدٍ من الأئمة. اهـ

ولم تعرف عن أحدٍ من السلف، وإنما شُهر النزاع فيها بعد الأئمة بعد أحمد وغيره، وإن كان لا بد من قول فيها فما ذكره ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» ص(٥٤٢)، حيث قال: فإن قيل: فالاسم عندكم هو المسمى أو غيره؟

قيل: طالما غلط الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى.

فإذا قلت: قال الله كذا، واستوى الله على عرشه، وسمع الله، ورأى وخلق فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، والرحمن وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة، ونحو ذلك، فالاسم هاهنا للمسمى، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال؛ فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه اسمًا! أو حتى سمَّاه خلقه بأسماء من صنعهم! فهذا من أعظم الضلال والإلحاد. اهـ

وقد نقله ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (١/ ١٠٢)، مقرًا له.

وتجد معنى هذا في ثنايا بحث ابن تيمية لهذه المسألة، كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٨٥-٢١٢). =

وليس هو كذلك نفس التسمية؛ فإنها فعل المسمِّي؛ يقال: سميتُ ولدي محمدًا؛ مثلًا.

وقول بعضهم: إن لفظ الاسم هنا مُقْحَمٌ؛ لأن الاستعانة إنما تكون بالله عزَّ وجلَّ لا باسمه. ليس بشيء؛ لأن المراد ذكر الاسم الكريم باللسان؛ كما في قوله:

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى:١].

أي: سبِّحْهُ ناطقًا باسم ربك، متكلِّمًا به، فالمراد التبرُّك بالابتداء بذكر اسمه تعالى.

واسم الجلالة؛ قيل: إنه اسم جامدٌ غير مشتقٍّ؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يُشْتَقُّ منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادَّة له، فهو كسائر الأعلام المَحْضَة، التي لا تتضمَّن صفاتٍ تقوم بمسمَّياتِها.

والصحيح أنه مشتقٌّ.

واختُلِفَ في مبدأ اشتقاقه، فقيل: من أَلَهَ يَأْلَهُ أُلوهَةً وإِلاهَةً وأُلوهِيةً؛ بمعنى: عبدَ عِبَادةً.

وقيل: من أَلِهَ - بكسر اللام - يَأْلَهُ - بفتحها - أَلَهًا؛ إذا تحيَّر.

= وليس الاسم هو نفس التسمية كما ذكر الشارح رحمه الله قال ابن تيمية رحمه الله: التسمية مصدر سمى يُسمي تسميةً، والتسمية نطقٌ بالاسم وتكلم به، ليست هي الاسم نفسه، وأسماء الأشياء: هي الألفاظ الدالة عليها، ليست هي أعيان الأشياء.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٢٢٢)، وذلك أن التسمية إنما هي وضع الاسم وذكر الاسم، فهي نسبة الاسم إلى مسماه، فإذا قلنا لفلان تسميتان اقتضى أنَّ له اسمين ننسبهما إليه.

والصحيح الأوَّل، فهو إلهٌ؛ بمعنى مأْلوهٍ؛ أي: معبود. ولهذا قال ابن عباس: (اللهُ ذُو الإلهيةِ والعُبوديةُ على خلقه أجمعين)، أخرجه ابن جرير في سنده بشر بن عمارة، وهو ضعيف جدًا وهو أيضًا من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس ولم يلقه وعنده: (والمعبودية) بدل (العبودية).

وعلى القول بالاشتقاق يكون وصفًا في الأصل، ولكن غَلَبَتْ عليه العَلَمِيَّة، فتجري عليه بقية الأسماء أخبارًا وأوصافًا؛ يقال: الله رحمنٌ رحيمٌ سميعٌ عليمٌ؛ كما يقال: الله الرَّحمن الرَّحيم... إلخ.

و(**الرحمن الرحيم**): اسمان كريمان من أسمائه الحسنى، دالاَّن على اتِّصافه تعالى بصفة الرحمة، وهي صفة حقيقيَّة له سبحانه، على ما يليق بجلاله، ولا يجوز القول بأن المراد بها لازمها؛ كإرادة الإحسان ونحوه؛ كما يزعم المعطلة، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

واختُلِفَ في الجمع بينهما:

فقيل: المراد بـ(الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا؛ لأن صيغة (فَعْلان) تدلُّ على الامتلاء والكثرة، و(الرحيم) الذي يختصُّ برحمته المؤمنين في الآخرة. وقيل العكس.

وقد ذهب العلاَّمة ابن القيم رحمه الله إلى أن (الرحمن) دالٌّ على الصفة القائمة بالذات، و(الرحيم) دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، ولهذا لم يجئ الاسم الرحمن متعدِّيًا في القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]. ولم يقل: رحمانًا.

وهذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما.

وروي عن ابن عباس أنه قال: (هما اسمان رقيقان؛ أحدهما أرقُّ من الآخر)[١].

ومنع بعضهم كون (الرحمن) في البسملة نعتًا لاسم الجلالة؛ لأنه عَلَمٌ آخر لله لا يُطلق على غيره، والأعلام لا يُنْعَتُ بها.

والصحيح أنه نعتٌ له باعتبار ما فيه من معنى الوصفية، فـ(الرحمن) اسمه تعالى ووصفه، ولا تُنافي اسميَّتُهُ وصفيَّتَهُ، فمن حيث هو صفةٌ جرى تابعًا على اسم الله، ومن حيثُ هو اسمٌ ورد في القرآن غير تابع، بل وورود[٢] الاسم العلم؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥].

(الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا).

/ ش/ **(الحمد لله)**: روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ؛ فَهُوَ أَقْطَعُ، أَبْتَرُ، مَمْحُوقُ البَرَكَةِ»[٣].

---

(١) الأثر موضوع أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٣٩)، من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (الرحمن وهو الرقيق، الرحيم، وهو العاطف على خلقه بالرزق، وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر).

محمد بن مروان هو السدي الصغير، والكلبي هو محمد بن السائب، وهما كذابان وأبو صالح باذام ضعيف.

(٢) أي: بل ورد ورودَ الاسم... الخ.

(٣) هذا اللفظ الذي ذكره الشارح من طريق إسماعيل بن أبي زياد الشامي وهو (متروك يضع الحديث) كما في الميزان.

وقد جاء بلفظ: «**كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه بحمد لله فهو أقطع**».

وجاء في بعض الروايات «**بالحمد لله**» وفي بعضها «**بالحمد**»، وفي بعضها «**فهو أبتر**» وفي بعضها «**فهو أجذم**» وجاء الجمع بين «**أبتر وأجذم**». وجاء في موضع «**أمر**» «**كلام**» وجاء في موضع «**الحمد**» =

= «**بسم الله الرحمن الرحيم**» وهذا اضطرابٌ واضح ومع هذا فالصحيح في الحديث الإرسال، كما رجح ذلك بعض الحفاظ وأشار إلى ذلك بعضهم، كما ستراه بعد قليل إن شاء الله.

وقد اختلف فيه على الأوزاعي، فرواه الوليد بن مسلم، كما عند أبي داود رقم: (٤٨٤٠)، والدارقطني (١/ ٢٢٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٤)، وعبيد الله بن موسى عند ابن ماجه (١٨٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٣٧٢)، والبزار في «مسنده» كما في التعليق على «العلل» للدارقطني (٨/ ٢٩)، وأبي عوانة في «صحيحه» كما في تخريج الأحياء، وقد أخرجه من طريق أبي عوانة السبكي في الطبقات (١/ ٧)، وعبد الحميد بن أبي العشرين، عند ابن حبان، كما في «الإحسان» رقم: (١)، وشعيب بن إسحاق عند ابن حبان، كما في الإحسان (٢)، وابن المبارك عند أحمد (٢/ ٣٥٩)، وموسى بن أعين عند الدارقطني (١/ ٢٢٩)، وأبو المغيرة (عبد القدوس بن الحجاج الخولاني)، عند البيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢٠٨-٢٠٩).

كلهم رووه عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا.

ورواه محمد بن كثير المصيصي كما في «العلل» للدارقطني ونقل عنه السبكي في طبقاته ذلك، وخارجة بن مصعب، كما في «الطبقات» للسبكي (١/ ١١)، ومُبَشِّر بن إسماعيل، كما في «الجامع» للخطيب (٢/ ١٢٨)، ط. مكتبة الفلاح، ومن طريقه، السبكي في «الطبقات»، ثلاثتهم رووه عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، لم يذكروا (قرة: وهو ابن عبد الرحمن)، في الإسناد.

تنبيه: جاء في «الطبقات» للسبكي (محمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة)، ثم ذكر أن إسماعيل بن عياش كان يقول في (قرة بن عبد الرحمن)، إن اسمه (يحيى)، و(قرة)، لقب ونفى هذا ابن حبان، ورجح السبكي قول إسماعيل بن عياش.

ولا شك أنَّ المحفوظ عن الأوزاعي ذكر (قرة)، في الإسناد كما رواه عنه ذلك الجماعة من الأئمة الثقات، وأما من رواه عنه بإسقاطه؛ فشاذ؛ لأن مبشر بن إسماعيل حسن الحديث على أقل الأحوال، ومحمد بن كثير المصيصي ضعيف، وخارجة بن مصعب متروك.

ثم اختلف فيه على الزهري رحمه الله، فرواه قرة بن عبد الرحمن عنه عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا وقد نص الدارقطني كما سيأتي أنه تفرد برفعه عن الزهري، ولعله أراد رحمه الله من وجه يصح، وإلا فقد تابعه يونس بن عبيد كما في «الطبقات» للسبكي (١/ ١٥)، ولكن الراوي عنه إسماعيل بن أبي زياد قال الذهبي في «الميزان»: (متروك يضع الحديث). اهـ

فلا يفرح بهذه المتابعة، ومن طريقه زيادة «**الصلاة على النبي ﷺ**» و«**ممحوق من كل بركة**».

ورواية قرة أخرجها النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٩٤)، وأبو داود (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» رقم: (١، ٢)، وأحمد (٢/ ٣٥٩)، والدارقطني (١/ ٢٢٩)، =

وورد مثل ذلك في البسملة.

= والبيهقي في «السنن» (٣/ ٢٠٨-٢٠٩)، و«الشعب» (٤/ ٩٠) رقم: (٤٣٧٢) والخطيب في «الجامع» (٢/ ١٢٨)، وغيرهم.

ورواه جمعٌ من الأئمة عن الزهري مرسلًا، منهم: سعيد بن عبد العزيز، وعقيل، والحسن بن عمر، ورواية هؤلاء عند النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم: (٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧)، وقد نص على هؤلاء وغيرهم بعض الأئمة، وهم:

أبو داود رحمه الله بعد أن ذكر حديث (قرة)، قال: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلًا.

الدارقطني قال في «سننه»: تفرد به قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وأرسله غيره عن الزهري عن النبي ﷺ، وقرة ليس بقوي في الحديث، ورواه صدقة عن محمد بن سعيد عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ، ولا يصح الحديث. وصدقة ومحمد بن سعيد ضعيفان. والمرسل هو الصواب. اهـ

وقال رحمه الله في «العلل» (٨/ ٢٩)، رقم: (١٣٩١)، بعد أن سئل عن حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أقطع**» فقال: يرويه الأوزاعي واختلف عنه فرواه عبيد الله وابن أبي العشرين، والوليد بن مسلم، وابن المبارك وأبو المغيرة عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ورواه محمد بن كثير عن الأوزاعي عن الزهري كذلك لم يذكر (قرة). ورواه وكيع عن الأوزاعي عن قرة عن الزهري، قال رسول الله ﷺ مرسلًا.

ورواه محمد بن سعيد يقال له الوصيف عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك عن أبيه والصحيح عن الزهري المرسل. اهـ

البيهقي قال في «السنن» بعد أن ذكر حديث (قرة)، أسنده قرة، ورواه يونس بن يزيد، وعقيل بن خالد، وشعيب بن أبي حمزة، وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً. اهـ

ورواه محمد بن الوليد الزبيدي عند الطبري (١٩/ ٧٢)، رقم: (٤١)، ومحمد بن سعيد، كما في «العلل» للدارقطني كما تقدم، كلاهما عن الزهري عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ، فذكراه، وهذه مخالفة منهما لكل من رواه عن الزهري مرسلًا وموصولًا عن أبي هريرة، زيادة على ذلك أنَّ الراوي عن محمد بن الوليد الزبيدي هو صدقة بن عبد الله السمين، وهو ضعيف.

ومحمد بن سعيد ضعيف، كما قال الدارقطني في السنن.

فهذا خطأ، فلا يجوز الاستشهاد به، والله أعلم.

ولهذا جمع المؤلف بينهما عملًا بالروايتين، ولا تعارُض بينهما؛ فإن الابتداء قسمان: حقيقي وإضافي[١]، والحمد ضدُّ الذَّمِّ. يُقال: حمدتُ الرجل أَحْمَدُهُ حمدًا ومَحْمَدًا ومَحْمَدَةً، فهو محمودٌ وحميدٌ.

ويقال: حَمَّد الله -بالتشديد-: أثنى عليه المرة بعد الأخرى، وقال: الحمد لله.

والحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياريِّ، نعمةً كانَ أو غيرها؛ يقال: حمدتُ الرجلَ على إنعامه، وحمدتُه على شجاعته.

وأما الشكر؛ فعلى النعمة خاصة، ويكون بالقلب واللسان والجوارح؛ قال الشاعر:

أَفَـادَتْكُمُ الـنَّعْمَاءُ مِنِّـي ثَلاَثَـةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيْرَ الْمُحَجَّبـا

وعلى هذا؛ فبين الحمد والشكر عمومٌ وخصوصٌ من وجه، يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة، وينفردُ الحمد في الثناء باللسان على ما ليس بنعمة من الجميل الاختياريِّ، وينفردُ الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة.

فالحمد أعمُّ متعلَّقًا، وأخصُّ آلةً، والشكر بالعكس.

وأما الفرق بين الحمد والمدح؛ فقد قال ابن القيم[٢]:

(إن الحمد إخبار عن محاسن المحمود، مع حبه، وتعظيمه، فلا بدَّ فيه من اقتران الإرادة بالخير؛ بخلاف المدح؛ فإنه إخبار مجرَّدٌ).

ولذلك كان المدحُ أوسَعَ تناولًا؛ لأنه يكون للحيِّ والميِّت وللجماد أيضًا.

---

(١) فالمبتدأ الحقيقي هو الذي لم يسبقه شيء مثل: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، والإضافي هو ما تقدم أمام المقصود وإن سبقه شيء آخر مثل: «**الحمد لله رب العالمين**».

(٢) في «بدائع الفوائد» (٢/ ٩٣).

و(أل) في الحمد للاستغراق؛ ليتناول كل أفراد الحمد المُحَقَّقَة والمُقَدَّرَة، وقيل: للجنس، ومعناه: (أن الحمد الكامل ثابتٌ لله، وهذا يقتضي ثبوتَ كُلِّ ما يُحْمَدُ عليه من صفات كماله ونعوت جماله؛ إذ مَنْ عَدِمَ صِفات الكمال؛ فليس بمحمود على الإطلاق، ولكن غايته [أنه محمودٌ من وجهٍ دون وجهٍ، ولا] يكون محمودًا من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد؛ إلا مَن حاز صفات الكمال جميعها[(١)]، [فلو عَدِمَ منها صفة واحدة؛ لنقص من حمده بسببها]).

الرسول في اللغـة هو مَن بُعِثَ بالرسالة؛ يقال: أرسله بكذا؛ إذا طلب إليه تأديته وتبليغه. وجمعه: رُسْل -بسكون السين- ورُسُل -بضمها-.

وفي لسان الشرع: إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌّ، أُوحِيَ إليه بشرعٍ، وأُمِرَ بتبليغه.

فإن أوحِيَ إليه، ولم يؤمر بالتبليغ؛ فهو نبيٌّ[(٢)].

---

(١) عبارة ابن القيم من مدارج السالكين (١/ ٦٤): (وغايته أنه محمود من وجه دون وجه، ولا يكون محمودًا بكل وجه، وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد إلا من استولى على صفات الكمال جميعها، فلو عدم منها صفة واحدة لنقص من حمده بحسبها)، هذا نص عبارة ابن القيم وقد حصل في نقل المؤلف لها خلل ظاهر فلينبه لذلك. إسماعيل الأنصاري.

(٢) قوله في التعريف: (إنسان)، خرج بهذا القيد الجني، وأما قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾[الأنعام:١٣٠]، قال ابن كثير في «تفسيره»: أي من جملتكم، والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف، وقال ابن عباس الرسل في بني آدم ومن الجن نذر، وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أنَّ في الجن رسلًا، واحتج بهذه الآية الكريمة، وفيه نظر؛ لأنها محتملة، وليست بصريحة وهي -والله أعلم-، كقوله: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۞ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾، إلى أن قال: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾[الرحمن:١٩-٢١] ومعلومٌ أنَّ اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان من الملح لا في الحلو، وهذا واضحٌ ولله الحمد، وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير، والدليل على أن الرسل إنما هم من الأنس قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ إلى قوله: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[النساء:١٦٣-١٦٥]. =

= وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[الحديد:٢٦]، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل، ثم انقطعت عنهم ببعثته، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان:٢٠]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾[يوسف:١٠٩]، ومعلوم أن الجن تبعٌ للإنس في هذا الباب، ولهذا قال تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[الأحقاف:٢٩]. اهـ المراد.

وخرج بقيد (ذكر)، الأنثى؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم﴾[يوسف:١٠٩]، لا خلاف في أنه ليس في النساء رسولات، وإنما حصل الخلاف هل منهن نبيات؟ ذهب بعض أهل العلم، كأبي الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم إلى نبوة بعض النساء، وانظر أدلتهم والرد عليها في «الرسل والرسالات» وصاحبه حزبي ينتمي إلى فرقة الأخوان المسلمين هداهم الله.

وأكثر أهل العلم على أن النبوة خاصة بالرجال، وهذا الذي لا ينبغي خلافه.

وخرج بقيد (حر)، العبد، فالعبد أمره بيد سيده، ليس بيده، ولا يتأتى مع هذا الوصف أن يكون الرجل مسئولًا عن طائفة يسيرة من الناس، فكيف بالنبوة والرسالة.

قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٤): وذلك لأن الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة، والنبي يكون داعيًا للناس أناء الليل وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك، وأيضًا الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من إتباع من اتصف بها، وأن يكون إمامًا لهم وقدوة، وهي إثر الكفر، والأنبياء منزهون عن ذلك.اهـ

وهكذا الرسول أو النبي يكون ذا نسب في قومه، كما في سؤال هرقل أبا سفيان، قال: ما نسبه فيكم؟ -أي النبي ﷺ- قال ذو نسب. فقال هرقل: فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، الحديث أخرجه البخاري رقم: (٧)، ومسلم برقم: (١٧٧٣)، وكما في حديث أم سلمة في هجرة الصحابة إلى أرض الحبشة، وفيه قول جعفر للنجاشي:... حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه... الحديث. الحديث رواه الإمام أحمد برقم: (١٧٤٠)، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» لشيخنا مقبل رحمه الله.

وهذا الفرق الذي ذكره الشارح بين النبي والرسول هو المشهور وفيه نظر، فقد قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٥/ ٧٣٥)، بعد أن ذكر الفرق الذي ذكره الشارح، وقال فيه: غير صحيح؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[الحج:٥٢] يدل على أنَّ كلًا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير واستظهر بعضهم أنَّ النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته. =

فكل رسول نبيٌّ، ولا عكس، فقد يكون نبيًّا غير رسول.

والمُراد بالرسول المضاف إلى ضمير الرب هنا مُحمد ﷺ.

و(**الهدى**) في اللغة: البيان والدلالة؛ كما في قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[فصلت:١٧].

فإن المعنى: بَيَّنَّا لهم.

وكما في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان:٣].

= وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالى بقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ الآية [المائدة:٤٤].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على «متن الطحاوية»: وقد ذكروا فروقًا بين الرسول والنبي، تراها في «تفسير الألوسي» وغيره، ولعل الأقرب أن الرسول من بعث بشرع جديد، والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى، كما لا يخفى. اهـ

ومن الأدلة التي تقوي الفرق المتقدم: قول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[البقرة:٢١٣].

وقد وصف الله رسله بهذا الوصف؛ فقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٦٥].

ولا تكون البشارة والنذارة إلا بحصول التبليغ.

وحديث ابن عباس في قول رسول الله ﷺ: «**عرضت عليَّ الأمم؛ فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد..**».

فدل على أنَّ الأنبياء بلغوا ما أُمروا به؛ فمنهم من استجيب له، على اختلاف في القلة والكثرة، ومنهم من لم يُستجب له أصلًا، وقد قام بما أوجب الله عليه وثبت أجره، ثم إن ترك البلاغ يعتبر كتمانًا لوحي الله تعالى.

ومن الأدلة حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم...**» والدلالة على الخير، والنذارة من الشر تبليغ.

والهُدى بهذا المعنى عامٌّ لجميع الناس، ولهذا يوصَفُ به القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩].

ويوصف به الرسول ﷺ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢].

وقد يأتي الهُدى بمعنى التوفيق والإلهام، فيكون خاصًّا بمَن يشاء الله هدايته؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام:١٢٥].

ولهذا نفاهُ الله عن رسوله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[القصص:٥٦].

والمراد بالهُدى هنا: كلُّ ما جاء به النبيُّ ﷺ من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع، والعمل الصالح.

والدِّين يأتي لعدة معانٍ:

منها: الجزاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة:٤].

ومنهُ قولُهم: كَما يَدِينُ الفَتى يُدَانُ.

ومنها: الخضوع والانقياد؛ يقال: دان لـه؛ بمعنى: ذلَّ وخضع[(١)]، ويقال: دانَ اللهَ بكذا، أو كذا؛ بمعنى اتَّخذه دينًا يعبده به.

---

(١) ومنه قول النبي ﷺ «**فيدينون لها**» في حديث المقداد بن عمرو الكندي: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز أو بذل ذليل، إما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يذلهم الله فيدينون لها**» رواه أحمد وصححه شيخنا في الصحيح المسند.

والمراد بالدِّين هنا: جميع ما أرسل الله به رسول الله ﷺ من الأحكام[١] والشرائع؛ اعتقادية كانت، أم قولية، أم فعلية.

وإضافته إلى الحق من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: الدين الحق.

والحقُّ: مصدرُ حَقَّ يَحِقُّ إذا ثبت ووجب. فالمراد به: الثابت، الواقع. ويقابله: الباطل الذي لا حقيقة له.

اللام في قوله: (ليظهره) لام التعليل، وهي متعلقة بـ(أرسل)، وهو من الظهور؛ بمعنى: العلوِّ والغلبة؛ أي: ليجعله عاليًا على الأديان كلها بالحجة والبرهان.

---

(١) وهو دين الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩] وقال النبي ﷺ في الخوارج: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**».

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٩)، في رواية سعيد بن مسروق: «**من الإسلام**» وفيه رد على من أوَّل (الدين) هنا بالطاعة، وقال: إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أنَّ المراد بالدين الإسلام، كما فسرته الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر، وأنَّهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل.اهـ

وقد اختلف العلماء في الحكم على الخوارج، فذهب بعضهم إلى تكفيرهم، وذهب أكثرهم إلى عدم تكفيرهم، وإنما هم فساق من فرق الضلال، ومنهم من توقف. والصحيح قول الأكثرين إلاّ فرقًا من الخوارج لا يشك في كفرهم كـ(البدعية) الذين قصروا الصلاة على ركعة في الصباح وركعة في المساء، و(الميمونية) من فرق العجاردة أباحت نكاح بعض المحارم.

وقال ابن حزم رحمه الله في الفصل (٢/ ٢٧١) دار الجيل: وقد تسمى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق أهل الإسلام على أنه ليس مسلم مثل طوائف من الخوارج غلو فقالوا: إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط.

وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين، وبنات البنات، وبنات بني الأخوة، وبنات بني الأخوات، وقالوا: إن سورة يوسف ليست من القرآن...اهـ وانظر «الفرق بين الفرق»، وزاد (اليزيدية) وهي من فرق الإباضية أتباع يزيد بن أبي أنيسة قال: ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم.اهـ

و(أل) في (الدين) للجنس، فيدخل فيه كل دين باطل، وهو ما عدا الإسلام.

والشهيد: فعيلٌ، وهو مبالغةٌ من شهد، وهو إما من الشهادة؛ بمعنى الإخبار والإعلام، أو من الشهادة؛ بمعنى الحضور. والمعنى: وكَفَى باللهِ شَهِيدًا مخبرًا بصدق رسوله، أو حاضرًا مطَّلِعًا لا يغيب عنه شيءٌ.

والمعنى الإجمالي لما تقدم أن جميع أوصاف الكمال ثابتةٌ لله على أكمل الوجوه وأتمِّها.

ومما يُحْمَدُ عليه سبحانه نعمه على عباده، التي لا يحصي أحدٌ من الخلق عدَّها، وأعظمها إرساله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق رحمةً للعالمين، وبشرى للمتَّقين؛ ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان، والعز والتمكين والسلطان، وكفى بالله شهيدًا على صدق رسوله، وحقيقة ما جاء به.

وشهادته سبحانه تكون بقوله وفعله وتأييده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوِّعة على أن ما جاء به هو الحق المبين.

(وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا).

/ ش/ **(الشهادة)**: الإخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان، وواطأ القلبُ عليها اللسان؛ فإن الله قد كَذَّب[1] المنافقين في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[المنافقون:١]، مع أنهم قالوا بألسنتهم.

(١) وذلك في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون:١].

و(**لا إله إلا الله**): هي كلمة التوحيد، التي اتَّفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه؛ كما قال نبيُّنا ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا؛ فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[(١)].

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرَّد؛ كقولنا: الله واحد. مثلًا فهي تدلُّ بصدرها على نفي الإلهية عمَّا سوى الله تعالى، وتدلُّ بعجزها على إثبات الإلهية له وحده.

ولا بدَّ فيها من إضمار خبرٍ تقديره: لا معبودَ بحقٍّ - موجودٌ- إلا الله.

وأما قوله: (**وحده لا شريك له**)؛ فهو تأكيد لما دلَّت عليه كلمة التوحيد.

وقوله: (**إقرارًا به**) مصدرٌ مؤكِّدٌ لمعنى الفعل: (**أشهد**)، والمراد: إقرار القلب واللسان.

وقوله: (**توحيدًا**)؛ أي: إخلاصًا لله عز وجل في العبادة، فالمراد به التوحيد الإرادي الطلبي المبني على توحيد المعرفة والإثبات.

---

(١) رواه البخاري برقم: (١٣٩٩)، ومسلم برقم: (٢٠، ٢١)، عن أبي هريرة.
ورواه مسلم تحت رقم: (٢١)، عن جابر.
ورواه البخاري رقم: (٢٥)، ومسلم (٢٢)، عن ابن عمر وفيه زيادة على الشهادتين، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ][(١)] وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا).

/ش/ وجعل الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة والعبودية مقرونًا بالشهادة لله بالتوحيد؛ للإشارة إلى أنـه لا بد من كلٍّ منهما، فلا تُغني إحداهما عن الأخرى، ولهذا قرن بينهما في الأذان، وفي التشهد.

وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح:٤]: (يعني: لا أُذْكَرُ إلاَّ ذُكِرتَ معي)[(٢)].

وإنما جمع له بين وصفي الرسالة والعبودية؛ لإنهما أعلى ما يوصف به العبد.

والعبادة: هي الحكمة التي خَلَقَ الله الخَلْقَ لأجلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

---

(١) سقط من (أ).

(٢) رواه سفيان بن عيينة في «تفسيره» من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد (ورفعنا لك ذكرك)، قال: لا أذكر إلا ذُكرت معي.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله.

ومن طريق سفيان بن عيينة، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» وابن جرير، وغيرهم، إسناده صحيح. وابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد، لكن قد عرفت الواسطة وهي القاسم بن أبي بزة، وكان ابن عيينة يصحح تفسير ابن نجيح. انظر «تهذيب التهذيب» و«الميزان»، وهكذا البخاري قد أخرج من هذا الطريق في التفسير من «صحيحه» (٤٥٣١)، (٤٦٤٦).

وروى أبو يعلى في «مسنده» رقم: (١٣٨٠)، والطبري في «تفسيره» وابن حبان كما في «الموارد» (١٧٧٢)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير، كلهم من طريق دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: أنه قال: «**أتاني جبريل فقال: إن الله ربي وربَّك يقول: كيف رفعتُ ذكرك؟ قال: الله أعلم. قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي**». ودرَّاج فيه ضعف، وروايته عن أبي الهيثم ضعيفة.

فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية؛ ازداد كماله، وعلت درجته.

ولهذا ذكر الله نبيَّه بلقب العبد في أسمى أحواله وأشرف مقاماته؛ كالإسراء[(١)] به، وقيامه بالدعوة إلى الله، والإيحاء إليه، والتحدِّي بالذي أُنْزِلَ عليه.

ونبَّه بوصف العبودية أيضًا إلى الرد على أهل الغلوّ الَّذين قد يتجاوزون بالرسول قدره، ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية؛ كما يفعل ضلاّل الصوفية قبّحهم الله، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[(٢)].

والمقصود أن هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته ﷺ لربه، وكمال رسالته، وأنه فاق جميعَ البشرِ في كلِّ خصلةٍ كمالُه.

ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر به، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهى عنه.

الصلاة في اللغة: الدعاء؛ قال تعالى:

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة:١٠٣].

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء:١]، وفي مقام الدعوة قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن:١٩]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١]، وفي حال الإيحاء إليه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النجم:١٠]، وفي مقام التحدي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة:٢٣].

(٢) رواه البخاري برقم: (٣٤٤٥) و(٦٨٣٠)، عن عمر بن الخطاب.

وأصحُّ ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري[١] في «صحيحه» عن أبي العالية؛ قال: (صلاة الله على رسوله: ثناؤه عليه عند الملائكة).

والمشهور أن الصلاة من الملائكة الاستغفار؛ كما في الحديث[٢] الصحيح:

«**وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ؛ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**».

ومن الآدميين: التضرُّع والدُّعاء.

وآل الشخص هم من يمتُّون إله بصلة وثيقة من قرابة ونحوها.

وآله ﷺ يُراد بهم أحيانًا مَن حَرُمَت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطَّلب، ويراد بهم أحيانًا كل مَن تبعه على دينه.

---

(١) (٨/ ٥٣٢)، تعليقًا بصيغة الجزم، قال ابن كثير في «تفسيره» آية (٥٦) من سورة الأحزاب: وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية كذلك، وروى مثله عن الربيع أيضًا، وقال الحافظ ابن حجر أخرجه ابن أبي حاتم من طريق آدم بن أبي إياس، حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع، هو ابن أنس بهذا. وزاد في آخره (له). اهـ

وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٩٥) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وأبوجعفر الرازي: هو عيسى بن ماهان: ضعيف.

وفي تهذيب التهذيب ترجمة الربيع بن أنس، قال ابن حبان: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه؛ لأن في أحاديثه اضطرابًا كثيرًا.اهـ

ولكن هذا هو المعنى الصحيح في صلاة الله على عبده ورسوله ﷺ كما ذكر الشارح وهو الذي رجحه ابن القيم في «جلاء الأفهام» .

وقال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾، والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا اهـ. وبعضهم قال: صلاة الله رحمته.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها رقم: (٦٥٩)، ومسلم: (٦٤٩)، وغيرهما عن أبي هريرة.

وأصل (آل): أهل، أُبْدِلَتِ الهاء همزة، فتوالت همزتان، فقُلِبَتِ الثانية منهما ألفًا، ويصغر على أُهَيل أو أُوَيْل، ولا يستعمل إلا فيما شرف غالبًا، فلا يقال: آل الإسكاف[1] وآل الحجام.

والمراد بالصحب أصحابه ﷺ، وهم كل من لقيه حال حياته مؤمنًا، ومات على ذلك.

والسلام: اسم مصدر من سلَّم تسليمًا عليه؛ بمعنى طلب لـه السلامة من كل مكروه، وهو اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: البراءة والخلاص من النقائص والعيوب، أو الذي يسلِّم على عباده المؤمنين في الآخرة.

و(**مزيدًا**) صفةٌ لـ(تسليمًا)، وهو اسم مفعول من (زاد) المتعدِّي، والتقدير: مزيدًا فيه.

---

(١) الإسكاف: الخفاف أو كل صانع سوى الخفاف.

([أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا][(١)] اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ[(٢)] السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ).

/ ش/ (**أما بعد**): كلمة يُؤتَى بها للدِّلالة على الشروع في المقصود، وكان النبي ﷺ يستعملها كثيرًا في خطبه وكتبه، وتقديرها عند النحويِّين: مهما يكن من شيء بعد.

والإشارة بقوله: (هذا) إلى ما تضمَّنه هذا المُؤلَّفُ من العقائد الإيمانية التي أجملها في قوله: (وهو الإيمان بالله...).

والاعتقاد: مصدر اعتقد كذا؛ إذا اتَّخَذه عقيدة له؛ بمعنى عقد عليه الضمير والقلب، ودان لله به، وأصله من (عقد الحبل)، ثم استُعْمل في التصميم والاعتقاد الجازم.

(**الفرقة**) - بكسر الفاء - الطائفة من الناس.

ووصفها بأنها (**الناجية المنصورة**) أخذًا من قوله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»[(٣)].

---

(١) سقط من (أ).

وقال الجوهري: قول من قال: كل صانع عند العرب اسكاف غير معروف. أهـ لسان العرب.

وفي المعجم الوسيط: الإسكاف: الخرازّ، وصانع الأحذية، ومصلحها، وجمعه أساكفة.

(٢) أي: إلى قرب قيام الساعة؛ لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، كما في حديث عبدالله بن عمرو في مسلم (١٩٢٤)، وقبل قيامها يرسل الله ريحًا تقبض أرواح المؤمنين. أو أن يقال إلى آخر موتهم؛ لأن من مات، فقد قامت قيامته، وإن كان الحديث بهذا اللفظ لا يصح، لكن يغني عنه حديث عائشة، وسيأتي ص(٢٠٦)، في الحاشية.

(٣) جاء عن عدة من الصحابة، منهم معاوية رضي الله عنه، عند البخاري رقم: (٧١)، ومسلم (٣/ ١٥٢٤)، ولفظه عنده: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**».

والمغيرة بن شعبة عند البخاري رقم: (٣٦٤٠)، ومسلم رقم: (١٩٢١). =

ومن قوله في الحديث الآخر: «سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(١)].

= وثوبان عند مسلم (١٩٢٠)، وجابر بن سمرة عند مسلم (١٩٢٢)، بنحوه.

وجابر بن عبد الله عند مسلم (١٩٢٣). وعقبة بن عامر في مسلم (١٩٢٤)، والمراد (بأمر الله)، هبوب الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وقوله: «**وهم ظاهرون**» أي: على من خالفهم، أي: غالبون، أو المراد بالظهور أنهم غير مستترين، بل مشهورون، والأول أولى، وقد وقع عند مسلم من حديث جابر بن سمرة «**لن يبرح هذا الدين قائمًا تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة**» وله في حديث عقبة بن عامر «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة**». اهـ من «الفتح» (١٣/ ٢٩٤).

(١) حديث الافتراق صحيح.

وقد جاء عن عِدَّة من الصحابة، والتي وقفت عليها عن أبي هريرة، ومعاوية، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك، وأبي أمامة، وعبد الله مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وعوف بن مالك، وعمرو بن عوف المزني، وأبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وعن علي موقوفًا عليه، وعن قتادة مرسلًا. وقد تكلمت عليها في رسالة مستقلة، والحمد لله.

جاء في حديث معاوية، وهو صحيح، وفي بعض طرق حديث أنس، وفي حديث سعد بن أبي وقاص وفيه، موسى بن عبيدة الربذي: «**كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**».

وجاء ذكر الجماعة أيضا في حديث عوف بن مالك وسنده صحيح، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: قالوا ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**» وهو من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف، وجاء في إحدى الطرق لحديث أنس وهي الطريق التي أخرجها الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٤٦٠)، و«الصغير» (٧١١)، وبحشل في «تأريخ واسط» ص(١٩٦)، ومن طريقه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٦٢)، وغيرهم من طريق عبد الله بن سفيان الخزاعي الواسطي، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس مرفوعًا، وفيه: وما تلك الفرقة؟ قال: «**من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». قال العقيلي عبد الله بن سفيان الخزاعي عن يحيى بن سعيد لا يتابع على حديثه، وقال عقب الحديث: ليس له من حديث يحيى بن سعيد أصل، وإنما يعرف هذا الحديث، من حديث الإفريقي. اهـ

والذهبي رحمه الله نقل كلام العقيلي في «الميزان» مقرًا له.

وجاء عند الطبراني (٨/ ١٥٢)، عن أبي الدرداء وواثلة وأنس وأبي أمامة مرفوعًا وفيه قالوا: ومن السواد الأعظم قال: «**على ما أنا عليه وأصحابي**». =

وقوله: (**أهل السنة والجماعة**)؛ بدل من الفرقة.

والمراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات.

والجماعة في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

= وهذه الأحاديث من طريق عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقي قال: أحمد أحاديثه موضوعة، وقال الجوزجاني: أحاديثه منكرة. اهـ «الميزان»، وكثير بن مروان الفلسطيني كذبه ابن معين وتكلم فيه غير واحد بكلام شديد كما في تعجيل المنفعة، وهو في المجروحين لابن حبان.

وهذه الجملة وهي قوله ﷺ: «**على ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» يتفق معناها تمامًا مع قوله ﷺ: «**هي الجماعة**».

إذ أن جماعة المسلمين في بدء الإسلام هي النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، وهؤلاء لا نظير لهم في تعلم الإسلام، والعمل به، والدعوة إليه والذود عن حياضه والصبر على الأذى فيه، وقد تكاثرت الأدلة في بيان فضائلهم، والثناء عليهم، ثم يليهم في ذلك التابعون، ثم أتباع التابعين.

وكل من سار سيرهم، واحتذى حذوهم، وفهم الإسلام على فهمهم، فهو من الجماعة.

ومن الأدلة على وجوب لزوم طريق السلف قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا﴾ وقوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾، وقوله: ﴿فإن أمنوا بمثل ما أمنتم به فقد أهتدوا﴾، وقوله: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾ وحديث العرباض بن سارية وفيه: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**»، ومن الفروق الواضحة بين أهل السنة السلفيين وبين غيرهم من أهل الأهواء والبدع أن السلفيين يفهمون الإسلام على فهم السلف الصالح وغيرهم من فرق أهل الأهواء، كل فرقة منهم تفهم الإسلام على فهم مؤسس تلك الفرقة التي تنتمي إليها أو الحزب الذي ينتمي إليه؛ عافانا الله والمسلمين من ذلك.

([وَهُوَ][1] الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، والإِيمَانِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

/ ش/ هذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، فلا يتمُّ إيمانُ أحدٍ إلا إذا آمن بها جميعًا على الوجه الصحيح الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، فمَنْ جَحَدَ شيئًا منها أو آمن به على غير هذا الوجه؛ فقد كفر.

وقد ذُكِرَت كلها في حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان؟ فقال:

«أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ الله تَعَالَى»[2].

---

(١) سقط من (أ).

(٢) وراه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر**».

ورواه مسلم في أول «صحيحه»، والنسائي (٤٩٩٠)، وأبوداود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، وابن ماجة (٦٣)، وأحمد (١/ ٢٧، ٢٨، ٥١، ٥٢)، وأبو داود الطيالسي (٢٣): وابن خزيمة: (٢٥٠٤)، وابن حبان، كما في «الإحسان» (١/ ١٦٨)، والفريابي في «القدر» والآجري في «الشريعة» والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» وابن منذة في أوائل كتابه «الإيمان» وغيرهم، من طريق يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب، فذكر حديث جبريل المشهور وفيه: «**إن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت**».

قال ابن مندة (١/ ١٢٢-١٢٣): هذا إسناد مجمع على صحته مشهور عن يحيى بن يعمر، وعن ابن بريدة وعن كهمس بن الحسن.

ورواه عن يحيى بن يعمر سليمان التيمي. ورواه عن عبد الله بن بريدة، مطر بن طهمان الوراق، وعثمان بن غياث البصري، وعبد الله بن عطاء، وعبيد الله بن العيزار.

ورواه عن كهمس عبد الله بن المبارك، ووكيع، ومعاذ بن معاذ العنبري، والنضر بن شميل، ويزيد بن زريع، والمعتمر بن سليمان، وحسن بن الحسين الأسواري، ومحمد بن جعفر، ومحمد بن =

= إبراهيم، وأبي ابن غندر، ويزيد بن هارون، وعبد الوهاب، والمقري، والشعبي، وأبو عاصم، وعثمان بن عمر، ورواية كلهم مقبولة. اهـ

زيادة «**حُلوه ومُرِّه**» جاءت في رواية يزيد بن زريع عن كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب، عند ابن مندة في «الإيمان» (١/ ١٣١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (١٦٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم: (١٨١).

وكلُّ من وقفت عليه ممن رواه عن كهمس لم يذكرها في حديثه، وهم:

١- وكيع بن الجراح عند مسلم، وأحمد (١/ ٢٨)، وابن ماجة (٨٣)، والترمذي (٢٦١٠)، والمروزي في «الصلاة» (٣٦٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: (٩٠٧).

٢- معاذ العنبري عند مسلم، وأبي داود (٤٦٩٥)، والفريابي (٢١٠)، والآجري في «الشريعة» ص١٠٧، وابن مندة رقم: (٨).

٣- عبد الله بن يزيد المقرئ عند أحمد (١/ ٥٢)، وابنه عبد الله في «السنة» رقم: (٩٠٦).

٤- محمد بن جعفر الملقب بغندر عند أحمد (١/ ٥١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٠٤)، وابن مندة (١/ ١٣٠).

٥- يزيد بن هارون عند أحمد (١/ ٥١)، وابنه عبد الله في «السنة» (٩٠٥)، وابن مندة (١/ ١٢٤، ١٣٠).

٦- ابن المبارك عند ابن مندة (١/ ١٣٦).

٧- النضر بن شميل عند النسائي (٤٩٩٠)، والفريابي في «القدر» (٢١١)، والآجري ص(١٠٧)، والمروزي (٣٦٤)، وابن مندة (١/ ١٣٣).

٨- حسين بن الحسن عند ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٠٤).

٩- المعتمر بن سليمان، عند الفريابي (٢١١)، والمروزي (٣٦٣).

١٠- محمد بن إبراهيم بن أبي عدي عند ابن مندة (١/ ١٣٣).

١١- عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عند ابن مندة رقم: (١)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٦٤٠).

١٢- عبد الرحمن بن حماد الشعيثي عند ابن مندة (١/ ١٢٤).

وهكذا كل من وقفت عليه ممن روى الحديث عمن فوق كهمس، لم يذكروها، فهي غير محفوظة، والله أعلم.

وقد جاء ذكر هذه الزيادة في بعض طرق حديث عبد الله بن عمر، وهو غير محفوظ، كما ستراه في كلام بعض الأئمة.

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في «الصلاة» (١/ ٣٧٦). =

= (وقد روى جماعة من الرواة هذا الخبر عن ابن عمر، أنه كان حاضرًا للنبي ﷺ حين جاءه جبريل، وسأله عن هذه المسائل، وأسقطوا ذكر عمر فيما بينه وبين النبي ﷺ، زادوا ونقصوا من متن الحديث، وغيَّروا بعض ألفاظه). اهـ

وذكر بعض طرقه، أذكرها وما تيسر لي الوقوف عليه، مع بيان موضع الزيادة من هذه الطرق:

١- روى أبو داود (٤٦٩٧)، وأحمد (١/ ٥٢-٥٣)، والمروزي رقم: (٣٦٨)، من طريق علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابن يعمر عن ابن عمر.

قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه المسند رقم: (٣٧٤)، والراجح عندي رواية عبد الله بن بريدة أن عمر هو الذي حضر وحدَّث ابنه، فإنها زيادة ثقة مقبولة، ويكون الوهم في حذف عمر في هذا الإسناد من سليمان بن بريدة أو من علقمة بن مرثد. اهـ

٢- وروى أحمد (٢/ ١٠٧)، والآجري في «الشريعة» (٢٠٧)، والمروزي في «الصلاة» (٣٧١)، من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر، وعلي بن زيد ضعيف.

٣- وروى الآجري برقم: (٢٠٨)، والمروزي (٣٧٤)، من طريق العوام بن حوشب عن محارب بن دثار عن ابن عمر وفيه زيادة «**حلوه ومرِّه**».

ورواه اللالكائي (١٠٣٨)، من طريق أبي سعيد الأشج، ثنا محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة، عن ابن عمر، وفيه الزيادة.

ورواه أيضًا برقم: (١٠٣٩)، من طريق علي بن حرب الموصولي، قال: ثنا محمد بن فضيل أخبرنا: عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر.

قال اللالكائي: هذا أولى بالصواب في حديث الأشج، وحديث ابن بريدة، روى عن علقمة بن مرثد وغيره عن يحيى بن يعمر. اهـ

ومحمد بن فضيل روايته عن عطاء بن السائب بعد التغير.

٤- وروى أحمد (١/ ١٠٧)، والمروزي (٣٧٢)، من طريق حماد بن سلمة عن إسحاق بن سويد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر.

٥- وروى المروزي (٣٧٥)، من طريق النضر بن شميل، (٣٧٦)، من طريق ابن أبي أويس قالا: ثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي، ثنا عبد الله بن دينار، قال: سمعت عبد الله بن عمر، ورواه برقم: (٣٧٧)، من طريق ابن أبي أويس، قال: حدثني عبد الملك بن قدامة، عن إسحاق بن بكر بن أبي الفرات، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري مثل ذلك.

وعبد الملك بن قدامة الجمحي ضعيف، وفي ترجمته أنه يحدث بالمناكير عن الثقات.

٦- روى الطبراني في «الكبير» (١٢ رقم: (١٣٥٨١)، من طريق منصور بن المعتمر عن عطاء، عن ابن عمر، وفيه الزيادة. =

= ٧- وروى النسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٥/ ٤٤٤)، والمروزي (٣٧٠)، من طريق شريك بن عبد الله القاضي عن الركين بن الربيع عن يحيى بن يعمر، ومن طريق شريك عن عطاء بن السائب، عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر، وفيه الزيادة. اهـ

قال النسائي عقبه: والمحفوظ حديث عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر.

تنبيه: وسقط كلام النسائي هذا، ويحيى بن يعمر من الإسناد من المطبوع (٥٨٨٣)، الذي بين أيدينا الآن.

وقال الإمام الترمذي في جامعه (٥/ ٩٠)، بعد أن ذكر حديث عمر بن الخطاب: (وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، والصحيح هو ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ).

وقد جاء ذكر الزيادة في حديث أنس أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يجد العبد حلاوة الإيمان، حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحُلوه ومُرِّه**» رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» في كلامه على المسلسل، ص(٣١-٣٢)، وفي سنده يزيد الرقاشي وهو متروك.

وجاءت في حديث عدي بن حاتم، قال: أتيت النبي ﷺ فقال: «**يا عديُّ بن حاتم أسلم تسلم**» قلت: وما الإسلام؟ قال: «**تشهد أن لا إله إلا الله، وتشهد أني رسول الله، وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها، حُلوها ومُرِّها**» رواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٨١)، والبيهقي في «القضاء والقدر» رقم: (١٩٧، ١٩٨)، وهو من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك.

وجاءت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، أنَّ أبا بكر قال: إن الحسنات من الله والسئات من العباد. وقال عمر: الحسنات والسئات من الله، فتبع كلَّ واحد قوم، فلما رأوا النبي ﷺ، أخبروه فقال: «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكم بقضاء جبريل وإسرافيل وميكائيل**» فتعاظم ذلك في أنفس الناس فقالوا: يا رسول الله، وقد تكلم بهذا جبريل وميكائيل؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده، لهما أوَّلُ خلق الله تكلم فيه، فقال ميكائيل بقول أبي بكر، وقال جبريل بقول عمر، فقال: جبريل لميكائيل: إنَّا متى نختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض، خلهم فلنتحاكم إلى إسرافيل، فقضى بينهما بحقيقة القدر خيره وشره، حُلوه ومُرِّه كله من الله، وإنِّي قاضٍ بينكما**» ثُمَّ التفت إلى أبي بكر فقال: «**يا أبا بكر، إنَّ الله لو أراد ألا يعصى لم يخلق إبليس**» قال أبو بكر: صدق الله، وبلَّغت رُسلُه.

وتصرفت يسيرًا في أوله، وهو من طريق محمد بن يعلى عن عمر بن صبح التميمي الخرساني عن مقاتل عن عمرو بن شعيب به.

قال البيهقي عقبة تفرد به محمد بن يعلى الكوفي عن عمر بن صبح التميمي وكلاهما ضعيف. اهـ

قلت: بل عمر بن صبح كذَّاب وضَّاع.

قال البيهقي: وقد روى من وجه آخر أصح من هذا إسنادًا غير أني أخاف أن يكون غلطًا. ثم ذكره من طريق أبي القاسم البغوي، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا يحيى بن زكريا عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر. =

و(**الملائكة**): جمع مَلَك، وأصله مألك؛ من الألوكة، وهي الرسالة، وهم نوعٌ من خلق الله عز وجل، أسكنهم سماواته، ووكلهم بشؤون خلقه، ووصفهم في كتابه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبِّحون له بالليل والنهار لا يفترون.

فيجب علينا الإيمان بما ورد في حقهم من صفات وأعمال في الكتاب والسنَّة، والإمساك عمَّا وراء ذلك؛ فإن هذا من شؤون الغيب التي لا نعلم منها إلا ما علَّمنا الله ورسوله.

و(**الكتب**): جمع كتاب، وهو مِن الكَتْب؛ بمعنى: الجمع والضم، والمراد بها الكتب المنزَّلة من السماء على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والمعلوم لنا منها: صحف إبراهيم، والتوراة التي أُنزلت على موسى في الألواح، والإنجيل الذي أُنزل على عيسى، والزَّبور الذي أُنزل على داود، والقرآن الكريم الذي هو آخرها نزولًا، وهو المصدِّق لها، والمهيمن عليها، وما عداها يجب الإيمان به إجمالًا.

= وذكر في الحديث تماري أبي بكر وعمر، فقال أبو بكر يقدر الله الخير ولا يقدر الشر، وقال عمر: بل يقدرهما جميعًا، فذكر نحو ما تقدم في حديث عمرو بن شعيب، وليس فيه: إنَّ الله لو أراد ألا يُعْصى... إلخ.

وذكر الحديث ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٧٣)، من طريق البغوي عن داود بن رشيد، حدثنا يحيى أبو زكريا عن موسى بن عقبة به، وقال عقبة: هذا حديث موضوع بلا شك، والمتهم به يحيى، أبو زكريا. قال يحيى بن معين: هو دجال هذه الأمة، وقال ابن عدي: كان يضع الحديث ويسرق.

وذكر الحديث الذهبي في «الميزان» ترجمة يحيى بن زكريا، وقال صوابه، يحيى أبو زكريا، ولكن هكذا عند البغوي: [ابن زكريا]، وذكر كلام ابن الجوزي فيه، وقال: و لا ريب في وضع الحديث، وذكر أنه وجد الحديث في «أمالي ابن بشران» من طريق يحيى بن سابق عن موسى بن عقبة...

ويحيى بن سابق واه، وقال في ترجمته من «الميزان»: قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الثقات.

والحاصل أنَّ زيادة «**حُلوه ومُرِّه**» لا تصح والله أعلم.

و(**الرسل**): جمع رسول، وقد تقدم أنه من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه.

وعلينا أن نؤمن تفصيلًا بمَن سمَّى الله في كتابه منهم، وهم خمسة وعشرون، ذكرهم الشاعر في قوله:

في ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾[1] مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُ

إِدْرِيسُ هُودُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ... ذُو الكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

وأما مَن عدا هؤلاء من الرسل والأنبياء؛ فنؤمن بهم إجمالًا على معنى الاعتقاد بنبوَّتِهم ورسالتهم، دون أن نكلِّف أنفسنا البحث عن عدتهم وأسمائهم، فإن ذلك مما اختصَّ الله بعلمه؛ قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[النساء:١٦٤].

ويجب الإيمان بأنهم بلَّغوا جميعَ ما أُرسلوا به على ما أمرهم الله عز وجل، وبيَّنوه بيانًا لا يسع أحدًا ممَّن أُرسلوا إليه جهله، وأنهم معصومون من الكذب والخيانة، والكتمان والبلادة.

وأن أفضلهم أولو العزم، والمشهور أنهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح؛ لأنهم ذُكروا معًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٧].

وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[الشورى:١٣].

---

(١) يعني الشاعر قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام:٨٣-٨٦].

و(**البعث**) في الأصل: الإثارة والتحريك، والمراد به في لسان الشرع: إخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة؛ لفصل القضاء بينهم، فمن يعمل مثقال ذرَّة خيرًا يره، ومَن يعمل مثقال ذرَّةٍ شرًّا يره.

ويجب الإيمان بالبعث على الصفة التي بيَّنها الله في كتابه، وهو أنه جمعُ ما تحلَّل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا، وإنشاؤها خلقًا جديدًا، وإعادةُ الحياة إليها.

ومنكرو البعث الجثماني[(١)] - كالفلاسفة[(٢)] والنصارى[(٣)] - كُفّار، وأمّا مَن أقرَّ به ولكنه زعم أن الله يبعث الأرواح في أجسامٍ غير الأجسام التي كانت في الدنيا؛ فهو مبتدعٌ وفاسقٌ.

---

(١) الجثمان: الجسم كما في «لسان العرب» مادة (جثم). وفي بعض طرق حديث حذيفة الذي رواه مسلم برقم(١٨٤٧): «**وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**» الحديث.
ومن أهل العلم من يعبر عنه بالبعث الجسماني.

(٢) الفلسفة: كلمة يونانية، ومعناها: محبة الحكمة. والفيلسوف، أصله (فيلاسوفا)، فـ(فيلا)، هو المحب، و(سوفا)، هي الحكمة. وما أبعدهم عن الحكمة، إذ أن الحكمة ما جاءت به الرسل والأنبياء من العلم النافع والعمل الصالح. وهم بعيدون عن سبيل الأنبياء والمرسلين، والفلاسفة شركهم أشنع من شرك أهل الجاهلية.
قاله ابن تيمية في «الرد على المنطقيين» ص(١٠١)، وقال أيضًا ص(٤٥٧): إيمانهم كإيمان المنافقين.
وقال في ص(٣٣٧): أول من خلط منطق الفلاسفة بأصول المسلمين، أبو حامد الغزالي. اهـ
وهم لا يؤمنون بأصول الإيمان الستة، انظر «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٧٥)، وغيره.
ومن حاول الجمع بين «الشريعة» والفلسفة فقد حاول الجمع بين النقيضين، وقد ضل ضلالًا مبينًا، انظر شيئًا من هذه المحاولات والرد عليها في كتاب «بغية المرتاد» لابن تيمية وما كتبه المحقق في مقدمته.

(٣) في الرسالة «القبرصية» لابن تيمية رحمه الله، وهي ضمن «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٢١)، وهو يتكلم على النصارى، قال: ولا يؤمنون باليوم الآخر؛ لأن عامتهم وإن كانوا يقرون بقيامة الأبدان؛ لكنهم لا يقرون بما أخبر الله به من الأكل والشرب واللباس والنكاح، والنعم والعذاب، في الجنة والنار، بل غاية ما يقرون به من النعيم السماع والشم. =

وأما (**القدر**)؛ فهو في الأصل، مصدر تقول: قدرتُ الشيء - بفتح الدال وتخفيفها - أَقْدِرُهُ - بكسرها - قَدْرًا وقَدَرًا؛ إذا أحطتَ بمقداره.

والمراد به في لسان الشرع أن الله عز وجل علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلًا، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح قبل إحداثها؛ كما في الحديث: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَـهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ**»[(١)].

= وفيهم متفلسفة ينكرون معاد الأجساد. اهـ

وقول ابن تيمية رحمه الله (لأن عامتهم) يدل على أن القليل أنكر بعث الأبدان.

قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ٢٢٣): وفي النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان.

(١) حديث صحيح جاء عن عبادة، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وعلي بن أبي طالب، حديث عبادة وله طرق إلى الوليد بن عبادة، وقليل منها إلى عبادة بن الصامت هو بها صحيح لغيره:

١- ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه مرفوعًا فذكره، عند أحمد (٥/ ٣١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم: (١٠٣)، وابن لهيعة ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله ثقات.

٢- معاوية بن صالح، ثنا أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه به، عند ابن أبي شيبة (١٤/ ١١٤)، وأحمد (٥/ ٣١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٧)، والآجري في «الشريعة» ص(١٧٧، ١٧٨).

ومعاوية بن صالح حسن الحديث على أقل الأحوال، وأيوب بن زياد روى عنه جماعه، وذكره ابن حبان في «الثقات».

٣- عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت به، عند أبي داود الطيالسي رقم: (٥٧٧)، ومن طريقه الترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم: (١٥٠)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» أول سورة القلم، وأخرجه ابن جرير في أول تفسير القلم، والبخاري في «التأريخ الكبير» (٦/ ٩٢)، وقال عبد الواحد بن سليم فيه نظر.

بقية بن الوليد عن معاوية بن سعيد قال حدثني عبد الله بن السائب عن عطاء بن أبي رباح قال: سألت الوليد بن عبادة: كيف كانت وصية أبيك حين حضرته الوفاة؟ قال: أي بني سمعت رسول الله ﷺ فذكره، بقية مدلس ولم يصرح بالتحديث، ومعاوية بن سعيد مجهول حال وبقية رجاله ثقات. =

= ٥- معاوية بن يحيى عن الزهري عن محمد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه مرفوعًا فذكره، عند الآجري في «الشريعة» ص (١٧٨).

ومعاوية بن يحيى هو الصدفي، ضعيف، وما حدَّث بالشام أحسن مما حدَّث بالريّ، قال الأخ عبد الله بن عمر محقق «الشريعة» محمد بن عبادة بن الصامت: لم أجد له ترجمة، ولم أجده مذكورًا في أولاد عبادة، ولا فيمن روى عنه، فيما لدي من المراجع.

قلت: والحديث معروف عن الوليد بن عبادة كما تقدم.

٦- إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة قال: قال عبادة لابنه مرفوعًا، فذكره عند أبي داود رقم: (٤٧٠٠).

وأبو حفصة هو حبيش الحبشيُّ الشامي، قال الحافظ تابعيٌّ مقبول، ووهم من ذكره في الصحابة، ومعنى (مقبول) عنده يعني إن توبع وإلا فلين، وإبراهيم ثقة.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٤٨)، رقم: (١٠٢)، من طريق إبراهيم بن أبي عبلة، حدثني أبو عبد العزيز الأردني عن عبادة مرفوعًا.

قال المزي في «تهذيب الكمال» ترجمة أبي حفصة: (وقد اختلف في إسناده، فقيل عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة، وقيل: عن إبراهيم عن أبي يزيد عن عبادة، وقيل عن إبراهيم عن أبي عبد العزيز الأُزْدُيَّ عن عبادة). اهـ

٧- وأخرجه ابن وهب في كتاب «القدر» رقم: (٢٦)، كما في تحقيق «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٢٤١)، قال: أخبرني عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه، قال: قال عبادة بن الصامت؛ فذكره مرفوعًا ورجال الإسناد ثقات غير أنه منقطع بين سليمان بن مهران وعبادة. اهـ

حديث عبد الله بن عباس: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم: (١٠٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤/ ٢١٧)، رقم: (٢٣٢٩)، وابن جرير في أول تفسير «القلم» وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: (٨٥٤)، ومن طريقه وغيره الطبراني (١٢/ ٦٨-٦٩)، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم: (٨٠٣)، وفي «السنن الكبرى» (٩/ ٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٨١)، وغيرهم.

كلهم من طريق عبد الله بن المبارك، عن رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره. ورجاله ثقات.

وقد خالف عمر بن حبيب، وهو ثقة حافظ، هشامٌ الدستوائي، وهو ثقة ثبت رمي بالقدر، فرواه عن القاسم بن أبي بزة، قال: ثنا عروة بن عامر أنه سمع ابن عباس يقول، فذكره موقوفًا، كما في تفسير ابن جرير، تفسير سورة الزخرف آية (٤)، وعروة بن عامر مختلف في صحبته والصحيح أنه تابعي، روى عنه جمع وذكره ابن حبان في «الثقات».

ومما يرجح رواية الوقف أمور: =

= ١- أثبتية هشام الدستوائي.
٢- أنه سلك غير الجادة، وعمر بن حبيب سلك الجادة.
٣- أنه قد جاءت عدة طرق موقوفة، وهي صحيحة.

الأولى: أخرجها الآجري في «الشريعة» (ط)، دار الوطن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان رقم: (٣٥١، ٤٤٤، ٦٦٦)، وابن جرير في تفسير أول سورة القلم، واللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٦٩)، رقم: (١٢٢٣)، من طرق عن سفيان الثوري عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس، وهذا لفظه عند ابن جرير والآجري في الموضع الأول: (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا، فكان أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه)، وهذا إسناد صحيح جدًا، وأبو هاشم هو إسماعيل بن كثير الحجازي ثقة، وقد رواه ابن جرير أيضًا من طريق شعبة عن أبي هاشم به، غير أنه تردد في الصحابي أهو ابن عباس أو ابن عمر، وهذا لا يضر، فقد جاء من طريق سفيان الثوري، وهو أرجح مجزومًا به، بأنه ابن عباس.

الثانية: أخرجها الآجري في «الشريعة» ص (١٧٨، ١٧٩)، من طريق ابن مسهر، وابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١٤)، من طريق شعبة وسفيان، ومحمد بن فضيل، ووكيع، والحاكم (٢/ ٤٩٨)، من طريق جرير، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣)، و «الأسماء والصفات» رقم: (٨٠٤)، من طريق وكيع، كلهم عن الأعمش عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، فذكره، هذا إسناد صحيح وإن عنعن فيه الأعمش، فقد رواه عنه ممن هو ثبت فيه، وأيضًا قد تابعه الحكم بن عُتَيبة، وهو ثقة ثبت فقيه ربما دلس، عند عبد الله بن أحمد في «السنة» ص (١٣١)، غير محقق. والمحقق برقم: (٨٧٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٩)، رقم الحديث: (٢١٩).

وأبو ظبيان هو حصين بن جندب، ورواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١٥)، من طريق معمر عن الأعمش أن ابن عباس.

قلت: ورواية الجماعة عن الأعمش بذكر (أبي ظبيان) هو المحفوظ.

ورواه ابن جرير في «تفسيره» أيضًا (٢٥/ ١٥٦)، (٢٩/ ١٥)، من طريق ثابت الثمالي عن ابن عباس، وهذا إسناد ضعيف بمرة، ففيه محمد بن حميد شيخ الطبري كذاب.

والثمالي هذا ضعيف، وبينه وبين ابن عباس انقطاع.

الثالثة: أخرجها عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: (٨٧١، ٨٩٤)، ط. محققة، فقال رحمه الله: حدثني أبي، نا جرير، عن عطاء عن أبي الضحى، عن ابن عباس موقوفًا، وعطاء هو ابن السائب ثقة، اختلط بآخره، وجرير ممن روى عنه بعد الاختلاط.

وأخرجه الآجري في «الشريعة» ص(١٧٨)، من طريق أبي هشام الرفاعي، قال حدثنا محمد بن فضيل، قال: حدثنا عطاء به. =

= وأبو هشام الرفاعي هو محمد بن يزيد العجلي، ضعيف جدًا، فقد كذبه عثمان بن أبي شيبة، وقال ابن نمير: كان يسرق الحديث، وهو أحد الكذابين الأربعة، عند ابن معين، كما في «الميزان» ترجمة (حميد ابن الربيع)، وقال البخاري رأيتهم مجمعين على ضعفه.

وأيضًا قال أبو حاتم في ترجمة (عطاء بن السائب): ما روى عنه ابن فضيل، بلغني فيه غلط، واضطراب رفع أشياء عن الصحابة كان يرويها عن التابعين.

وأخرجه الطبراني (١١/ ٤٣٣)، من طريق مؤمل بن إسماعيل، ثنا حماد بن زيد عن عطاء به، مرفوعًا، وقال عَقِبه: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل. اهـ

ومؤمل بن إسماعيل ضعيف.

وهذه -والله أعلم- إشارة إلى أن المحفوظ في هذه الطريق الوقف، لا سيما وقد رواه عطاء من وجه آخر موقوفًا كما في «الشريعة» للآجري ص(١٧٨)، و «الكنى» للدولابي (٢/ ٢٢)، من طريق عصمة أبي عاصم عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس.

وقد ذكر الأخ عبد الله بن عمر في تحقيقه «للشريعة» للآجري (١/ ٥٢٠)، أن ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٠٧)، رواه من طريق عبد الملك بن ميسرة عن مقسم به.

وفي (٢/ ١٠٩)، من طريق أبي الأشعث به، وشيخنا أبو عبد الرحمن الوادعي رحمه الله رجح في الحديث الوقف كما في «أحاديث معلة» ص(٢٠٥)، و«والجامع الصحيح في القدر» ص(١٠٠-١٠٢).

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم: (١٠٦)، فقال: ثنا ابن مصفى، ثنا بقية، حدثني أرطأة بن المنذر عن مجاهد بن جبر عن ابن عمر مرفوعًا فذكره، وأخرجه الآجري في «الشريعة» ص: (١٧٥)، من طريق أبي توبة الربيع بن نافع وأبي أنس مالك بن سليمان الألهاني الحمصي عن بقية بن الوليد عن أرطأة بن المنذر به، غير أن مالك بن سليمان الألهاني قال: عن مجاهد بن جبر أنه بلغه عن ابن عمر، ومالك بن سليمان ضعيف زِدْ على ذلك أنه خالف اثنين:

١- الربيع بن نافع، وهو ثقة حجة عابد من رجال الشيخين.

٢- ابن مصفى. ورواية مجاهد عن ابن عمر في الصحيحين.

وهذا إسناد حسن، وبقية بن الوليد صدوق يدلس، ولكنه قد صرح بالتحديث عند ابن أبي عاصم.

حديث أبي هريرة عند الآجري في «الشريعة» ص(١٧٧)، وابن عساكر في «تأريخ دمشق» (٥٦/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم مختصرًا، كما في تفسير ابن كثير أول سورة القلم، وقال: غريب جدًا، وابن بطة، كلهم من طريق الحسن بن يحيى الخشني، وهو متروك الحديث، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢٧٢)، من طريق محمد بن وهب الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا مالك بن أنس عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. ومحمد بن وهب الدمشقي (ذاهب الحديث)، قاله ابن عساكر كما في «اللسان». =

= وقال ابن عدي: (وهذا بهذا الإسناد باطل منكر)، ولمحمد بن وهب بن عطية غير حديث منكر، ولم أر للمتقدمين فيه كلامًا، وقد رأيتهم قد تكلموا فيمن هو خير منه. اهـ «الكامل».

وقال الدارقطني كما في «اللسان»: هذا حديث غير محفوظ عن مالك ولا عن سمي...

حديث علي بن أبي طالب، أخرجه الخطيب في «تأريخ بغداد» (١٣/ ٤٠)، وفي سنده أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن الأصفهاني، ترجمة الخطيب في «تأريخه» (١١/ ٣٩٨) فقال: قال فيه أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي: كان أبو الفرج أكذب الناس، كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة، والدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري شيئًا كثيرًا من الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون رواياته كلها منها، -قلت: وهذا جرح مفسر- وكان أبو الحسن البتي يقول: لم يكن أحدٌ أوثق من أبي الفرج الأصبهاني.

فائدة: اختلف أهل العلم في أيهما خلق قبل الآخر العرش أم القلم.

ذهب طائفة إلى أن القلم سبق خلق العرش واستدلوا بالأحاديث المتقدمة، وهذا اختيار ابن جرير وابن الجوزي وغيرهما، فيما حكاه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٧)، ط. دار الكتب العلمية وغيره.

وذهب الجمهور إلى سبق خلق العرش، واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم (٢٦٥٣)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» ص(٢٦٥)، فهذا صريح أنَّ التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، لحديث عبادة هذا.

ولا يخلو قوله: «**أول ما خلق الله القلم**» إلخ، إما أن يكون جملةً أو جملتين، فإن كان جملة، -وهو الصحيح- كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: «**اكتب**»، كما في اللفظ: «**أول ما خلق الله القلم قال له: أكتب**» بنصب «**أولَ**» و«**القلمَ**»، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع «**أولُ**» و«**القلمُ**» فيتعين حملُه على أنه أول المخلوقات من هذا العالم فيتفق الحديثان. اهـ المراد.

ومما استدلوا به أيضًا حديث عمران بن حصين قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر. فقال: «**كان الله ولم يكن شيء غيرُه، وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**» رواه البخاري رقم: (٣١٩١)، من بدء الخلق، وفي كتاب التوحيد رقم: (٧٤١٨)، وفيه: «**ولم يكن شيء قبله**» «**ثم خلق السموات والأرض**».

والذي يؤيد هذا القول قول ابن عباس بلفظ ابن جرير والآجري كما بيناه في التخريج.

وهذا اختيار ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٧)، وابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢١٥)، وابن القيم كما في «النونية» بشرح محمد خليل هراس (١/ ٣٧٥).

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[الحديد:٢٢].

(**وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ [العَزِيزِ]**[(١)]، **وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ**).

/ش/ وقوله: (**ومن الإيمان بالله... إلخ**): هذا شروعٌ في التفصيل بعد الإجمال، و(من) هنا للتبعيض، والمعنى ومن جملة إيمان أهل السنة والجماعة بالأصل الأول الذي هو أعظم الأصول وأساسها، وهو الإيمان بالله: أنهم يؤمنون بما وصف به نفسه... إلخ.

وقوله: (**من غير تحريف**) متعلِّقٌ بالإيمان قبله؛ يعني أنهم يؤمنون بالصفات الإلهية على هذا الوجه الخالي من كل هذه المعاني الباطلة؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفتُ الشيء عن وجهه حرفًا، من باب ضرب؛ إذا أملته وغيرته، والتشديد للمبالغة.

وتحريف الكلام: إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدلُّ عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوحٍ، فلا بد فيه من قرينةٍ تبيِّن أنه المراد.

وأما التعطيل؛ فهو مأخوذ من العطل، الذي هو الخلوُّ والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾[الحج:٤٥].

---

(١) غير موجود في (أ)، و(م).

أي: أهملها أهلها، وتركوا وِرْدها.

والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى.

فالفرق بين التحريف والتعطيل: أن التعطيل نفيٌ للمعنى الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، وأمّا التحريف؛ فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدلُّ عليها.

والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، فإن التعطيل أعمُّ مطلقًا من التحريف؛ بمعنى أنه كلما وجد التحريف؛ وجد التعطيل؛ دون العكس، وبذلك يوجدان معًا فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق، ويوجد التعطيل بدون التحريف فيمن نفي الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وزعم أن ظاهرها غير مرادها، ولكنه لم يُعَيِّن لها معنًى آخر، وهو ما يسمونه بالتفويض.

ومن الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السَّلف؛ كما نسب ذلك إليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم، فإن السلف لم يكونوا يفوِّضون في علم المعنى، ولا كانوا يقرؤون كلامًا لا يفهمون معناه؛ بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله عز وجل، ثم يفوِّضون فيما وراء ذلك من كُنْهِ الصفات أو كيفيَّاتها؛ كما قال مالك حين سُئِلَ عن كيفية استوائه تعالى على العرش: (الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ)[1].

---

(١) صحيح، رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٦، ٨٦٧)، وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥- ٣٢٦)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» رقم: (٢٥، ٢٦)، واللالكائي (٦٦٤)، من طرق أن رجلًا دخل على الإمام مالك، فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥] فكيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه=

وأما قوله: (**ومن غير تكييف ولا تمثيل**)؛ فالفرق بينهما أن التكييف أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف.

وأما التمثيل؛ فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

وليس المراد من قوله: (**من غير تكييف**) أنهم ينفون الكيف مطلقًا؛ فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.

= الرحضاء، ثم قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا، فأمر به فأخرج).

قال الذهبي رحمه الله في «العلو» ص(١٠٣): وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب، قال: كنت عند مالك فدخل رجل فقال، فذكره.

وروى يحيى بن يحيى التميمي وجعفر، وطائفة قالوا جاء رجل إلى مالك فذكره، ثم قال: هذا ثابت إلى مالك وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل «السنة» قاطبة. اهـ

وجَوَّد بعض أسانيده الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧).

وصح نحوه عن ربيعة الرأي رواه اللالكائي رقم: (٦٦٥)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (٩٠)، والذهبي في «العلو» ص: (٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٨).

وجاء عن أم سلمة، أخرجه اللالكائي (٦٦٣)، وعنه ابن قدامة في كتاب «إثبات صفة العلو» (٨٢)، وعنه الذهبي في «العلو» ص(٦٥)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» رقم: (٢٣)، تحقيق بدر البدر من طريق محمد بن عمر بن محمد بن الأشرس أبي كنانة عن أبي عمير - وفي عقيدة السلف (أبي المغيرة الحنفي) عن قرة بن خالد، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة.

ومحمد بن أشرس قال الذهبي في «الميزان»: مُتَّهمٌ في الحديث تركه أبو عبد الله الأخرم الحافظ وغيره. اهـ

قال الذهبي عقبه: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح؛ لأن أبا كنانة ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه.

وقال ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥): وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

(بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ[١] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]).

/ ش/ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾؛ هذه الآية المحكمة من كتاب الله عز وجل هي دستور[٢] أهل السنة والجماعة في باب الصفات، فإن الله عز وجل قد جمع فيها بين النفي والإثبات، فنفى عن نفسه المثل، وأثبت لنفسه سمعًا وبصرًا، فدلَّ هذا على أن المذهب الحق ليس هو نفي الصفات مطلقًا؛ كما هو شأن المعطِّلة، ولا إثباتها مطلقًا؛ كما هو شأن الممثِّلة؛ بل إثباتها بلا تمثيل.

وقد اختُلِفَ في إعراب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على وجوه؛ أصحُّها: أن الكافَ صلةٌ زيدَت للتأكيد؛ كما في قول الشاعر:

لَـيْسَ كَمِثْـلِ الفَتَـى زُهَـيْرٍ خَلْـقٌ يُوَازِيـهِ فِي الفَـضَائِلِ

---

(١) بعد لفظ لفظ الجلالة: في (أ): تعالى، وفي (م): سبحانه.

(٢) الأولى أن يقال هي أصل عند أهل السنة، أو قاعدة، لأنَّ (الدستور)، بالضم كلمة فارسية معربة، قال الصاغاني: هو اسم (النسخة المعمولة للجماعات)، كالدفاتر... ويجمع فيها قوانين الملك وضوابطه... واستعمله الكُتَّاب في الذي يدير أمر الملك تجوزًا. وفي «مفاتيح العلوم» لابن كمال باشا (الدستور)، نسخة الجماعة ثم لُقِبَ به الوزير الكبير الذي يرجع إليه فيما يرسم في أحوال الناس؛ لكونه صاحب هذا الدفتر... اهـ من «تاج العروس» (٣/ ٢٠٧).

وقال الجرجاني في «تعريفاته» ص(١٠٣): الدستور الوزير الكبير الذي يرجع في أحوال الناس إلى ما يرسمه.

(فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، [وَلاَ يُكَيِّفُونَ][1] وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

/ ش/ وقوله: **(فلا يَنْفونَ عنه.. إلخ)** تفريعٌ على ما قبله؛ فإنهم إذا كانوا يؤمنون بالله على هذا الوجه؛ فلا ينفون ولا يحرِّفونَ، ولا يكيِّفون ولا يمثِّلُون.

والمواضع: جمع موضع، والمراد بها المعاني التي يجب تنزيل الكلام عليها؛ لأنها هي المتبادرة منه عند الإطلاق، فهم لا يعدِلون به عنها.

وأما قوله: **(ولا يُلْحِدون في أسماء الله وآياته)**؛ فقد قال العلامة ابن القيِّم رحمه الله: (والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها؛ مأخوذٌ من الميل؛ كما يدل عليه مادة (ل ح د)، فمنه اللحد، وهو الشق في جانب القبر، الذي قد مال عن الوسط، ومنه المُلْحِد في الدين: المائل عن الحق، المُدْخِل فيه ما ليس منه). اهـ

فالإلحاد فيها إما أن يكون بجحدها وإنكارها بالكليَّة، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الفاسدة، وإما بجعلها أسماء لبعض المُبتَدَعات؛ كإلحاد أهل الاتحاد.

وخلاصة ما تقدم: أن السلف رحمهم الله يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله ﷺ إيمانًا سالمًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته بابًا واحدًا؛ فإن الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، يُحْتَذَى فيه حَذْوُه، فإذا كان إثبات الذات إثباتَ وجودٍ لا إثبات تكييف؛ فكذلك إثبات الصفات.

---

(١) سقط من (أ).

وقد يعبِّرون عن ذلك بقولهم: (تُمَرُّ كَما جاءت بلا تأويل)، ومَن لم يفهم كلامهم؛ ظنَّ أنّ غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرُّض للمعنى، وهو باطل، فإن المراد بالتأويل المنفي هنا هو حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصَفُ الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث).

وقال نُعيم بن حمَّاد (شيخ البخاري):

(مَن شبَّه اللهَ بخلقه؛ كفر، ومَن جحد ما وصف الله به نفسه؛ كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهٌ ولا تمثيلٌ)[(١)].

(لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، [وَلاَ كُفْءَ][(٢)] لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ).

/ش/ قوله: **(لأنه سبحانه لا سمي له... إلخ)**؛ تعليل لقوله فيما تقدم إخبارًا عن أهل السنة والجماعة: **(لا يكيِّفون ولا يمثِّلون)**.

ومعنى: **(لا سميَّ له)** أي: لا نظير لـه يستحقُّ مثل اسمه، أو لا مسامِيَ له يساميه، وقد دلَّ على نفيه قوله تعالى في سورة مريم: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[مريم:٦٥].

فإن الاستفهام هنا إنكاريٌّ[(٣)]، معناه النفي.

---

(١) رواه اللالكائي في «أصول أهل السنة» رقم: (٩٣٦)، والإمام الذهبي كما في «مختصر العلوم» رقم: (٢١٧)، وصححه الذهبي والألباني -رحمهما الله-.

(٢) في (أ)، و(م): ولا كفو.

(٣) ضابط الاستفهام الأنكاري: أن يكون ما بعده غير واقع ومدعيه كاذب.

وضابط الاستفهام التوبيخي: أن يكون ما بعده واقع وفاعله ملوم نحو: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾[الشعراء:١٢٨].

وضابط الاستفهام التقريري: أن تحمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عنده ثبوته، أو نفيه كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾[الشرح:١]، هذا مثال لما استقر عنده ثبوته، ومثال لما استقر عنده نفيه قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[المائدة:١١٦].

وليس المراد من نفي السميِّ أن غيره لا يسمَّى بمثل أسمائه، فإن هناك أسماء مشتركة بينه وبين خلقه، ولكنَّ المقصود أن هذه الأسماء إذا سمِّي الله بها؛ كان معناها مختصًّا به لا يَشْرَكُهُ فيه غيره، فإن الاشتراك إنما هو في مفهوم الاسم الكلِّي، وهذا لا وجود لـه إلاَّ في الذهن، وأما في الخارج؛ فلا يكون المعنى إلا جزئيًّا مختصًّا، وذلك بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف إلى الرَّبِّ؛ كان مختصًّا به، لا يشاركه فيه العبد، وإن أضيف إلى العبد كان مختصًّا به لا يشاركه فيه الرب.

وأما الكفء؛ فهو المكافئ المساوي، وقد دلَّ على نفيه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص:٤].

وأما النِّدُّ؛ فمعناه المساوي المناوئ؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].[1]

(ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى).

/ ش/ وأما قوله: (**ولايُقاسُ بخلقه**)؛ فالمقصود به أنه لا يجوز استعمال شيءٍ من الأقيسة التي تقتضي المماثلة والمساواة بين المَقِيس والمَقِيس عليه في الشئون الإلهية.

وذلك مثل قياس التمثيل الذي يعرِّفه علماء الأصول بأنه إلحاق فرع بأصل في حكمٍ جامع؛ كإلحاق النبيذ[2] بالخمر في الحرمة لاشتراكهما في علة الحكم، وهي الإسكار.

---

(١) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**».

(٢) النبيذ إذا بلغ درجة الإسكار؛ فيدخل تحت حديث ابن عمر مرفوعًا «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**» رواه مسلم. ومن الأمثلة السالمة من الإيراد إلحاق العبد بالأمة في قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[النساء:٢٥].

فقياس التمثيل مبنيٌّ على وجود مماثلة بين الفرع والأصل، والله عز وجلَّ لا يجوز أن يمثَّل بشيء من خلقه.

ومثل قياس الشمول المعروف عند المناطقة بأنه الاستدلال بكليٍّ على جزئيٍّ بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكُلِّي.

فهذا القياس مبنيٌّ على استواء الأفراد المُنْدَرِجة تحت هذا الكُلِّي، ولذلك يُحكَم على كل منها بما حُكِمَ به عليه. ومعلومٌ أنه لا مساواة بين الله عز وجل وبين شيء من خلقه.

وإنما يُستعمل في حقه تعالى قياس الأوْلى، ومضمونه أن كلَّ كمال ثبت للمخلوق وأمكن[1] أن يتَّصف به الخالق؛ فالخالق أولى به من المخلوق، وكلَّ نقصٍ تَنَزَّهَ عنه المخلوق؛ فالخالق أحق بالتنزُّه عنه.

---

(١) وذلك بأن يدل على هذا الكمال النقل الصحيح، والعقل الصريح، موافق له ولا شك، فخرج بهذا ما يكون كمالًا في حق المخلوق ونقصًا في حق الخالق، كالأكل والشرب والزواج.

قال ابن تيمية في بحث له حول الكمال، كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٨٧): وأما الشرط الآخر، وهو قولنا: الكمال الذي لا يتضمن نقصًا -على التعبير بالعبارة السديدة- أو الكمال الذي لا يتضمن نقصًا يُمكن انتفاؤه -على عبارة من يجعل ما ليس بنقص نقصًا. فاحترز عما هو لبعض المخلوقات كمال دون بعض، وهو نقصٌ بالإضافة إلى الخالق لاستلزامه نقصًا، كالأكل والشرب مثلًا، فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان، أكمل من المريض الذي لا يشتهي الأكل والشرب، لأن قوامه بالأكل والشرب. فإذا قدر غير قابل له كان ناقصًا عن القابل لهذا الكمال؛ لكن هذا يستلزم حاجة الآكل والشارب إلى غيره، وهو ما يدخل فيه من الطعام والشراب، وهو مستلزم لخروج شيء منه، كالفضلات، وما لا يحتاج إلى دخول شيء فيه أكمل ممن يحتاج إلى دخول شيء فيه، وما يتوقف كماله على غيره انقص مما لا يحتاج في كماله إلى غيره فإن الغني عن شيء أعلى من الغني به، والغني بنفسه أكمل من الغني بغيره. =

وكذلك قاعدة الكمال التي تقول: إنه إذا قُدِّر اثنان: أحدهما موصوف بصفة كمال، والآخر يمتنع عليه أن يتصف بتلك الصفة؛ كان الأول أكمل من الثاني، فيجب إثبات مثل تلك الصفة لله ما دام وجودها كمالًا وعدمها نقصًا.

(فَإِنَّهُ [سبحانه][(١)] أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ [مُصَدَّقون][(٢)] ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ).

/ ش/ قوله: (**فإنه أعلم بنفسه وبغيره...**) إلى قوله: (... **ثم رسله صادقون مصدوقون**)؛ تعليلٌ لصحَّة مذهب السلف في الإيمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة؛ فإنه إذا كان الله عز وجل أعلم بنفسه وبغيره، وكان أصدق قولًا وأحسن حديثًا، وكان رسله عليهم الصلاة والسلام صادقين في كل ما يخبرون به عنه، معصومين من الكذب عليه والإخبار عنه بما يخالف الواقع؛ وجب التعويل إذًا في باب الصفات نفيًا وإثباتًا على ما قاله الله وقاله رسوله الذي هو أعلم خلقه به، وأن لا يُتْرك ذلك إلى قول مَن يفترون على الله الكذب ويقولون عليه ما لا يعلمون.

= ولهذا كان من الكمالات ما هو كمالٌ للمخلوق، وهو نقص بالنسبة إلى الخالق، وهو كل ما كان مستلزمًا لإمكان العدم عليه المنافي لوجوبه وقيوميته، أومستلزمًا للحدوث المنافي لعدمه، أو مستلزمًا لفقره المنافي لغناه. اهـ المراد. وانظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٩٧-٢٩٨).

وقولهم: وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه.

هذا ليس على إطلاقه؛ فهناك أشياء هي نقص في حق المخلوق وتعتبر كمالًا في حق الخالق كالكبرياء، والربوبية، وتزكية النفس أحيانًا.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) في (أ): (مصدَّقون) كما هو مثبت، وفي (م): (مصدوقون).

وبيان ذلك أن الكلام إنما تَقْصُر دلالته على المعاني المُرادة منه لأحد ثلاثة أسباب: إما لجهل المتكلم وعدم علمه بما يتكلَّم به، وإما لعدم فصاحته وقدرته على البيان، وإما لكذبه وغشه وتدليسه. ونصوص الكتاب والسنة بريئة من هذه الأمور الثلاثة من كل وجه، فكلام الله وكلام رسوله في غاية الوضوح والبيان؛ كما أنه المثل الأعلى في الصدق والمطابقة للواقع؛ لصدوره عن كمال العلم بالنسب الخارجية، وهو كذلك صادر عن تمام النصح، والشفقة، والحرص على هداية الخلق وإرشادهم.

فقد اجتمعت له الأمور الثلاثة التي هي عناصر الدلالة والإفهام على أكمل وجه.

فالرسول ﷺ أعلم الخلق بما يريد إخبارهم به، وهو أقدرهم على بيان ذلك والإفصاح عنه، وهو أحرصهم على هداية الخلق، وأشدُّهم إرادة لذلك، فلا يمكن أن يقع في كلامه شيء من النقص والقصور؛ بخلاف كلام غيره؛ فإنه لا يخلو من نقص في أحد هذه الأمور أو جميعها، فلا يصح أن يُعْدَلَ بكلامه كلام غيره؛ فضلًا عن أن يُعْدَلَ عنه إلى كلام غيره؛ فإن هذا هو غاية الضلال، ومنتهى الخذلان.

(**وَلِهَذَا قَالَ [سبحانه وتعالى]**[1]: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الصافات:١٠٨-١١٠].

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ).

/ ش/ قوله: (**ولهذا قال... إلخ**)؛ تعليلٌ لما تقدّم من كون كلام الله وكلام رسولـه أكمل صدقًا، وأتمَّ بيانًا ونصحًا، وأبعد عن العيوب والآفات من كلام كل أحد.

---

(١) سقط من المطبوع.

و(**سبحان**)؛ اسم مصدر من التسبيح، الذي هو التنزيه والإبعاد عن السوء، وأصله من السَّبْح، الذي هو السرعة والانطلاق والإبعاد، ومنه فرسٌ سبوح؛ إذا كانت شديدة العدو.

وإضافة الرب إلى العزة من إضافة الموصوف إلى صفته، وهو بدل من الرب قبله.

فهو سبحانه ينزِّه نفسه عما ينسبه إليه المشركون من اتخاذ الصَّاحبة والولد، وعن كل نقص وعيب، ثم يسلِّم على رسله عليهم الصلاة والسلام بعد ذلك؛ للإشارة إلى أنه كما يجب تنزيه الله عز وجل وإبعاده عن كل شائبة نقص وعيب، فيجب اعتقاد سلامة الرسل في أقوالهم وأفعالهم من كل عيب كذلك، فلا يكذبون على الله، ولا يشركون به، ولا يغشُّون أممهم، ولا يقولون على الله إلا الحق.

قوله: (**والحمدُ لله رب العالمين**)؛ ثناءٌ منه سبحانه على نفسه بماله من نعوت الكمال، وأوصاف الجلال، وحميد الفعال، وقد تقدم ص(١٦-١٨) الكلام على معنى الحمد، فأغنى عن إعادته.

(**وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ**).

/ ش/ لَمَّا بيَّن فيما سبق أن أهل السنة والجماعة يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ولم يكن ذلك كله إثباتًا ولا كله نفيًا؛ نبَّه على ذلك بقوله: (**وهو سبحانه قد جمع... إلخ**).

واعلم أنَّ كلاً من النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجملٌ ومفصَّلٌ.

أما الإجمال في النفي؛ فهو أن يُنفَى عن الله عز وجل كلُّ ما يضادُّ كمالـه من أنواع العيوب والنقائص؛ مثل قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات:١٥٩].

وأما التفصيل في النفي؛ فهو أن يُنَزَّهَ الله عن كل واحد من هذه العيوب والنقائص بخصوصه، فينَزَّهُ عن الوالد، والولد، والشريك، والصاحبة، والند، والضد، والجهل، والعجز، والضلال، والنسيان، والسِّنة، والنوم، والعبث، والباطل... إلخ.

ولكن ليس في الكتاب ولا في السنة نفيٌ محضٌ؛ فإن النفي الصرف لا مدح فيه، وإنما يُراد بكل نفيٍ فيهما إثبات ما يضاده من الكمال: فنفي الشريك والند؛ لإثبات كمال عظمته وتفرُّده بصفات الكمال، ونفي العجز؛ لإثبات كمال قدرته، ونفي الجهل؛ لإثبات سعة علمه وإحاطته، ونفي الظلم؛ لإثبات كمال عدلـه، ونفي العبث؛ لإثبات كمال حكمته، ونفي السِّنة والنوم والموت؛ لإثبات كمال حياته وقيُّومِيَّته.. وهكذا.

ولهذا كان النَّفي في الكتاب والسنة إنما يأتي مجملًا في أكثر أحواله؛ بخلاف الإثبات؛ فإن التفصيل فيه أكثر من الإجمال؛ لأنه مقصود لذاته.

وأما الإجمال في الإثبات؛ فمثل إثبات الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمـجد المطلق، ونحـو ذلـك؛ كما يشـير إليه مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠].

وأما التفصيل في الإثبات؛ فهو متناوِلٌ لكل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة، وهو من الكثير بحيث لا يمكن لأحد أن يحصيه؛ فإن منها ما اختص الله عز وجل بعلمه؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**سُبْحَانَكَ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[(١)].

وفي حديث دعاء المكروب: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ من ليلة في الفراش، فالتمستُهُ، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك. وأعوذ بك مِنْكَ، لا أحصي ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك**».

(٢) هذا قطعة من حديث ابن مسعود، أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، وابن أبي شيبة وفي «المصنف» (١٠/ ٢٥٣)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٩٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩-٥١٠)، وغيرهم من طريق أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود مرفوعًا فذكره بطوله.

قال الحاكم عقبه: حديث صحيح على شرط مسلم إنْ سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه؛ فإنه مختلفٌ في سماعه من أبيه.

فتعقبه الذهبي بقوله: أبو سلمة لا يُدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة. اهـ

وأيضًا القاسم بن عبد الرحمن لم يخرج له مسلم.

وأما قول الحاكم: إنْ سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه إلخ، فقد أثبت غير واحد سماعه من أبيه، فالمثبت مقدم على النافي.

وأبو سلمة الجهني، قال الذهبي في «الميزان» أيضًا، والحسيني كما في «تعجيل المنفعة»: لا يُدرى من هو.

وقال الحسيني مرة: مجهول.

وأقر الحافظ هذا في «تعجيل المنفعة».

وقال في «اللسان»: والحق أنَّه مجهول حال.اهـ

والصحيح أنه مجهول عين؛ فلم أر من الرواة عنه سوى فضيل بن مرزوق.

وفي الكنى للدولابي قال ابن معين: آراه موسى الجهني. =

(فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ).

/ ش/ قوله: (**فلا عُدولَ... إلخ**)؛ هذا مترتِّبٌ على ما تقدم من بيان أن ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الحق الذي يجب اتِّباعه، ولا يصحُّ العدول

= قلت: فلم يجزم بذلك، وهذا الظن منه رحمه الله لا يعارض به جَزْم مَنْ جَزَم من الأئمة بأنه غيره.

ومن جعل أبا سلمة الجهني هو موسى الجهني وهو من رجال «التهذيب» فقد أخطأ، والله أعلم. انظر التحقيق على مسند أحمد (٦/ ٢٤٧)، ط. الرسالة.

وقد تابع أبا سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن به، عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة عند ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٢)، والبزار، كما في «كشف الأستار» (٣١٢٢)، وهوضعيف جدًا، كما ترى ذلك في ترجمته من «تهذيب التهذيب» فلا يُفرح بمتابعته، ومع هذا فقد اختلف عليه في هذا الحديث. فرواه محمد بن صالح الثقفي عند البزار كما تقدم، ورواه عبد الواحد بن زياد عند ابن السني (٣٤٠)، وعلي بن مسهر، كما في «العلل» للدارقطني، كلاهما عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود مرسلًا. قال الدارقطني وإسناده ليس بالقوي.

وجاء الحديث عن أبي موسى الأشعري.

رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٩): فقال رحمه الله: حدثني أبو عروبة، ثنا عمرو بن هشام، ثنا مخلد بن يزيد، عن جعفر بن برقان، عن فياض، عن عبد الله بن زبيد عن أبي موسى مرفوعًا فذكره.

وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٦-١٣٧)، وعزاه إلى الطبراني، وقال: وفيه من لم أعرفه. اهـ

الحديث منقطع إنَّ لم يكن معضلًا، فعبد الله بن زبيد هو ابن الحارث اليامي الكوفي، روى عن أبيه، وروى عنه الكوفيون. قاله أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل» فعلى هذا فهو مجهول حال، وأبوه زبيد بن الحارث ثقة من السادسة كما في التقريب، وليست له رواية عن أحدٍ من الصحابة فكيف بابنه؟

وفياض لم يتبين لي من هو، وأبو عروبة هو الحسين بن محمد الحراني، ترجمه الذهبي في «السير» (١٤/ ٥١٠)، وقال: صاحب تصانيب، وذكر عن غيره: أنه كان حافظًا، ثبتًا عارفًا بالرجال والحديث. اهـ وبقية رجاله ثقات، من رجال «التهذيب»، والذي يظهر لي أن الحديثين لا يرتقيان إلى درجة الحسن لغيره، لما سبق، والله أعلم.

عنه، وقد علل بأنه الصراط المستقيم، يعني الطريق السويّ القاصد الذي لا عوج فيه ولا انحراف.

والصراط المستقيم لا يكون إلا واحدًا؛ من زاغ عنه أو انحرف وقع في طريقٍ من طرق الضلال والجَور؛ كما قال تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[الأنعام:١٥٣].

والصراط المستقيم هو طريق الأمة الوسط، الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، ولهذا أمرنا الله عز وجل وعلَّمنا أن نسأله أن يهدينا هذا الصراط المستقيم في كل ركعة من الصلاة؛ أي: يلهمنا ويوفقنا لسلوكه واتباعه، فإنه صراط الذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقًا.

(١- ب) أ **(وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الجُمْلَةِ مَا وَصَفَ [اللهُ][1] بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ/ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص]).

/ش/ قوله: (**وقد دخل... إلخ**)؛ شروعٌ في إيراد النصوص من الكتاب والسنة المتضمِّنة لما يجب الإيمان به من الأسماء والصفات في النفي والإثبات.

وابتدأ بتلك السورة العظيمة؛ لأنها اشتملت من ذلك على ما لم يشتمل عليه غيرها، ولهذا سُمِّيَتْ سُورة الإخلاص؛ لتجريدها التوحيد من شوائب الشرك والوثنية.

---

(١) زيادة من المطبوع.

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه في سبب نزولها: أن المشركين قالوا: يا محمد! انسب لنا ربك. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[1] إلخ السورة.

وقوله: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» يشهد لمعناه حديث عائشة رضي الله عنها الذي قبله، وما جاء في شفاعته ﷺ لأهل الموقف، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قوله ﷺ: «**فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي عزوجل ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي**»، وفيهما عن أنس رضي الله عنه: «**فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد**» وفي رواية: «**فأحمده بمحامد علمنيها**».

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله علمني اسم الله العظيم؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**قومي فتوضئي ثم ادعي حتى اسمع**»، قالت: ففعلت، فقلت: اللهم إني اسلك باسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم، وباسمك العظيم الأعظم، وباسمك الكبير الأكبر، فقال رسول الله ﷺ: «**اصبتِ والذي نفسي بيده**».

رواه الطبراني في «الدعاء» رقم (١١٨)، وفي سنده عبد الله بن صالح كاتب الليث، وإسحاق بن أسيد الخرساني، وفيهما ضعف، ورجل مبهم، وهو الراوي عن أنس عن عائشة.

والله يقول في القرآن ﴿ولا يحيطون بشيئ من علمه إلا بما شاء﴾ ومن هذه الأدلة يستفاد أن أسماء الله ليست محصورة بعدد معين، وأما ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إن لله تسعًا وتسعين اسمًا مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة**»، فهذا لا يدل على الحصر، وإنما هذا العدد من جملة أسمائه الكثيرة. وقد نقل النووي في «شرح مسلم» وغيره اتفاق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، وكأنهم لم يعتبروا بخلاف ابن حزم في هذه المسألة.

(١) ضعيف، جاء عن عدَّة من الصحابة: أبيّ بن كعب، وجابر، وعبد الله بن عباس، وأنس، وابن مسعود، وعبد الله بن سلام، ومراسيل ضعيفة فيما وقفت عليه من أسانيد. أحسن هذه الأحاديث، حديث جابر وفيه ضعف منجبر، ولم أجد له شاهدًا، تطمئن إليه النفس. وإليك سردها: حديث أبي الصحيح فيه الإرسال وهو ضعيف أيضًا، أخرجه أحمد (٥/ ١٣٣-١٣٤) والترمذي (٥/ ٤٥١) رقم: (٣٣٦٤) والطبري (٣٠/ ٣٤٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٩٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم: (٦٠٧) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤١) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢٣١) والبخاري في «التأريخ الكبير» (١/ ٢٤٥) وغيرهم كلهم من طريق أبي سعد محمد بن ميَّسر الصاغاني، حدثنا أبو جعفر الرازي، حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن=

= المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[سورة الإخلاص]. وفي بعض المصادر زيادة على هذا القدر.

ومحمد بن ميسَّر ضعيف، وقد تابعه محمد بن سابق عند الحاكم (٢/ ٥٤٠)، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء الصفات» (١/ ٩٢)، رقم: (٥٠) ومحمد هذا صدوق كما في التقريب.

وقد خالفهما عبيد الله بن موسى، عند الترمذي (٣٣٦٥)، وأبو النضر هاشم بن القاسم عند العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤١): وهما ثقتان، من رجال الجماعة، وتابعهما مهران بن أبي عمر العطار، عند الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٣٤٣)، لكنها من طريق شيخه محمد بن حميد الرازي، وهو كذاب، فلا يفرح بهذه المتابعة، فرووه عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن النبي صلى الله مرسلًا، لم يذكروا فيه أبيًا وقال البخاري في «التأريخ» بعد أن روى الطريق الموصولة: وقال عمار: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن النبي ﷺ مرسل. اهـ

وعبد الله بن أبي جعفر صدوق يخطئ، ولا شك أن من أرسله عن أبي العالية أرجح، وهذا هو ترجيح الأئمة، فقد قال الترمذي رحمه الله بعد أن ذكر مرسل أبي العالية وهذا أصح من حديث أبي سعد.

وقال العقيلي رحمه الله بعد أن ذكر مرسل أبي العالية: (وهذا أولى). اهـ

والمرسل والموصول من طريق أبي جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.

حديث جابر أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤/ ٣٨) رقم: (٢٠٤٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: (١١٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٣٥) (١٠/ ١١٣) والواحدي في أسباب النزول (٣٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٩) من طريق سريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: انسب الله، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبته إلى ابن المنذر والطبراني في «الأوسط» وقال بسند حسن.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٦) رواه الطبراني في «الأوسط» ورواه أبو يعلى...، وفيه مجالد بن سعيد... اهـ

قلت: وهذا إسناد ضعيف، مجالد بن سعيد ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره كما في «التقريب» وإسماعيل بن مجالد، حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات.

وقال أبو نعيم: عقب الحديث غريب من حديث الشعبي تفرد به إسماعيل عن مجالد وعنه سريح. اهـ

قال ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٢٣): ومجالد له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة، وعن غير جابر من الصحابة أحاديث صالحة، وجملة ما يرويه عن الشعبي، قد رواه عن غير الشعبي، ولكن أكثر روايته عنه، وعامة ما يرويه غير محفوظ. اهـ =

= حديث عبد الله بن عباس أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٨) رقم: (٦٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٦٦) من طريق محمد بن موسى الحرشي، نا عبد الله بن عيسى، نا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس: إن اليهود جاءت النبي ﷺ، منهم كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك؟ فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، وهذا إسناد ضعيف جدًا.

محمد بن موسى الحرشي لين، كما في «التقريب»، وعبد الله بن عيسى أبو خلف الخزاز ضعيف جدًا، كما هو ظاهر من كلام الأئمة فيه، في «تهذيب الكمال وحاشيته»، وقال ابن عدي في «الكامل» يروى عن يونس بن عبيد، وداود بن أبي هند، مما لا يوافقه عليه الثقات... اهـ وبقية رجاله ثقات.

حديث أنس، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٧٠)، والخلال في «فضائل سورة الإخلاص» ص(٧٢) تحقيق محمد طرهوني، والحكم بن معبد في كتاب «الرد على الجهمية» كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٢٣) من طريق يحيى بن عبد الله الحراني، عن ضرار عن أبان، عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ...، فأخبرنا عن ربك عز وجل؟ فلم يجيبهم النبي ﷺ، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وهذا إسناد ضعيف جدًا.

يحيى بن عبد الله الحراني البابلتي ضعيف، وضرار هو ابن عمرو ترجمه ابن أبي حاتم (٤/ ٤٦٥) وذكر جمعًا رووا عنه ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، ولعله الملطي، فإن كان هو، فهو ضعيف جدًا، وهو مترجم في «الكامل» (٤/ ١٤٢٠) و«اللسان» (٣/ ٢٠٢) وأبان هو ابن أبي عياش متروك.

حديث ابن مسعود جاء موصولًا ومرسلًا، والصحيح المرسل وهو ضعيف أيضًا، قال ابن كثير في «تفسيره»، وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؟ فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال الطبراني: ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا. اهـ

عبيد بن إسحاق ضعيف جدًا، كما هو ظاهر من ترجمته من «اللسان» (٤/ ١١٧-١١٨) قال ابن الجارود والأحاديث التي يحدث بها باطلة.

وممن أرسله أبو داود الطيالسي، عند أبي الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٧٥-٣٧٦)، وآدم بن أبي إياس، كما في تفسير مجاهد (٢/ ٧٩٤)، وهو من الزيادات.

وقرن الأعمش بأبي عاصم في هذا الإسناد، وهذه المتابعة من طريق عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبيد، ادعى ما ليس له ونص القاسم بن أبي صالح عليه بالكذب، كما في ترجمته من «تأريخ بغداد» (١٠/ ٢٩٢)، والموصول والمرسل يدور على قيس بن الربيع، قال الحافظ: صدوق، تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه، فحدث به. اهـ

وقال ابن المبارك: فلم يتميز حديثه، استحق مجانبة حديثه عند الاحتجاج. =

وقد ثبت في الصحيح أَنَّهَا «**تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»[١].

= حديث عبد الله بن سلام، قال السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٧٠) وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في «الحلية» من طريق محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه... أنه قال لرسول الله ﷺ: انعت ربنا؟ قال: فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾... اهـ

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٨).

قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٥٠) رواه الطبراني ورجاله ثقات، إلا أنَّ حمزة لم يدرك جده عبد الله بن سلام. اهـ

وحمزة بن يوسف بن سلام مجهول عين، والحديث في الطبراني في القطعة من الجزء (١٣)، ص(١٥٢-١٥٣) تحقيق حمدي السلفي.

وجاء سبب النزول مرسلًا، عن سعيد بن جبير، رواه الطبري في «تفسيره» من طريق شيخه ابن حميد وقد كذّب، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

وجاء مرسلًا عن قتادة رواه الطبري من طريق شيخه محمد بن حميد كذب، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وإلى «عبد الرزاق» ولم أره في «تفسيره» ط، مكتبة الرشيد، فلعله سقط أو لم يعثر عليه.

وجاء مرسلًا عن الضحاك ومقاتل، كما في تفسير البغوي، ومرسل الضحاك عزاه السيوطي إلى الطبراني في «السنة» وأخشى أن يكون من طريق الكلبي، وقد كذبه بعضهم.

(١) رواه البخاري (٥٠١٣، ٥٠١٥) عن أبي سعيد الخدري وبرقم: (٥٠١٤) عن قتادة بن النعمان وهو أخو أبي سعيد لأمه ورواه مسلم (٨١١) عن أبي الدرداء، ورواه برقم: (٨١٢) عن أبي هريرة، وكلها مرفوعة، وجاء عن غير هؤلاء، انظر «تفسير ابن كثير».

قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٦١) قوله: «**ثلث القرآن**» حمله بعض العلماء على ظاهره، فقال: هي ثلث باعتبار معاني القرآن؛ لأنه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هي على القسم الثالث، فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار وذكر أقوالًا أخر.

وهذا الذي استحسنه ابن تيمية رحمه الله تعالى، كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ١٠٣).

وجاء في بعض طرق حديث أبي الدرداء في مسلم: «**أن الله جزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءًا من أجزاء القرآن**».

قال المازري: قيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص وأحكام وصفات لله تعالى، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ متضمنة للصفات، فهي ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء.

وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال؛ أقربها [ما نقله شيخ الإسلام عن أبي العباس][1]، وحاصله أن القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولها: الأوامر والنواهي المتضمِّنة للأحكام والشرائع العملية التي هي موضوع علم الفقه والأخلاق.

ثانيها: القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، وأنواع الهلاك التي حاقت بالمكذِّبين لهم، وأحوال الوعد والوعيد، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثالثها: علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هو أشرف الثلاثة.

ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمَّنَت أُصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالًا؛ صحَّ أن يقال: إنها تعدل ثلث القرآن.

وأما كيف اشتملت هذا السورة على علوم التوحيد كلها، وتضمَّنت الأصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي؟ فنقول:

إن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دلَّت على نفي الشريك من كل وجهٍ: في الذات، وفي الصفات، وفي الأفعال؛ كما دلَّت على تفرُّده سبحانه بالعظمة والكمال والمجد

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ١٠٣): أن أبا الوليد القرشي سأل أبا العباس ابن سريج عن معنى قول النبي ﷺ: «**قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**»؟ فقال: معناه أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها: الأحكام، وثلث منها: وعد ووعيد، وثلث منها: الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات. اهـ

وقد استحسن هذا شيخ الإسلام رحمه الله.

والجلال والكبرياء، ولهذا لا يُطلَق لفظ ﴿أَحَدٌ﴾ في الإثبات إلا على الله عز وجل[١]، وهو أبلغ من واحد.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قد فسَّرها ابن عباس رضي الله عنه بقوله: (السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمُل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عز وجل، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفءٌ، وليس كمثله شيء)[٢].

وقد فُسِّر الصمد أيضًا بأنه الذي لا جوف له[٣]، وبأنه الذي تصمد إليه الخليقة كلها وتقصده في جميع حاجاتها ومهمَّاتها.

---

(١) هذا ليس على عمومه، بل قد استعملت في الإثبات على غير الله تعالى، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾[التوبة:٦]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾[النساء:٤٣]. وهناك فروق بين الواحد والأحد. راجع «أضواء البيان» عند السورة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٢٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٥٦) رقم: (٩٨).

وأبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٨٣-٣٨٤) كلهم في طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وهذا إسناد ضعيف فأبو صالح هو عبد الله بن صالح، كاتب الليث ضعيف، وعلي بن أبي طلحة لم ير ابن عباس.

(٣) جاء عن ابن عباس وهو ضعيف، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٩) من طريق أبي إسحاق الكوفي عن مجاهد عن ابن عباس، قال: (الصمد: الذي لا جوف له) وهذا إسناد ضعيف، فأبو إسحاق الكوفي هو عبد الله بن ميسرة الحارثي قال فيه ابن أبي حاتم: ليس بشيء، وقال النسائي: ضعيف، وفي موضع آخر: (ليس بثقة).

وقال الحاكم أبو أحمد: ليس حديثه بمستقيم. وقال الدارقطني: ضعيف، وكذا أبو داود وسئل عنه أحمد فكأنه ضعفه، وقال ابن حبان في «الضعفاء»، لا يحل الاحتجاج بخبره. وقال الذهبي في «الكاشف»: واهٍ. =

فإثبات الأحدية لله تضمَّن نفي المشاركة والمماثلة.

وإثبات الصمديَّة بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى. وهذا هو توحيد الإثبات.

وأما النوع الثاني -وهو توحيد التنزيه-؛ فيؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾؛ كما يؤخذ إجمالًا من قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: لم يتفرَّع عنه شيء، ولم يتفرَّع هو عن شيء، وليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير.

= قلت: فهو ضعيف جدًا لا يعتبر به.

وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٧٥) من طريق سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عباس بلفظ ابن أبي عاصم، وهذا إسناد ضعيف أيضًا.

سلمة بن سابور ضعفه ابن معين، كما في «الميزان»، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: (كان يحيى القطان يتكلم فيه، ومن المحال أن يلزق بسلمة ما جنت يدا عطية). وعطية هو ابن سعد العوفي ضعيف، وهو شيعي كان يدلس.

وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٨٠) من طريق محمد بن موسى الحرشي، حدثنا عبد الله بن عيسى، حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿الصَّمَدُ﴾ قال: تصمد إليه الأشياء إذا نزل بهم كربة أو بلاء.

وهذا إسناد ضعيف جدًا، محمد بن موسى الحرشي لين، وعبد الله بن عيسى هو الخزاز، ضعيف جدًا وبقية رجاله ثقات.

وجاء تفسير الصمد بأنه لا جوف له. مرفوعًا عن بريدة ولم يصح.

وقد جاء هذا التفسير وغيره عن جماعة من التابعين، انظرها بأسانيدها في «ابن جرير» فمنهم من قال هو الذي لم يلد ولم يولد، كأنه جعل ما بعده تفسيرًا له، قال ابن كثير وهو تفسير جيد.

ومنهم من قال الباقي بعد خلقه، ومنهم من قال: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب.

ومنهم من قال: نور يتلألأ..، قال ابن كثير: وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنة» له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير ﴿الصَّمَدُ﴾: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، هو الذي يصمد إليه في الحوائج...

فانظر كيف تضمَّنت هذه السورة توحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرَّبِّ تعالى من الأَحَدِيَّة المنافية لمطلق المشاركة، والصمَدِيَّةِ المُثْبِتَة لـه جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم غناه وصمَدِيَّتِه وأَحدِيَّتِه، ثم نفي الكفء المتضمن[١] لنفي التشبيه والتمثيل والنظير؟

فحُقَّ لسورة تضمَّنت هذه المعارف كلها أن تعدل ثلث القرآن.

(**وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ [فِي][٢] كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ [**أي: لا يكرثه ولا يثقله**][٣] حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥]؛ [**ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**][٤]، **وقوله سبحانه:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾][٥]).

/ ش/ روى مسلم في «صحيحه» عن أُبيّ بن كعب أن النبيَّ ﷺ سأله: «**أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟**»، قال: الله ورسولـه أعلم، فردَّدها مرارًا، ثم قال أُبيٌّ: آية الكرسي، فوضع النبي يده على كتفه، وقال: «**لِيَهْنِكَ هَذَا العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ**».

---

(١) كذا في المطبوع، والأولى أن يقال: (الكفء المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير). اهـ السقاف.

(٢) في (أ): من.

(٣) زيادة من (م).

(٤) الحديث أخرجه البخاري تعليقًا برقم: (٢٣١١) قال الحافظ ابن حجر: وقد وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيم...، وذكرته في «تغليق التعليق»... اهـ المراد، والحديث صحيح.

(٥) ما بين المعقوفين من (أ)، و(م).

وقوله تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾ سيأتي موضعها وشرحها ص(٨١) إن شاء الله تعالى.

وفي رواية عند أحمد:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ المَلِكَ عِنْدَ سَاقِ العَرْشِ»[1].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٣٧٠) رقم: (٦٠٠١) ومن طريقه أحمد بن حنبل (٥/ ١٤١-١٤٢)، والطبراني (١/ ١٩٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٥٥-٤٥٦) رقم: (٢٣٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٠).

وقد اختلف على عبد الرزاق فيه، فرواه أحمد، وأحمد بن يوسف عند (البيهقي)، عن عبد الرزاق، عن الثوري، عن سعيد الجريري، عن أبي السليل (ضريب بن نقير) عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه سلم فذكر الحديث بزيادة (والذي نفسي بيده ألخ).

رواه إسحاق بن إبراهيم الدبري عند الطبراني وأبي نعيم، عن عبد الرزاق، عن الثوري، عن الجريري به. ولم يذكر الزيادة في متن الحديث، ورواية الأحمدين هي المعروفة، وأما الدبرى، فقد روى عن عبد الرزاق بعد، أن تغيّر.

وقد تابع الثوري جعفر بن سليمان الضبعي، عند (أبي داود الطيالسي (٥٥٠) وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٤٢) غير أنه أبهم شيخ الجريري فقال: (عن بعض أصحابه).

وقد جاء مصرحًا به في بقية طرق الحديث وسقط هذا المبهم من «مسند الطيالسي».

وبعد أن عرفنا أن المعروف، عن عبد الرزاق الصنعاني ذكر الزيادة في متن الحديث، نذكر مخالفة محمد بن عبد الوهاب السكري له عند الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٨٠) وابن عساكر في «تأريخه» (٧/ ٣٣٠) إذ أنه لم يذكر (الزيادة)، وهو (ثقة عابد) كما في «التقريب» لكن عبد الرزاق أرجح منه، لاسيما وهو من أصحاب الثوري.

وروى الحديث مسلم في «صحيحه» (٨١٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٤٢٤) وعبيد بن غنام، عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٢١٦)، والحسن بن سفيان عند أبي نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٠) كلهم عن ابن أبي شيبة، عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن الجريري به، بدون الزيادة على أنه قد اختلف على الحسن بن سفيان، فروى البيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٥٦) الحديث من طريق أبي عمرو بن عبدوس عنه بالزيادة، وأبو نعيم في الحلية من طريق أبي عمر بن حمدان عنه بدونها، ورواه عبد بن حميد في «المنتخب» (١٧٨)، وحميد بن زنجويه عند البغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٥٤) وابن وضاح عند ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» برقم: (١٤١٠).

كلهم عن ابن أبي شيبة به بالزيادة، وقد ذكر الحديث بزيادته البوصيري في «اتحاف الخيرة المهرة» (٩/ ٣٤٥)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة في «مسنده» وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٣٧٥) ورواه أحمد وابن أبي شيبة بإسناد مسلم وزاد والذي نفسي بيده إلخ، فيحمل على الوجهين، وذلك أن ابن أبي=

= شيبة تارة، ينشط فيذكر الحديث بتمامه، وتارة يكسل فيختصره أو أن الاختصار حصل من بعض تلامذته أو سمعه هكذا من شيخه، مرة بالزيادة ومرة بغيرها، والله أعلم.

ورواه أبو داود (١٤٦٠) وابن عساكر في «تاريخه» (٧/ ٣٣٠) والجورقاني في «الأباطيل» من طريق محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى عن الجريري به بالقدر الذي رواه مسلم.

وجاء ذكر الزيادة عند ابن عساكر مع اتحاده مع الجورقاني في الإسناد من أوله إلى آخره.

ورواه يزيد بن هارون عند الحاكم (٣/ ٣٠٤) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٥٦) عن الجريري به، بدون الزيادة.

ويزيد بن هارون روى عن الجريري بعد اختلاطه، لكنَّه في المتابعات، وأخرجه عبيد بن سلام في «فضائل القرآن» ص(٢٢٩) فقال رحمه الله: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي السليل عن عبد الله بن رباح أن رسول الله ﷺ، فذكر الحديث بالزيادة.

وهذا مرسل زد على ذلك أنه يعتبر شاذًا، فإسماعيل بن إبراهيم قد خالف كل من رواه عن الجريري موصلًا.

ورواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٥٨) ومسدد في «مسنده» كما في «إتحاف الخيرة» للبوصيري (٨/ ٤٤) من طريق عثمان بن غياث، ثنا أبو السليل، قال: كان رجلٌ من من أصحاب النبي ﷺ يحدث الناس حتى يكثر عليه فيصعد على ظهر بيت فيحدث، قال قال رسول الله ﷺ: فذكر الحديث بالزيادة عند مسدد وبدونها عند أحمد، وهذا منقطع بين أبي السليل والصحابي.

والخلاصة أنَّ الحديث في غاية الصحة بما فيه من الزيادة فقد جاءت من طريق الثوري، وهو هو، وغيره، والحمد لله.

ومعنى قوله «**ليهنك العلم**» أي: ليكن العلم هنيئًا لك، ومعنى قوله: «**إنَّ لها لسانًا وشفتين تقدس الله عند ساق العرش**» أي: أن ثواب قراءتها والعمل بها يجسده الله فينفع صاحبه ويذكِّر به.

كما قال الإمام الترمذي في جامعه (٢٨٨٣) عند حديث النواس: «**إن البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غيايتان وبينهما شرقٌ أو كأنهما غمامتان سوداوان أو كأنهما ظلةٌ في طيرٍ صوافَّ تجادلان عن صاحبهما**».

قال رحمه الله: ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسّر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا في الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن، وفي حديث النواس عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسَّروا، إذ قال النبي ﷺ: «**وأهله الذين يعملون به في الدنيا**»، ففي هذا دلالةٌ أنَّه يجيء ثواب العمل. اهـ

وذكر كلام الترمذي مقرًا له البغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٥٥) عند حديث أبي في فضل آية الكرسي. اهـ =

ولا غرو، فقد اشتملت هذه الآية العظيمة من أسماء الربِّ وصفاته على ما لم تشتمل عليه آية أخرى.

فقد أخبر الله فيها عن نفسه بأنه المتوحِّد في إلهيَّتِه، الذي لا تنبغي العبادة بجميع أنواعها وسائر صورها إلا له.

ثم أردف قضية التوحيد بما يشهد لها من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة، فذكر أنه الحي الذي لـه كمال الحياة؛ لأن حياته من لوازم ذاته، فهي أزليَّة أبديَّة، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتيَّة له، من العزَّة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة وغيرها؛ إذ لا يتخلّف شيء منها إلا لنقصٍ في الحياة، فالكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحيّ.

ثم قرن ذلك باسمه القيوم، ومعناه الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع خلقه غنًى مطلقًا لا تشوبُه شائبةُ حاجةٍ أصلًا؛ لأنه غنًى ذاتيٌّ، وبه قامت الموجودات كلها، فهي فقيرة إليه فقرًا ذاتيًا، بحيث لا تستغني عنه لحظة، فهو الذي ابتدأ إيجادها على هذا النحو من الإحكام والإتقان، وهو الذي يدبِّر أمورها، ويمدها بكل ما تحتاج إليه في بقائها، وفي بلوغ الكمال الذي قدره لها.

= وقال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٦/ ٩٠) عند شرحه لحديث النواس: قال العلماء: المراد أنَّ ثوابهما يأتي كغمامتين. اهـ وفي «الزهد» لابن المبارك برواية نعيم بن حماد (٣٨٧): نا الترمذي كتب نعيم بن حماد غير مرَّة إذا مرَّت هذه الأحاديث في القرآن، وفي الصيام، وفي الصلاة، وغير ذلك، يقول: إنما يجيء ثواب القرآن، وثواب الصيام، وثواب ذلك العمل كله.

قلت: إذ القرآن كلام الله، وكلامه صفة من صفاته سبحانه وتعالى، فلا شبهة في هذا الحديث وأمثاله للجهمية والمعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن.

فهذا الاسم متضمِّنٌ لجميع صفات الكمال الفعليَّة، كما أن اسمه الحي متضمِّن لجميع صفات الكمال الذاتية، ولهذا ورد أن الحي القيوم هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب[(١)].

---

(١) وهو حديث صحيح لغيره، جاء عن أبي أمامة، وأسماء بنت يزيد أما حديث أبي أمامة، فأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٣) والطبراني (٨/ ٢٣٧) رقم: (٧٩٢٥) وفي «مسند الشاميين» (٧٧٨)، والحاكم (١/ ٥٠٥، ٥٠٦)، وابن مردوية كما في تفسير ابن كثير، تفسير آية الكرسي، والفريابي في «فضائل القرآن» وتمّام في «فوائده» كما في الروض البسَّام (٤/ ٤٠٨) رقم: (١٥٦٨) عن جماعة عن الوليد بن مسلم، ثنا عبد الله بن العلاء بن زبر أنه سمع القاسم أبا عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ، قال: «**اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث البقرة وآل عمران وطه**» وهذا إسناد حسن فالوليد بن مسلم وعبد الله بن العلاء ثقتان إلا أن الأول كثير التدليس والتسوية، وقد أمنا من ذلك بتصريحه بالسماع من شيخه وشيخ شيخه، ورواه الفريابي في «فضائل القرآن» رقم(٤٨) فقال: حدثنا عبدالله بن إبراهيم نا الوليد بن مسلم نا عبدالله بن العلاء حدثني القاسم من قوله. وعبدالرحمن بن إبراهيم ثقة ثبت متقن، فيحمل على الوجهين، والله أعلم. على أن الوليد قد توبع على الرفع بعمرو بن أبي سلمة أبي حفص عند ابن معين في «التأريخ» (٤/ ٤٢٠) والحاكم (١/ ٥٠٦) وعمرو ممن يعتبر به. وقد رواه عبدالرحمن بن إبراهيم الدمشقي عنه عن عبدالله بن العلاء عن القاسم من قوله، كما عند ابن ماجه رقم(٣٨٥٦)، والفريابي في «فضائل القرآن» رقم(٤٩). قال الحاكم في «المستدرك»: هذا لا يعلل حديث الوليد بن مسلم، فإن الوليد أحفظ وأتقن وأعرف بحديث بلده. اهـ المراد.

والقاسم هو ابن عبد الرحمن الدمشقي، صاحب أبي أمامة وثقه جماعة من الأئمة، وتكلم فيه بعضهم بأنه منكر الحديث، وذكر البخاري وابن أبي حاتم وابن معين ما يفيد أن هذه النكارة من قبل من يروى عنه من الضعفاء، أما رواية الثقات عنه فمستقيمة، كما في تهذيب التهذيب، وقال الحافظ الذهبي في «الكاشف» عنه فيه: (صدوق).

وقال الحافظ في «التقريب» صدوق يغرب كثيرًا، فأقل الأحوال أن يكون حسنًا، إن لم يكن ثقة، والله أعلم.

وعلى من لا يرى تحسين حديثه، فالحديث يحسَّن بشاهده، وروى الحديث ابن ماجة (٣٨٥٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٣)، والطبراني (٨/ ١٨٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٩-٦٠)، والفريابي في «فضائل القرآن» (٤٩)، والدولابي في «الكنى» (١/ ١٨٤) من طرق عن =

= أبي حفص عمرو بن أبي سلمة الدمشقي، حدثني عيسى بن موسى، أنه سمع غيلان بن أنس، يحدث عن القاسم به.

وعمرو ضعيف كما تقدم، وعيسى بن موسى ثقة، وغيلان مقبول كما في «التقريب» يعني إن توبع وإلا فلين.

وقد بين بعض رواة الحديث هذا الاسم من هذه السور، منهم عمرو بن أبي سلمة كما في «مشكل الآثار» و«الأسماء والصفات» للبيهقي، وهشام بن عمار كما في تفسير ابن كثير، والقاسم بن عبد الرحمن كما في الحاكم (١/ ٥٠٥). بأنه في البقرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[البقرة:٢٥٥] وفي آل عمران: ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[آل عمران:١-٢] وفي طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾[طه:١١١] وقد جاء بيان بعضها في حديث أسماء.

حديث أسماء بنت يزيد رواه أبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجة (٣٨٥٥) وأحمد (٦/ ٤٦١)، والدارمي (٢/ ٤٥٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٧٢)، والطحاوي في «المشكل» (١/ ٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٧٩) وغيرهم من طرق عن عبيد الله بن أبي زياد القداح، عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد، قالت، قال رسول ﷺ: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣] **وفاتحة سورة آل عمران:** ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾» سنده ضعيف فعبيد الله القداح وشهر بن حوشب ضعيفان، لكن يشهد له ما قبله، إلا الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ إلخ.

وقد جاء ذكر اسم الله الأعظم في حديث، أنس رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك. المنان بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال: «**لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب**». رواه ابن ماجة وأبو داود والنسائي وغيرهم.

وقد ذكره شيخنا في «الجامع الصحيح» (٦/ ٣٥١) من ابن ماجة وحسنه، وحديث بريده بن الحصيب أن رسول الله ﷺ: سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسالك أني أشهد أنك أنت الله لا إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطي وإذا دعي به أجاب**». رواه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥) وابن ماجه (٣٨٥٧) وغيرهم، وفي بعض طرقه: لقد سأل الله باسمه الأعظم، وقد صححه شيخنا في «الصحيح المسند».

قال المنذري في «مختصر أبي داود»: وقال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي وهو إسناد لا مطعن فيه، ولا أعلم أنه روى في هذا الباب حديث أجود إسنادًا منه، وهو يدل على بطلان مذهب من ذهب إلى نفي القول بأن لله تعالى أسمًا هو الأسم الأعظم. اهـ =

ثم أعقب ذلك بما يدلُّ على كمال حياته وقيُّوميَّته، فقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾؛ أي لا تغلبه ﴿سِنَةٌ﴾؛ أي نعاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾؛ فإن ذلك ينافي القيومية؛ إذ النوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنَّة لا ينامون[1].

= وقد اختلف أهل العلم في تعيين الاسم الأعظم إلى أقوال كثيرة أحسن من استوعبها فيما وقفت عليه الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١١/ ٢٢٤-٢٢٥) في شرحه لحديث أبي هريرة: «**إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا**».

فقال: (وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولًا)، فذكرها بعضها عليها دليل وبعضها ليس عليها دليل.

قال الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ص(٥٢)، وقد اختلف في تعين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولًا.

قد أفردها السيوطي بالتصنيف، قال ابن حجر وأرجحها من حيث السند: الله لا إله إلا هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد...

وقال المصنف رحمه الله في شرحه، وعندي أن الاسم الأعظم، لا إله إلا هو الحي القيوم، وذكر ابن القيم في الهدى أنه الحيُّ القيوم، فينظر في وجه ذلك. اهـ

(١) جاء عن جابر وابن أبي أوفي، وحديث جابر له ثلاث طرق:

الأولى: سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قيل يا رسول الله هل ينام أهل الجنة؟ قال: لا النوم أخو الموت.

وقد اختلف على الثوري فيه، فرواه بعضهم عنه هكذا مسندًا، ورواه بعضهم عنه، عن محمد بن المنكدر، عن النبي ﷺ مرسلًا.

فالذين أسندوه هم:

١- محمد بن يوسف الفريابي عند البزار، كما في «كشف الأستار» (٣٥١٧) والبيهقي في «البعث» (٤٤٠)، ومحمد بن يوسف الفريابي ثقة فاضل، يقال أخطأ في شيء من حديث سفيان، وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم، على عبد الرزاق. اهـ من «التقريب» وفي «تهذيب الكمال» قال بعض البغداديين: أخطأ محمد بن يوسف في خمسين ومائة حديث من حديث سفيان.

٢- الحسين بن حفص الهمداني، عند أبي الشيخ في «الطبقات» (٣/) رقم الحديث: (٣٥٣)، (٤٧٧) ط، مؤسسة الرسالة، وأبي الحسن الحربي، في «الحربيات» كما في الصحيحة (١٠٨٧) من طريق النضر بن هشام، قال: ثنا الحسين بن حفص به. ثم قال عقب الحديث أبو الشيخ في الموضع الثاني: لم يرو هذا الحديث عن الحسين بن حفص غير النضر. اهـ =

= والحسين بن حفص، والنضر بن هشام صدوقان، كما في «الجرح والتعديل».

٣- معاذ بن معاذ العنبري، أخرج حديثه البيهقي في «البعث» (٤٣٩)، وفي «الشعب» (٤/ ١٨٣)، وأبو عثمان النَّجيرمي في «الفوائد» كما في «الصحيحة» للألباني رحمه الله من طريق عبد الله بن محمد بن الحسن بن الشرقي، عن عبد الله بن هاشم، عن معاذ العنبري.

وابن الشرقي قال الذهبي في «الميزان» تكلموا فيه لإدمانه شرب المسكر، وعبد الله بن هاشم ثقة، صاحب حديث من شيوخ مسلم، ومعاذ العنبري ثقة متقن.

٤- الحسين بن الوليد، أخرج حديثه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» رقم: (١٥٥٤) من طريق هبة الله بن الحسن الطبري، قال: نا مهدي بن محمد النيسابوري، قال: نا عبد الله بن محمد بن الحسن الشرقي، قال: نا فطر بن إبراهيم النيسابوري، نا الحسين بن الوليد به.

والحسين بن الوليد ثقة فقيه، كما في ترجمته من «تأريخ بغداد» (٨/ ١٤٣- ١٤٤) وفطر بن إبراهيم النيسابوري لم أقف على ترجمته، وابن الشرقي تقدم أن قال الذهبي فيه: تكلموا فيه لإدمانه شرب المسكر، ومهدي بن محمد النيسابوري، هو القشيري الصيدلاني رواياته مستقيمة، كما في «تأريخ بغداد» (١٣/ ١٨٥)، وتلميذه هبة الله ترجمته في «تأريخ بغداد» (١٤/ ٧٠).

٥- عبد الله بن حيان، أخرج حديثه النجيرمي في «الفوائد» كما في الصحيحة للألباني من طريق عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي، ثنا عبد الله بن حيان به.

وعبد الله بن حيان، قال الألباني: قال فيه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» روى عن سهل بن معاذ.

روى عنه الليث بن سعد، فهو مجهول الحال. اهـ

وقوله مجهول حال إذ روى عنه الليث والخوارزمي كما مرَّ في هذا الإسناد، والخوارزمي ترجمته في «اللسان» قال: قال أبو نعيم في «تأريخه»: قدم أصبهان، وحدَّث بها، في حديثه نكارة.

٦- عبد الله بن جبلة بن أبي روّاد، أخرج حديثه البيهقي في «البعث» (٤٤٢) ولم أجد ترجمة له، قاله صاحب «الروض البسَّام».

وقد ترجم الذهبي لعبد الله بن جبلة الطائي، وقال: قال الأزدي: متروك. اهـ

فإن كان هو وإلا فلا أدري من هو.

٧- عبدالله بن محمد بن المغيرة، أخرج حديثه الطبراني في «الأوسط» (٨٨١١) ومن طريقه أبونعيم في «الحلية» (٧/ ٩٠) و«صفة الجنة» (٢١٥). وتمام في «الفوائد» كما في «الروض البسَّام» (١٧٨٥)، وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير أواخر سورة الدخان، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٠١)، من طريق المقدام بن داود، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن المغيرة، والمقدام قال فيه النسائي: ليس بثقة، وقال ابن يونس وغيره: تكلموا فيه، وقال محمد بن يوسف الكندي: كان فقيهًا مفتيًا، لم يكن بالمحمود في الرواية. اهـ «الميزان». =

= لكن قد رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٣٣) من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي، عن عبد الله بن محمد بن المغيرة، ومحمد بن عبد الله ثقة.

وعبد الله بن محمد بن المغيرة، قال العقيلي في «الضعفاء»: وكان يخالف في بعض حديثه، ويحدث بما لا أصل له. فمن حديثه الذي يخالف فيه...، وذكر هذا الحديث، وقال ابن عدي في «الكامل»: منكر.

وزاد صاحب «اللسان»: قال أبو حاتم: ليس بالقوي. وقال ابن يونس: منكر الحديث. وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال النسائي: روى عن الثوري، ومالك بن مغول أحاديث كانا أتقى لله من أن يحدثا بها.

وقال ابن المديني ينفرد عن الثوري بأحاديث، وذكر له الذهبي أحاديث، وقال: وهذه موضوعات.

ومن الذين أرسلوه:

١- عبد الله بن المبارك، كما في «الزهد» برواية نعيم بن حماد ص(٧٩) بتحقيق الأعظمي.

٢، ٣- وكيع بن الجراح، وجرير بن عبد الحميد، عند عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص(٩) قال رحمه الله: حدثني أبو معمر، يعني القطيعي، حدثنا جرير، يعني عبد الحميد، ووكيع يعني ابن الجراح به، وأبو معمر هو إسماعيل بن إبراهيم بن معمر ثقة مأمون من رجال الشخين.

٤- قطبة بن العلاء، قال أبو حاتم شيخ يكتب حديثه، ولا يحتج به، وقال أبو زرعة: يحدث عن سفيان، بأحاديث منكرة. اهـ من «الجرح والتعديل».

٥- عبيد الله بن موسى، هو باذام ثقة، كان يتشيع واستصغر في الثوري.

٦- عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي ثقة، مأمون أثبت الناس كتابًا في الثوري.

٧- ومخلد بن يزيد ثقة، كما في التحرير.

وذكر هؤلاء كلهم العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٠١) بعد أن ذكر حديث عبد الله بن محمد بن المغيرة عن الثوري مسندًا.

قال: حدثناه محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا قطبة بن العلاء.

وحدثناه محمد بن موسى البلخي، قال حدثنا عبيد الله بن موسى، قالا: حدثنا سفيان الثوري، عن محمد بن المنكدر عن النبي ﷺ نحوه.

ورواه الأشجعي ومخلد بن يزيد وغير واحد هكذا مرسلًا. اهـ

ومما تقدم يتبين أنَّ أحسن الروايات المسندة رواية الفريابي، وإن كان قد تكلِّم في روايته عن الثوري، ورواية الحسين بن حفص، وما عداها لا تخلو من كلام على ما سبق بيانه، لا سيما رواية عبد الله بن المغيرة، فالضعف فيها شديد جدًا. =

= وأما المرسلون فهم في الجملة ثقات أثبات، لاسيما وقد وجد فيهم، عبد الله بن المبارك، ووكيع، وعبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي، وهم من أثبت الناس في الثوري، فروايتهم مقدمة، والله أعلم.

وقد صحح أبو حاتم المرسل، كما في «العلل» لابنه (٢/ ٢١٩) قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي وذكر حديثًا رواه الفريابي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، وذكر الحديث، قال أبي: الصحيح ابن المنكدر عن النبي ﷺ: ليس فيه جابر.

ثم رأيت الدارقطني في «العلل» (١٣/ ٣٣٧) صوَّب المرسل، فقال: يرويه الثوري، واختلف عنه، فرواه عبدالله بن محمد بن المغيرة عن الثوري عن ابن المنكدر عن جابر. وكذلك فيه عن الأشجعي.

ورواه يحيى القطان، وابن مهدي، وأبومهدي، وأبوشهاب الحناط، وأبوعامر العقدي، عن الثوري عن ابن المنكدر مرسلًا. وهو الصواب.

الطريق الثانية: أخرجها الطبراني في «الأوسط» (٩٢٣) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٦٤) من طريق عمرو بن محمد الناقد، حدثنا سليمان بن عبيد الله الرقي، قال: حدثنا مصعب بن إبراهيم، قال: حدثنا عمران بن الربيع الكوفي، عن يحيى بن سعيد الأنصاري - في «الكامل» يحيى بن سلمة، وهو تصحيف والصواب، ما في الطبراني، والله أعلم- عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا فذكره.

ومصعب بن إبراهيم، قال العقيلي في حديثه نظر، وقال ابن عدي: منكر الحديث. اهـ من «الميزان».

وقال ابن عدي في الكامل: منكر الحديث عن الثقات، وعن غيرهم وذكر له أحاديث منها هذا، ثم قال: ولمصعب هذا غير ما ذكرت وهو مجهول ليس بالمعروف، وأحاديثه عن الثقات ليست بالمحفوظة.

وسليمان بن عبيد الله الرقي، قال أبو حاتم: (صدوق) وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء. اهـ من «التحرير».

الطريق الثالثة، رواها أبو نعيم في «صفة الجنة» (٩٠) والخطيب في «موضِّح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٤٦٧) من طريق نوح بن أبي مريم، عن محمد به المنكدر عن جابر مرفوعًا فذكره.

ونوح متهم بالكذب، قال الحاكم: وضع حديث فضائل القرآن، وانظر بقية الكلام عليه في «الميزان».

وقد جاء الحديث عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعًا بنحوه.

رواه البيهقي في «البعث» وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم: (٢١٦) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» سورة فاطر آية (٣٥) إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وفي سنده نفيع بن الحارث وهو متروك، وقد كذبه ابن معين وغيره.

وذكر ابن كثير الحديث في «النهاية» ص(٣٨٥) من طريق البيهقي ثم قال: ضعيف الإسناد.

وخلاصة القول أن حديث جابر أمثل طرقه الأولى والصحيح فيها الإرسال، والطريقان الآخران الضعف فيهما شديد، وكذلك الشاهد. =

ثم ذكر عموم ملكه لجميع العوالِم العُلْوية والسُّفلية، وأنها جميعًا تحت قهره وسلطانه، فقال: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

ثم أردف ذلك بما يدلُّ على تمام ملكه، وهو أن الشفاعة كلها لـه، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه.

وقد تضمَّن هذا النفي والاستثناء أمرين:

= وقد جاءت أدلة أخرى في أن أهل الجنة لا ينامون، فتعتبر شاهدة بهذا القدر للمرسل، من ذلك قوله سبحانه تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[الدخان:٥٦] وما جاء في الصحيحين. عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح؛ فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت.**

قال ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا فيشرئبون، وينظرون ويقولون نعم هذا الموت، قال فيؤمر به، فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود، فلا موت»، قال ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم:٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا. وهذا لفظ مسلم.

وقد جاء عن أبي هريرة بأخصر من هذا عند البخاري (٦٥٤٥) وعن ابن عمر في البخاري (٦٥٤٤) ومسلم برقم: (٢٨٥٠).

وما رواه مسلم في «صحيحه» (٢٨٣٧) والترمذي (٣٢٤٦) وأحمد والنسائي وغيرهم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**ينادي منادٍ: إنَّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا. وإن لكم إنَّ تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا، فلا تهرموا أبدًا. وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا**».

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:٤٣].

فهذه الأدلة نفت الموت عن أهل الجنة بعد دخولها، وهذا يشمل الموتة الكبرى والموتة الصغرى (وهي النوم)، كما جاء عن البراء أن النبي ﷺ: كان إذا أخذ مضجعه، قال: «**اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت**». وإذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور**» رواه مسلم (٢٧١١)، وقد جاء عن حذيفة في البخاري (٧٣٩٤)، وعن أبي ذر في البخاري (٧٣٩٥).

وأهل الجنة في شغل فاكهون، بما في الجنة من نعيم، وقد نزههم الله عن النصب والتعب، فليسوا بحاجة إلى النوم.

أحدهما: إثبات الشفاعة الصحيحة، وهي أنها تقع بإذنه سبحانه لمن يرضى قوله وعمله.

والثاني: إبطال الشفاعة الشركيَّة التي كان يعتقدها المشركون لأصنامهم، وهي أنها تشفع لهم بغير إذن الله ورضاه.

ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، وأنه لا يخفى عليه شيء من الأمور المستقبلة والماضية.

وأما الخلق فإنهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾؛ قيل: يعني من معلومه. وقيل: من علم أسمائه وصفاته؛ ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ الله سبحانه أن يعلمهم إياه على ألسنة رسله، أو بغير ذلك من طرق البحث والنظر والاستنتاج والتجربة.

ثم ذكر ما يدل على عظيم ملكه، وواسع سلطانه، فأخبر أن كرسيَّه قد وسع السموات والأرض جميعًا.

والصحيح في الكرسي أنه غير العرش، وأنه موضع القدمين[1]، وأنه في العرش كحلْقة ملقاة في فلاة.

---

(١) صح ذلك عن ابن عباس أنه قال: (الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحدٌ قدره. وجاء بلفظ (قدميه) بالإضافة في «السنة» لعبد الله بن أحمد برقم: (٥٩٠) وسنده صحيح.

الأثر أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٦) من طريق محمد بن بشار، والحاكم (٢/ ٢٨٢) من طريق محمد بن معاذ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٨)، والطبراني (١٢/ ٣٩) رقم: (١٢٤٠٤)، والخطيب في «تأريخه» (٩/ ٢٥١) من طريق أبي مسلم الكجي، والدارقطني في «الصفات» ص(٤٩) والخطيب في «تأريخه» (٩/ ٢٥٢) من طريق أحمد بن منصور الرمادي، ومحمد بن عثمان بن أبي شبية في «العرش» رقم: (٦١) من طريق الحسن بن علي، كلهم عن أبي عاصم النبيل عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فذكره وقد خالف هؤلاء وجميع من رواه موقوفًا شجاع بن مخلد الفلاس. =

= قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: وقال شجاع بن مخلد في «تفسيره»: أخبرنا أبو عاصم عن سفيان، عن عمار الدهني عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سئل النبي ﷺ، عن قول الله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥] قال فذكره، ثم قال: كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس، فذكره وهو غلط ثم ذكر بعض من رواه موقوفًا. اهـ

وقال ابن مندة في «الرد على الجهمية» ص(٤٥): هكذا رواه شجاع بن مخلد في التفسير مرفوعًا عن النبي ﷺ، وقال إسحاق بن سيار في حديثه عن أبي عاصم من قول ابن عباس، وكذلك رواه أصحاب الثوري عنه، وكذلك روى عن عمار الدهني موقوفًا. اهـ المراد أخذته من تحقيق «الأسماء والصفاتت» للبيهقي.

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٨٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٩)، والدارقطني في «الصفات» ص(٥٠)، ووكيع في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» وغيرهم من طرق عن سفيان الثوري به موقوفًا.

وقد تابع الثوري يوسف بن أبي إسحاق، عند عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: (٥٩٠) وأبي الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٢- ٥٥٣)، وسليمان بن كثير العبدي، عند أبي الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٤) وقيس عند أبي الشيخ أيضًا في «العظمة» (٢/ ٥٨٢).

وهذا الأثر له حكم الرفع إذ أنه لا يقال من قبيل الرأي والاجتهاد. والله أعلم.

وأما قوله: «**وأنه في العرش كحلقة ملقاة في فلاة**». أخرجه ابن مردوية، كما في تفسير ابن كثير، فقال رحمه الله: أخبرنا سليمان بن أحمد، أخبرنا عبد الله بن وهيب الغزي، أخبرنا محمد بن أبي السري العسقلاني، أخبرنا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد الثقفي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض، فلاة وإنَّ فضل العرش على الكرسي، كفضل الفلاة على تلك الحلقة**».

إسناده ضعيف، القاسم بن محمد الثقفي ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ١١٨)، فقال فيه: روى عن معاوية وأسماء ابنة أبي بكر، روى عنه قيس بن الأحنف وعثمان بن المنذر: سمعت أبي، يقول ذلك. اهـ

فهو مجهول حال، ومحمد بن عبد الله التميمي ثقة، ومحمد بن أبي السرى، هو محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن الهاشمي صدوق عارف له أوهام كثيرة، كما في «التقريب» وعبد الله بن وهيب الغزي ترجمه ابن عساكر في «تأريخ دمشق» (٣٣/ ٢٧٣) وذكر جمعًا من الرواة رووا عنه منهم الطبراني، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. =

= وسليمان بن أحمد هو الطبراني الإمام الجليل، وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه «العرش» (٥٨) فقال رحمه الله: حدثنا الحسن بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، حدثنا أحمد بن على الأسدي، عن المختار بن غسان العبدي، عن إسماعيل بن سلم، عن أبي إدريس به.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٠٩): وهذا إسناد ضعيف، إسماعيل بن سلم لم أعرفه، غالب الظن أنه إسماعيل بن مسلم، فقد ذكروه في شيوخ المختار بن غسان، وهو المكي البصري وهو ضعيف الحديث. اهـ وقع في «الصحيحة» المختار بن عبيد وهو خطأ.

والمختار بن غسان روى عنه ثلاثة، ولم يوثقه أحد فهو مجهول حال.

وأحمد بن علي الأسدي لم أقف على ترجمته بعد جهد، والحسن بن عبد الرحمن هو الحسن بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ترجمته في «لسان الميزان» (٢/ ٢١٨)، قال ابن حبان في «الثقات» مستقيم الحديث إذا لم يكن في إسناد خبره ضعيف، وقال أبو زرعة: صدوق.

وأخرجه البيقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٤٨-٦٤٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦-١٦٨) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني، ثنا أبي عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر مرفوعًا فذكره.

وهذا إسنادٌ ضعيف جدًا. إبراهيم بن هشام الغساني، كذبه أبو حاتم، وأبو زرعة كما في «الميزان»، وقال الذهبي: وهو صاحب حديث أبي ذر الطويل انفرد به، عن أبيه عن جده، قال الطبراني: لم يرو هذا عن يحيى إلا ولده وهم ثقات.

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٨) من طريق يحيى بن سعيد السعدي البصري، ثنا عبد الملك بن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير الليثي، عن أبي ذر مرفوعًا، فذكره.

قال البيهقي وأبو نعيم تفرد به يحيى بن سعيد، قلت: أي عن ابن جريج.

وجاء تصريح ابن جريج من شيخه بالتحديث عند أبي نعيم، ويحيى بن سعيد السعدي العبشمي البصري، رجح ابن عدي في «الكامل» أنه يحيى بن سعد. قال العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٠٤) عن ابن جريج لا يتابع على حديثه، وليس بالمشهور بالنقل.

وقال ابن حبان في «المجروحين»: شيخ يروى عن ابن جريج المقلوبات، وعن غيره من الثقات الملزقات، لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد.

روى عن ابن جريج عن عطاء، وساق الإسناد المتقدم، وذكر طرفًا من الحديث، ثم قال: ليس من حديث ابن جريج، ولا عطاء، ولا عبيد بن عمير، وأشبه ما فيه، رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر.

وقال ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٩٩): وهذا حديث منكر من هذا الطريق، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر، وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس =

وأما ما أورده ابن كثير عن ابن عباس في تفسير الكرسي بالعلم؛ فإنه لا يصحُّ[١]، ويفضي إلى التكرار في الآية.

= الخولاني، والقاسم بن محمد، عن أبي ذر، والثالث: حديث ابن جريج، وهذا أنكر الروايات، ويحيى بن سعد هذا يعرف بهذا الحديث. اهـ

وروه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ١٠) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٧) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ، قال: «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**»، قال: فقال أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض، والكرسي موضع القدمين**» هذا لفظ أبي الشيخ، وليس عند ابن جرير: «**الكرسي موضع القدمين**».

وأول الحديث مرسل، ولفظه مخالف لما تقدم، وآخره عن أبي ذر مرفوعًا، وهو منقطع؛ لأن زيد بن أسلم لم يدرك أبا ذر، ومرسل زيد، وحديث أبي ذر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف جدا.

خلاصة ما تقدم أن أمثل أسانيده إسناد ابن مردويه، فإنه يصلح للإعتبار، ثم إسناد ابن أبي شيبة فيه ضعف، وفيه الأسدي لم أعثر على ترجمته، فأنا متوقف في الاستشهاد به، وأما بقية أسانيده وطرقه فالضعف فيها شديد وقد ضعف الحديث السيوطي، كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٤٦).

تنبيه: لفظه «**الأرضين السبع**» ليس لها ذكر في المصادر المتقدمة سوى ابن مردويه.

ولكن قد صح عن مجاهد من قوله بلفظ: «**ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة**».

أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» رقم: (٤٢٥) ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٣) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد.

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم: (٤٥٦، ٥٩١) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٢) من طريق سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد.

ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٥، ٦٣٣)، والذهبي في «العلو» ص٩٤ من طريق معتمر بن سليمان عن ليث به.

ورواه عثمان بن أبي شيبة في «العرش» رقم: (٤٥) من طريق قيس بن الربيع، و(٥٩) من طريق جرير بن عبد الحميد، كلاهما عن ليث به.

ليث بن أبي سليم ضعيف؛ لكنه يتقوى بالطرق الأولى.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩) وابن أبي حاتم في «تفسيره»، كما في تفسير ابن كثير من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وسع كرسيه﴾ قال: كرسيه علمه.

قال الذهبي في «الميزان» ترجمة جعفر بن أبي المغيرة: قال ابن مندة: ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير وذكر له -أي: الذهبي- هذا الأثر ثم قال: قال ابن مندة: لا يتابع عليه.

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك عن عظيم قدرته وكمال قوته بقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: السموات والأرض وما فيهما.

وفسر الشيخ رحمه الله ﴿يَـُٔودُهُۥ﴾ بـ(يثقله ويُكْرِثُه)، وهو من آده الأمر: إذا ثقل عليه.

ثم وصف نفسه سبحانه في ختام تلك الآية الكريمة بهذين الوصفين الجليلين؛ وهما: ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾، و ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾.

فالعَلِيُّ: هو الذي لـه العلوُّ المطلق من جميع الوجوه:

علو الذَات: وكونه فوق جميع المخلوقات مستويًا على عرشه.

وعلو القَدْر: إذ كان لـه كل صفة كمال، ولـه من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

وعلو القَهْر: إذ كان هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

وأما العظيم؛ فمعناه الموصوف بالعظمة، الذي لا شيء أعظم منه، ولا أجل، ولا أكبر، ولـه سبحانه التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه.

(**وقوله سُبْحَانَهُ:** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣]).

/ ش/ قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾؛ الجملة هنا جاءت معرفة الطرفين؛ فهي تفيد اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء الأربعة ومعانيها على ما يليق بجلاله وعظمته، فلا يُثْبَت لغيره من ذلك شيء.

وقد اضطربت عبارات المتكلِّمين في تفسير هذه الأسماء، ولا داعي لهذه التفسيرات بعدما ورد تفسيرها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فقد روى

مسلم في «صحيحه»[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٍ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ**».

فهذا تفسير واضحٌ جامعٌ يدلُّ على كمال عظمته سبحانه، وأنه محيطٌ بالأشياء من كل وجه.

فالأول والآخر: بيان لإحاطته الزمانية.

والظاهر والباطن: بيان لإحاطته المكانية.

كما أن اسمه الظاهر يدل على أنه العالي فوق جميع خلقه، فلا شيء منها فوقه.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، فأحاطت أَوَّلِيَّتُهُ وآخريَّتُهُ بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريَّتُه وباطنيَّتُهُ بكل ظاهرٍ وباطنٍ.

فاسمه الأول: دالٌّ على قِدَمِهِ وأزليَّتِهِ.

واسمه الآخر: دالٌّ على بقائِهِ وأبديَّتِه.

واسمه الظاهر: دالٌّ على علوِّه وعظمته.

---

(١) رقم: (٢٧١٣) بلفظ «**اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوارة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء. وأنت الآخر فليس بعدك شيء. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء. وأنت الباطن فليس دونك شيء. أقض عنَّا الدَّين وأغننا من الفقر**».

واسمه الباطن: دالٌّ على قربِه ومعيَّتِه.

ثم خُتِمَت الآية بما يفيد إحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة، ومن العالم العُلوي والسُّفلي، ومن الواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السماء.

فالآية كلها [في] شأن إحاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه، وأن العوالم كلها في قبضة يده؛ كخردلة في يد العبد، لا يفوته منها شيء، وإنما أتى بين هذه الصفات بالواو مع أنها جارية على موصوف واحد؛ لزيادة التقرير والتأكيد؛ لأن الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم وتقريره، وَحَسُنَ ذلك لمجيئها بين أوصاف متقابلة قد يسبق إلى الوهم استبعاد الاتصال بها جميعًا؛ فإن الأولية تنافي الآخرية في الظاهر، وكذلك الظاهرية والباطنية، فاندفع توهُّم الإنكار بذلك التأكيد.

([**وَقَوْله سُبْحَانَهُ:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾] [الفرقان:٥٨]).

/ش/ قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾... إلخ؛ هذه الجملة من الآيات ساقها المؤلف لإثبات بعض الأسماء والصفات.

فالآية الأولى فيها إثبات اسمه الحيِّ، كما تضمَّنت سلب الموت الذي هو ضد الحياة عنه، وقد قدَّمنا أنه سبحانه حيٌّ بحياة هي صفة لـه لازمة لذاته، فلا يعرض لها موت ولا زوال أصلًا، وأن حياته أكمل حياة وأتمها، فيستلزم ثبوتُها لـه ثبوتَ كلِّ كمال يضادُّ نفيُه كمالَ الحياة.

وأما الآيات الباقية؛ ففيها إثبات صفة العلم وما اشتُقَّ منها؛ ككونه عليمًا، ويعلم وأحاط بكل شيءٍ علمًا... إلخ.

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ [ٱلْحَكِيمُ][(١)]﴾[التحريم:٢]، ﴿[وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ][(٢)] * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ:١]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن/[(٣)] وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩]، [وَقَوْلُهُ][(٤)]: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[فاطر:١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِّتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق:١٢]).

/ ش/ والعلم صفة لله عز وجل، بها يدرك جميع المعلومات على ما هي به، فلا يخفى عليه منها شيء؛ كما قدمنا.

وفيها إثبات اسمه الحكيم، وهو مأخوذٌ من الحكمة، ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، فلا يقع منه عبثٌ ولا باطلٌ، بل كل ما يخلقه أو يأمر به فهو تابعٌ لحكمته.

وقيل: هو من فعيل بمعنى مُفْعِل، ومعناه: المُحْكِم للأشياء، من الإحكام: وهو الإتقان، فلا يقع في خلقه تفاوتٌ ولا فطورٌ، ولا يقع في تدبيره خللٌ أو اضطرابٌ.

وفيها كذلك إثبات اسمه الخبير، وهو من الخبرة؛ بمعنى كمال العلم، ووثوقه، والإحاطة بالأشياء على وجه التفصيل، ووصول علمه إلى ما خفي ودقَّ من الحسيات والمعنويات.

---

(١) في (م): الخبير.
(٢) غير موجود في (أ)، و(م).
(٣) من هنا بدأت مخطوطة (ب).
(٤) سقط من (أ)، و(ب).

وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات بعض ما يتعلَّق به علمُه؛ للدلالة على شموله وإحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه:

فذكر أنه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾؛ أي: يدخل ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من حبٍّ وبذرٍ ومياه وحشرات ومعادن، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرعٍ وأشجارٍ وعيونٍ جاريةٍ ومعادن نافعة كذلك، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من ثلجٍ وأمطار وصواعقَ وملائكةٍ، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾؛ أي: يصعد ﴿فِيهَا﴾ كذلك من ملائكة وأعمال وطير صوافَّ... إلى غير ذلك مما يعلمه جل شأنه.

وذكر فيها أيضًا أن ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، ومفاتح الغيب؛ قيل: خزائنه. وقيل: طرقه وأسبابه التي يتوصل بها إليه، جمع مِفتح؛ بكسر الميم، أو مفتاح؛ بحذف ياء مفاعيل.

وقد فسرها النبيُّ ﷺ بقوله: «**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٣٤].[(١)]

وقد دلّت الآيتان الأخيرتان على أنه سبحانه عالم بعلم هو صفة لـه، قائم بذاته؛ خلافًا للمعتزلة الذين نفوا صفاته، فمنهم من قال: إنه عالم بذاته، وقادر بذاته.. إلخ، ومنهم مَن فسر أسماءه بمعانٍ سلبية، فقال: عليم؛ معناه: لا يجهل. وقادرٌ؛ معناه: لا يعجز.. إلخ.

---

(١) رواه البخاري رقم: (٤٦٢٧)، (٤٧٧٨) وغيرهما من المواضع عن ابن عمر.

وهذه الآيات حجة عليهم، فقد أخبر فيها سبحانه عن إحاطة علمه بحمل كل أنثى ووضعها من حيث المتى والكيف؛ كما أخبر عن عموم قدرته، وتعلقها بكل ممكن، وعن إحاطة علمه بجميع الأشياء.

وما أحسن ما قالـه الإمام عبد العزيز المكي في كتابه «الحيدة»[1] لبشر المَرِيسِيِّ المعتزلي وهو يناظره في مسألة العلم:

---

(١) قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٦٣٩) ترجمة عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني، الذي ينسب إليه «الحيدة» في مناظرته لبشر المريسي إلى أن قال: قلت لم يصح إسناد كتاب الحيدة إليه، فكأنه وضع عليه.

وقال (٣/ ٥١٧) ترجمة محمد بن الحسن بن أزهر الدعاء، وذكر أن الخطيب أتهمه بالوضع، ثم قال قلت: هو الذي انفرد برواية كتاب «الحيدة»،...، ويغلب على ظني أنه هو الذي وضع كتاب «الحيدة» فإني لأستبعد وقوعها جدًا. اهـ

والواقع أن محمد بن الحسن، لم ينفرد برواية كتاب «الحيدة». قال ابن بطة في «الإبانة» باب ذكر مناظرات الممتحنين بين يدي الملوك الجبارين الذين دعو الناس إلى هذا الضلالة.

ثم قال: مناظرة عبد العزيز بن يحيى المكي لبشر بن غياث المريسي بحضرة المأمون: حدثنا أبو حفص محمد بن عمر بن محمد بن رجاء قال: ثنا أبو أيوب عبد الوهاب بن عمرو النزلي، قال حدثني أبو القاسم العطاف بن مسلم، قال: حدثني الحسين بن بشر ودبيس الصائغ ومحمد بن فرقد، قالوا: قال لنا عبد العزيز بن يحيى الكناني: أرسل إليَّ المأمون أمير المؤمنين، وأحضرني وأحضر بشرًا... ثم ذكر نماذج من كتاب «الحيدة».

زيادة على ذلك أن هذه المناظرة وهذا الكتاب اشتهرت نسبته إلى عبدالعزيز الكناني على ألسنة كثير من العلماء، مما يدل على ثبوت هذه الحادثة التأريخية، وصحة نسبة الكتاب إلى عبد العزيز، وفي كتاب «الحيدة» ما يدل على ذلك.

ومن هؤلاء العلماء:

ابن النديم في «الفهرست» ص٢٧٥.

الخطيب في «تأريخ بغداد» (١٠/ ٤٤٩).

الذهبي نفسه في «العبر» (١/ ٤٣٤)، وفي دول الإسلام ص١٤٦.

ابن كثير كما في «طبقات الشافعية».

ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٦/ ٤٦٣) ونقل نصًا من كتاب «الحيدة» في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٢) في شرح حديث (٧٤١٧). =

(إن الله عز وجل لم يمدح في كتابه [مَلَكًا مقرَّبًا ولا نبيًا مرسلًا] ولا مؤمنًا تقيًّا بنفي الجهل عنه؛ ليدل على إثبات العلم لـه، وإنما مدحهم بإثبات العلم لهم، فنفى بذلك الجهل عنهم... فمَن أثبت العلم نفي الجهل، ومَن نفى الجهل لم يثبت العلم).

والدليل العقلي على علمه تعالى أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل؛ لأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم العلم بالمُراد، ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤].

ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة ما يشهد بعلم الفاعل لها؛ لامتناع صدور ذلك عن غير علم.

ولأن من المخلوقات من هو عالِمٌ، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن الله عالمًا؛ لكان في المخلوقات مَن هو أكمل منه.

وكل علم في المخلوق إنما استفاده من خالقه، وواهب الكمال أحق به، وفاقد الشيء لا يعطيه.

وأنكرت الفلاسفة[1] علمه تعالى بالجزئيات، وقالوا: إنه يعلم الأشياء على وجه كليٍّ ثابتٍ، وحقيقة قولهم أنه لا يعلم شيئًا؛ فإن كل ما في الخارج هو جزئي.

= ابن الجوزي في «المنتظم» أشار إلى هذه المناظرة.
ابن العماد في «شذرات الذهب» (٢/ ٩٥).
وابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (١/ ١٢٥، ١٨٠-١٨١) ط. مؤسسة الرسالة.
ابن تيمية نقل نصوصًا من «الحيدة» في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٢٤٥- ٢٥٢، ٢٦٣، ٢٦٦-، ٢٧٠-٢٧٣، ٢٨١) وغيرها من المواضع.
ابن القيم نقل من هذا الكتاب في «شفاء العليل» ص(٣١٢).
غالب ما سبق مختصر من مقدمة الأخ/ علي بن محمد الفقيهي في تحقيقه لكتاب «الحيدة».

(١) تقدم شيء من الكلام عليهم ص(٣٦).

كما أنكر الغُلاة[(١)] من القدَرِيَّة علمه تعالى بأفعال العباد حتى يعملوها؛ توهُّمًا منهم أن علمه بها يفضي إلى الجبر، وقولهم معلوم البطلان بالضرورة في جميع الأديان.

(**وَقوله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]).

/ ش/ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ إلخ؛ تضمَّنَتْ إثبات اسمه الرَّزَّاق، وهو مبالغة من الرزق، ومعناه: الذي يرزق عباده رزقًا بعد رزق في إكثار وسعة.

وكل ما وصل منه سبحانه من نفعٍ إلى عباده فهو رزقٌ؛ مباحًا كان أو غير مباح، على معنى أنه قد جعلـه لهم قوتًا ومعاشًا؛ قال تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾[ق:١٠-١١]، وقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات:٢٢]. إلا أن الشيء إذا كان مأذونًا في تناوله؛ فهو حلالٌ حكمًا، وإلا كان حرامًا، وجميع ذلك رزقٌ[(٢)].

---

(١) قال ابن القيم في «شفاء العليل» ص٦١: وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم.

(٢) ومن الأدلة على ما ذكره الشارح رحمه الله قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[الأعراف:٣٢] لم يقل (والطيبات هي الرزق) مما يدل على أن من الرزق ما هو خبيث. وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الآية [هود:٦]. وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾[العنكبوت:٦٠].

ومن المعلوم أن من المكلفين من يأكل حرامًا، ويعيش على الحرام، وهم آثمون.

هذا الذي عليه أهل السنة، وخالفهم المعتزلة فقصروا الرزق على الحلال، وهم محججون بالأدلة السابقة، وبأمثالها، ويلزمهم أيضًا أن يقولوا إنّ الله لم يرزق من كان يعيش على الحرام، وهذا ضلالٌ بعيد.

راجع لهذه المسألة كتاب «الاعتقاد» للبيهقي ص(١١٣)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٣٢٢) و«مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٤٥-٥٤٦)، و«شرح النونية» لمحمد خليل هراس (٢/ ١١٠)، ولأحمد ابن إبراهيم بن عيسى (٢/ ٢٣٤-٢٣٥)، و«شرح الواسطية» لابن عثيمين، و«السفارنية مع شرحها» ص(١٥٥-١٥٦).

وتعريف الجملة الاسمية والإتيان فيها بضمير الفصل؛ لإفادة اختصاصه سبحانه بإيصال الرزق إلى عباده.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أقرأني رسول الله ﷺ: إنِّي أنا الرزاق ذو القوة المتين)[1].

---

(١) صحيح، أخرجه ابن حبان في «صحيحه» كما في «الإحسان» (١٤/ ٢٣٦) رقم: (٦٣٢٩) من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله بن مسعود فذكره.

وهذا إسناد في غاية الصحة، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله، مدلس وقد عنعن، لكن الراوي عنه شعبة فلا يضر؛ لأنه قد أكثر عنه وهو أيضًا من الأثبات فيه.

وقد أخرجه أبو داود (٣٩٩٣) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٠٧، ١١٥٢٧) وفي «التفسير» (٥٤٥)، والترمذي (٢٩٤٠)، وأحمد (١/ ٣٩٤، ٤١٨) وأبو يعلى (٥٣٣٣)، والشاشي في «مسنده» (٤٦٤، ٤٦٨)، والحاكم (٢/ ٢٣٤، ٢٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم: (٦٧، ١١٤، ٢٥١)، كلهم من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله فذكره.

وقال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وسكت عليه الذهبي، وقد تابع إسرائيل: قيس بن الربيع، عند أبي داود الطيالسي (٣١٧) والشاشي (٤٦٦).

وجاء في «مسند الشاشي» (٤٦٥) أنه قال: حدثنا عباس الدوري، نا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن جابر وقيس عن أبي إسحاق به.

وفي «مسند أحمد» قال: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق به.

فهذا هو الموافق لجميع من رواه عن إسرائيل، فهو المحفوظ.

فمتن الحديث صحيح، والقراءة شاذة، والقراءة الشاذة عند الأصوليين، هي مالم يتواتر. اهـ «روضة الناظر» (١/ ١٨١) وغيره.

وأما عند القراء، فقد ذكر ابن الجزري: أن كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالًا، ووافقت العربية، ولو بوجه واحد، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يحل لمسلم أن ينكرها، سواء كانت عن السبعة أو عن العشرة، أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلق عليها شاذة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة، أو عمن هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف.

صرح به الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحدٍ خلافه. اهـ من «النشر في القراءات العشر» (١/ ٥٣-٥٤).

وأما قوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾؛ أي صاحب القوة؛ فهو بمعنى اسمه القوي؛ إلا أنه أبلغ في المعنى، فهو يدلُّ على أن قوته سبحانه [لا تتناقص[١] فيَهِنُ أو يَفتُرُ].

وأما ﴿ٱلْمَتِينُ﴾؛ فهو اسم له من المتانة، وقد فسره ابن عباس بـ(الشديد)[٢].

(**وَقَوْله**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]. **[وَقَوْله]**[٣]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨]).

/ ش/ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ إلخ؛ دلَّ إثباتُ صفتي السمع والبصر لـه سبحانه بعد نفي المثل عنه، على أنه ليس المراد من نفي المثل نفي الصفات؛ كما يدَّعي ذلك المعطِّلة، ويحتجون به باطلًا، بل المراد إثبات الصفات مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله:

---

(١) علق الشيخ عبد الرزاق عفيفي في طبعته الجامعة الإسلامية، بقوله: (هكذا بالأصل والصواب أن يقال: لا نقص فيها ولا فتور). اهـ السقاف.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن جرير في «تفسيره»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٨) من طريق أبي صالح كاتب الليث، قال: حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وكاتب الليث مختلف فيه والراجح ضعفه، وعلى هو ابن أبي طلحة مولى ابن عباس، لم يسمع من عبد الله بن عباس.

قال ابن جرير: اختلف القراء في قراءة قوله: (المتين): فقرأته عامة قراء الأمصار، خلا يحيى بن وثاب والأعمش: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]. رفعًا، بمعنى: ذو القوة الشديد، فجعلوا المتين من نعت ذي، ووجهوه إلى وصف الله به.

وقرأ يحيى والأعمش ﴿المتين﴾ خفضًا، فجعلاه من نعت القوة... والصواب من القراءة في ذلك عندنا ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ رفعًا على أنه من صفة الله جل ثناؤه؛ لإجماع الحجة من القراء عليه. اهـ

(٣) سقط من (أ)، و(ب).

(قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ إنما قصد به نفي أن يكون معه شريكٌ أو معبودٌ يستحقُّ العبادة والتعظيم؛ كما يفعله المشبهون والمشركون، ولم يقصد به نفي صفات: كماله، وعلوِّه على خلقه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لرسله، ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم كما ترى الشمس والقمر في الصحو). اهـ

ومعنى ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: المدرك لجميع الأصوات مهما خَفَتَتْ، فهو يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل أسماع خلقه.

ومعنى ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار، وهو من فعيل بمعنى مُفْعِل، وهو دالٌّ على ثبوت صفة البصر لـه سبحانه على الوجه الذي يليق به.

روى أبو داود[1] في «سننه» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه.

---

(١) برقم(٤٧٢٨) فقال رحمه الله: حدثنا علي بن نصر ومحمد بن يونس النسائي المعنى، قالا: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا حرملة -يعني ابن عمران- حدثني أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨] قال رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ: يقرؤها ويضع إصبعيه، قال ابن يونس قال المقرئ: يعني: أن الله سميع بصير. يعني: أن لله سمعًا وبصرًا، قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية.

قلت: إسناده صحيح.

وقد رواه ابن أبي حاتم، وابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «مستدركه» وابن مردويه في «تفسيره» من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ بإسناده نحوه، كما في تفسير ابن كثير.

وقد جاءت الإشارة إلى العين في حديث ابن عمر في البخاري (٧٤٠٧)، قال ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: «**إنَّ الله لا يخفى عليكم، إنَّ الله ليس بأعور -وأشار بيده إلى عينه- وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبةٌ طافية**».

وفي إشارة النبي ﷺ إلى عينه وأذنه تحقيق صفتي السمع والبصر لله عز وجل لا التمثيل. =

ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، فهو حجة على بعض الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات، وهو تفسير خاطئ؛ فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها.

(**وقوله:** ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[الكهف:٣٩]، [**وقوله**][(١)]: ﴿[**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ**][(٢)] وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣]، [وقوله][(٣)]: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة:١]، [وقوله][(٤)]: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام:١٢٥]).

/ش/ قوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ﴾ إلخ. هذه الآيات دلَّت على إثبات صفتي الإرادة والمشيئة، والنصوص في ذلك لا تحصى كثرة.

= ولا بأس أن تشير كما أشار النبي ﷺ؛ إلا إذا كنت بين أناس لا يفهمون من إشارتك إلا التمثيل، أو قد يتوهمون ذلك فلا. والله أعلم.

انظر «الفتح» مع الحذر من التأويل في بعض المواضع وفي قوله: إنَّ الإشارة إلى عينه ﷺ، إنما هي بالنسبة إلى عين الدجال... وشرح ابن عثيمين للواسطية ص(١٧٣).

(١) سقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

(٣) زيادة من المطبوع.

(٤) سقط من (أ).

والأشاعرة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلَّقت في الأزل بكل المرادات، فيلزمهم تخلُّف المراد عن الإرادة[١].

وأما المعتزلة؛ فعلى مذهبهم في نفي الصفات لا يثبتون صفة الإرادة، ويقولون: إنه يريد بإرادة حادثة لا في محل، فيلزمهم قيام الصفة بنفسها، وهو من أبطل الباطل.

وأما أهل الحق؛ فيقولون: إن الإرادة على نوعين:

١- إرادة كونية ترادفها المشيئة، وهما تتعلَّقان بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه، فهو سبحانه إذا أراد شيئًا وشاءه؛ كان عقب إرادته لـه؛ كما قال تعـالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

وفي الحديث الصحيح[٢]: «مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ».

---

(١) لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢]، ويقول: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[الكهف:٢٣-٢٤].

ويقول: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[الفتح:٢٧] ويقول: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾[الإسراء:١٦].

ويقول: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾[الرعد:١١] ويقول: ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلٗا﴾[الإنسان:٢٨] ويقول: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[الإسراء:٨٦] وأمثال ذلك في القرآن العزيز.

فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال، مثل: (إن) و(أن) وكذلك (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان؛ فقوله: ﴿إِذَآ أَرَادَ﴾ و﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ونحو ذلك يقتضي حصول إرادة مستقبلة ومشيئة مستقبلة. اهـ «مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٢٥).

ويقول الله: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج:١٦] وهذا ظاهر في استمرار الإرادة.

(٢) بل هو حسن لغيره، وهو قطعة من بعض أحاديث أذكار الصباح والمساء، وفي بعضها أذكار الصباح فقط، وما من حديث إلا وفيه كلام على ما سيأتي بيانه، لكن هذه الجملة تحسَّن بمجموع بعض هذه الأحاديث.

الحديث الأول: حديث بريدة بن الحصيب، أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم: (٤٢) وفي سنده ثعلبة بن يزيد الحمَّاني، وعلي بن قادم وهما ضعيفان. =

= الحديث الثاني: حديث زيد بن ثابت، أخرجه أحمد (٥/ ١٩١) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٥/ رقم: ٤٨٠٣)، وفي «مسند الشاميين» (١٤٨١)، وفي الدعاء (٣٢١)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٣) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، ثنا أبو بكر بن أبي مريم، حدثنا ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء عن زيد بن ثابت مرفوعًا فذكره.

وسقط أبو الدرداء من الدعاء للطبراني من الطبعة التي بين أيدينا أو أن هذا من بعض النّساخ، والله أعلم.

وأخرجه الحاكم (١/ ٥١٦-٥١٧) ومن طريقه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٢) من طريق عيسى بن يونس عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن زيد بن ثابت مرفوعًا. قال الحاكم عقبه هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال الذهبي في التلخيص: أبو بكر ضعيف، فأين الصحة. اهـ وقال الحافظ ابن حجر في اتحاف المهرة (٤/ ٦٢٨) أبو بكر ضعيف وأظنه منقطعًا. أي: بين ضمرة بن حبيب وزيد بن ثابت.

وهذا الاختلاف في هذين الأسنادين وهو ذكر أبي الدرداء في الأول، وعدم ذكره في الثاني، يغلب على ظني أن منشأه من أبي بكر بن أبي مريم، فهو كثير الأغلاط. والراجح عندي الإسناد الثاني بدون ذكر أبي الدرداء، والذي يقوي هذا أن الحديث، قد جاء من غير طريق أبي بكر بدون ذكر أبي الدرداء.

أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٣٢٠) وفي «الكبير» (٥/ رقم: ٤٩٣٢)، وفي «الشاميين» (٢٠١٣)، فقال رحمه الله: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي، ثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت.

وبكر بن سهل، وعبد الله بن صالح وهو كاتب الليث ضعيفان وبقية رجاله محتجٌّ بهم، وهذه متابعة قوية من معاوية بن صالح لأبي بكر بن أبي مريم.

الحديث الثالث: ما رواه ابن السني (٥٨) من طريق معانٍ أبي عبد الله، حدثنا رجل عن الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وفي سنده مبهم.

الحديث الرابع: ما رواه أبو داود (٥٠٧٥) والنسائي في «عمل اليوم الليلة» (١٢) ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٦)، من طريق عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو أن سالمًا الفراء حدثه أن عبد الحميد مولى بني هاشم، حدثه أن أمه حدثته، وكانت تخدم بعض بنات ﷺ: أن ابنة النبي ﷺ حدثتها عن النبي -ﷺ- فذكرته.

وعبد الحميد مولى بني هاشم وأمُّه مجهولان.

الحديث الخامس: حديث أبي الدرداء، رواه ابن السني (٥٧) وفي سنده الأغلب بن تميم الشعوذي، قال فيه البخاري منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء.

٢- وإرادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

ولا تلازم بين الإرادتين؛ بل قد تتعلَّق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ من وجه.

فالإرادة الكونية أعمُّ من جهة تعلُّقها بما لا يحبُّه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخصُّ من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعمُّ من جهة تعلُّقها بكل مأمور به واقعًا كان أو غير واقع[(١)]، وأخصُّ من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

والحاصل أن الإرادتين قد تجتمعان معًا في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية؛ هذا من قول الله حكاية عن الرجل المؤمن لزميله الكافر صاحب الجنَّتين؛ يعظه به أن يشكر نعمة الله عليه، ويردَّها إلى مشيئة الله، ويبرأ من حوله وقوته؛ فإنه لا قوة إلا بالله.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية؛ إخبارٌ عمّا وقع بين أتباع الرسل من بعدهم: من التنازع، والتعادي بغيًا بينهم وحسدًا، وأنَّ ذلك إنما كان بمشيئة الله عز وجل، ولو شاء عدم حصولـه ما حصل، ولكنه شاءه فوقع.

---

(١) فالله أمر عباده بطاعته، فمنهم من أطاع ومنهم من عصى، ومن الأدلة على ذلك حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: ألَّا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي**». متفق عليه.

وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾ إلخ؛ الآية تدل على أن كلاً من الهداية والضلال بخلق الله عز وجل، فمن يرد هدايته أي: إلهامه وتوفيقه يشرح صدره للإسلام، بأن يقذف في قلبه نورًا، فيتسع له، وينبسط؛ كما ورد في الحديث[1]، ومن

(١) رواه الطبري في «تفسيره» عند الآية من طريق سعيد بن عبدالملك بن واقد الحراني قال حدثنا محمد بن سلمة عن أبي عبدالرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال: قيل لرسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ قال: «**إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح**»، قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود، والتنحِّي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت**». سنده ضعيف. سعيد بن عبدالملك بن واقد ضعفه الدارقطني كما في «اللسان»، وفي روايته عن محمد بن سلمة الحراني ضعف، قاله أبوحاتم كما في «الجرح والتعديل» (٤/ ٤٥). وأبوعبيدة لم يسمع من أبيه.

ومع هذا كله فالصحيح في الحديث الإرسال.

قال الدارقطني في «العلل» (٥/ ١٨٩) حين سئل عن هذا الحديث: يرويه عمرو بن مرة واختلف عنه - وذكر الخلاف عنه - ثم قال: والصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبدالله بن المسور مرسلًا عن النبي ﷺ كذلك قاله الثوري.

وعبدالله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب هذا متروك. قلت: قد رماه بالوضع أحمد وأبوحاتم والبخاري.

والمرسل رواه الطبري في «تفسيره» وغيره.

وله طريق ثانية وثالثة، فالثانية: رواها الحاكم (٤/ ٣١١) وفي سندها عدي بن الفضل، قال الذهبي في «تلخيصه»: ساقط، وقال أبوحاتم وابن معين: متروك الحديث. والمسعودي مختلط.

والثالثة: رواها الطبري وفي سندها محبوب بن الحسن الهاشمي ضعيف، وفيها إعضال كما بينه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢/ ٣٨٤).

وجاء عن ابن عباس عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الضعيفة»، وفي سنده حفص بن عمر العدني ضعيف جدًّا، والحكم بن أبان ضعيف.

وجاء عن الحسن البصري مرسلًا، قال الألباني: لم أقف على إسناده وإنما ذكره السيوطي في تخريج ابن أبي الدنيا في كتاب «ذكر الموت» عنه مرسلًا نحوه.

قال ابن كثير في «تفسيره» بعد أن ذكر طرق الحديث: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا، والله أعلم.

قال الألباني في «الضعيفة» (٩٦٥): وهذا من أوهامه رحمه الله تعالى... ثم قال: وجملة القول أن الحديث ضعيف لا يطمئن القلب لثبوته عن النبي ﷺ لشدة الضعف الذي في جميع طرقه. اهـ =

يرد إضلاله وخذلانه يجعل صدره في غاية الضيق والحرج، فلا ينفذ إليه نور الإيمان، وشبَّه ذلك بمن يصعد في السماء.

(**وقوله**: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات:٩]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢]، [**وَقَوْلُهُ**: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾][(١)][آل عمران:٣١]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ[(٢)]﴾[المائدة:٥٤]، [**وَقَوْلُهُ**][(٣)]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:٤]).

/ش/ تضمَّنت هذه الآيات إثبات أفعالٍ لـه تعالى ناشئة عن صفة المحبة، ومحبة الله عز وجل لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به، وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته، فهو يحبُّ بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة.

وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة؛ بدعوى أنها توهم نقصًا؛ إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذُّه.

= ولا شك أن من شرح الله صدره للإسلام يقذف في قلبه نورًا؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[الزمر:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[الحديد:٢٨]. ولحديث عبدالله بن عمرو مرفوعًا: «**إنَّ الله عز وجل خلق خلقه في ظلمةٍ ثم ألقى عليهم من نوره يومئذٍ، فمن أصابه من نوره يومئذٍ اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل**». رواه أحمد (٢/ ١٧٦)، والحاكم (١/ ٣٠) وابن ماجة وغيرهم وهو صحيح وقد ذكره شيخنا في «الصحيح المسند».

(١) في (أ)، و(ب) تأخرت هذه الآية بعد آية الصف، وفي (ب) جاءت كاملة.

(٢) هنا في (ب): [أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ].

(٣) سقط من (أ)، و(ب).

فأما الأشاعرة؛ فيُرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته.

وكذلك يقولون في صفات الرضا والغضب والكراهية والسخط؛ كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.

وأما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به، فيفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

وأما أهل الحق؛ فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصًا ولا تشبيهًا.

كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته[١] سبحانه إكرام من يحبه وإثابته.

وليت شعري بماذا يجيب النافون للمحبَّة عن مثل قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا؛ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: فَيَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُوهُ. قَالَ: فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَـهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ**» رواه الشيخان.[٢]

---

(١) الصواب: أن يقال وهي إكرام من يحبه وإثابته.

(٢) البخاري رقم: (٦٠٤٠، ٧٤٨٥) ومسلم (٢٦٣٧) إلى قوله «**ويوضع له القبول في الأرض**»، زاد مسلم: «**وإذا أبغض الله عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فابغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ الله يبغض فلان فأبغضوه، قال فيبغضونه. ثم توضع له البغضاء في الأرض**».

وقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ أمرٌ بالإحسان العام في كل شيء؛ لا سيما في النفقة المأمور بها قبل ذلك، والإحسان فيها يكون بالبذل وعدم الإمساك، أو بالتوسط بين التقتير والتبذير، وهو القوام الذي أمر الله به في سورة الفرقان.

روى مسلم في «صحيحه»[(١)] عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ».

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فهو تعليل للأمر بالإحسان، فإنهم إذا علموا أن الإحسان موجبٌ لمحبَّته؛ سارعوا إلى امتثال الأمر به.

وأما قوله في الآية الثانية: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾؛ فهو أمرٌ بالإقساط، وهو العدل في الحكم بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين، وهو من قَسَطَ؛ إذا جار، فالهمزة فيه للسلب[(٢)]، ومن أسمائه تعالى: المُقْسِط[(٣)].

وفي الآية الحث على العدل وفضله، وأنه سبب لمحبة الله عز وجل.

---

(١) رقم: (١٩٥٥).

(٢) أي: النفي، وسميت بهذا؛ لأنها إذا دخلت على الفعل نفت معناه، فهنا قسط بمعنى جار، فلما دخلت عليه الهمزة سلبته هذا المعنى وصار بمعنى عدل.

(٣) ذكر هذا الاسم في حديث أبي هريرة الذي فيه سرد الأسماء الحسنى أخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم وغيرهم، وهو حديث معل لم يثبت مرفوعًا إلى النبي -ﷺ- انظر كلام ابن كثير عليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠] وانظر أيضًا «فتح الباري» (١١/ ٢١٥-٢١٦).

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾؛ فمعناه: إذا كان بينكم وبين أحدٍ عهدٌ كهؤلاء الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام؛ فاستقيموا لهم على عهدهم مدة استقامتهم لكم، فـ(ما) هنا مصدرية ظرفية.

ثم علَّل ذلك الأمر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: يحبُّ الذين يتَّقون الله في كل شيء، ومنه عدم نقض العهود.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ إلخ؛ فهو إخبار من الله سبحانه وتعالى عن محبته لهذين الصنفين من عباده.

أما الأول: فهم التَّوَّابون؛ أي: الذين يكثرون التوبة والرجوع إلى الله عز وجل بالاستغفار مما أَلَمُّوا به على ما تقتضيه صيغة المبالغة، فهم بكثرة التوبة قد تطهَّروا من الأقذار والنجاسات المعنوية التي هي الذنوب والمعاصي.

وأما الثاني: فهم المتطهرون؛ الذين يبالغون في التطهر، وهو التنظيف بالوضوء أو بالغسل من الأحداث والنجاسات الحسية. وقيل: المراد بالمتطهرين هنا الذين يتنزهون من إتيان النساء في زمن الحيض أو في أدبارهن، والحمل على العموم أولى.

وأما قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١]؛ فقد رُوِيَ عن الحسن في سبب نزولها أن قومًا ادَّعوا أنهم يحبِّون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم[(١)].

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» وقال: وأما ما روى الحسن في ذلك...، فلا خبر به عندنا يصح.
قلت: وهو مرسل أيضًا.
قال الواحدي في «أسباب النزول» ص(٨٦).
وروى جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: وقف النبي ﷺ، على قريش وهم في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في آذانها الشنوف، وهم يسجدون لها، فقال: «**يا معشر قريش، لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام**». =

وفي هذه الآية قد شرط الله لمحبَّته اتباع نبيه ﷺ، فلا ينال تلك المحبة؛ إلا من أحسن الاتباع والاستمساك بهديه ﷺ.

(**وَقَوْلُهُ:** ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾[البروج:١٤]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[النمل:٣٠]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]، [﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾][(١)][الأعراف:١٥٦]، [﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾][(٢)][الأنعام:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٧]، ﴿فَٱللَّهُ [خَيْرٌ][(٣)] حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف:٦٤]).

= فقالت قريش: يا محمد، إنما نعبد هذه حبًّا لله؛ ليقربونا إلى الله زلفى. فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فأنا رسوله إليكم، وحجته عليكم، وأنا أولى بالتعظيم في أصنامكم.

قلت: جويبر متروك.

قال الحافظ ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» وهذا من منكرات جويبر، فإن آل عمران مدينة، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيهما في أوائل الزمر.

وقال الواحدي: وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: (أن اليهود لما قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، أنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت عرضها رسول الله ﷺ على اليهود فأبو أن يقبلوها).

قلت: سنده تالف، الكلبي كذاب، وأبو صالح باذام مولى أم هانئ ضعيف، ولم يدرك ابن عباس.

وقال الواحدي رحمه الله: وروى محمد بن إسحاق بن يسار، عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: نزلت في نصارى نجران، وذلك أنهم قالوا: إنما نعظم المسيح ونعبده حبًا لله وتعظيمًا له، فأنزل الله تعالى الآية ردًا عليهم.

وابن إسحاق مدلس، وقد عنعن ولكن جاء تصريحه بالسماع في «العجاب» لابن حجر وهذا مرسل.

ورواه الطبري في «تفسيره» من طريق شيخه ابن حميد وهو كذاب.

(١) سقط من (أ)، و(ب).

(٢) في (ب): كتب على نفسه الرحمة.

(٣) في (ب): خيرًا.

/ ش/ قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ إلخ؛ تضمنت الآية إثبات اسمين من الأسماء الحسنى، وهما: الغفور، والودود.

أما الأول: فهو مبالغة في الغفر، ومعناه الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، والتجاوز عن مؤاخذتهم.

وأصل الغفر: الستر، ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ. ومنه: المغفر لسترة الرأس.

وأما الثاني: فهو من الودِّ الذي هو خالص الحب وألطفه، وهو إما من فعول بمعنى فاعل، فيكون معناه: الكثير الود لأهل طاعته، والمتقرب إليهم بنصره لهم ومعونته. وإما من فعول بمعنى مفعول، فيكون معناه: المودود لكثرة إحسانه، المستَحِقُّ لأن يَوَدَّه خلقه فيعبدوه ويحمدوه.

وأما قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وما بعدها من الآيات؛ فقد تضمنت إثبات اسميه الرحمن والرحيم، وإثبات صفتي الرحمة والعلم.

وقد تقدم في تفسير ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الكلام على هذين الاسمين، وبيان الفرق بينهما، وأن أولهما دالٌّ على صفة الذات والثاني دالٌّ على صفة الفعل.

وقد أنكر الأشاعرة والمعتزلة صفة الرحمة بدعوى أنها في المخلوق ضعفٌ وخَوَرٌ وتألُّم للمرحوم، وهذا من أقبح الجهل، فإن الرحمة إنما تكون من الأقوياء للضعفاء، فلا تستلزم ضعفًا ولا خورًا؛ بل قد تكون مع غاية العزة والقدرة، فالإنسان القوي يرحم ولده الصغير وأبويه الكبيرين ومَن هو أضعف منه، وأين الضعف والخور -وهما من أذم الصفات- من الرحمة التي وصف الله نفسه بها، وأثنى على أوليائه المتصفين بها، وأمرهم أن يتواصَوْا بها[1]

---

(١) وقالت المعتزلة في رحمة الله تعالى، التي هي صفته تعالى، إنها عين الإحسان والثواب، وقالت الأشاعرة: هي إرادة الإحسان والثواب. =

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ﴾ إلخ؛ من كلام الله عز وجل حكاية عن حملة العرش والذين حوله، يتوسَّلون إلى الله عز وجل بربوبيّته وسعة علمه ورحمته في دعائهم للمؤمنين، وهو من أحسن التوسُّلات التي يُرْجَى معها الإجابة.

ونصب قوله: ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ على التمييز المحوَّل عن الفاعل، والتقدير: وسعت رحمتُك وعلمُك كل شيء. فرحمته سبحانه وسعت في الدنيا المؤمن والكافر والبر والفاجر، ولكنها يوم القيامة تكون خاصة بالمتَّقين؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ الآية [الأعراف:١٥٦].

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾؛ أي: أوجبها على نفسه تفضُّلًا وإحسانًا، ولم يوجبها عليه أحدٌ.

وفي حديث أبي هريرة في «الصحيحين»[(١)]:

«إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ -أَوْ تَسْبِقُ- غَضَبِي».

= قال ابن القيم رحمه الله كما في مختصر «الصواعق المرسلة» ص(٣١٦): إنَّ الله فرق بين رحمته ورضوانه وثوابه المنفصل فقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة:٢١] فالرحمة والرضوان صفته، والجنة ثوابه. وهذا يبطل قول من جعل الرحمة إرادته الإحسان، فإن إرادته الإحسان هي من لوازم الرحمة. اهـ المراد.

قلت: وكذلك يبطل من جعل الرحمة عين الإحسان والثواب.

تنبيه: قوله ﷺ: «**إنَّ الله خلق مائة رحمة يوم خلق السموات والأرض...**» وفي بعضها «**جعل مائة رحمة...**» وقد سمى الله المطر رحمة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[الأعراف:٥٧].

فهذا رحمات مخلوقة، كما تقدم التصريح بذلك، وإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه.

(١) البخاري: (٣١٩٤) ومسلم: (٢٧٥١).

وأما قوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾؛ فالحافظ والحفيظ مأخوذ من الحفظ، وهو الصيانة، ومعناه: الذي يحفظ عباده بالحفظ العام، فييسر لهم أقواتهم، ويقيهم أسباب الهلاك والعَطَب، وكذلك يحفظ عليهم أعمالهم، ويحصي أقوالهم، ويحفظ أولياءه بالحفظ الخاص، فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم من مكايد الشيطان، وعن كل ما يضرُّهم في دينهم ودنياهم.

وانتصب ﴿حَٰفِظٗا﴾ تمييزًا لـ﴿خَيۡرٌ﴾ الذي هو أفعل تفضيل.

(**[قوله]**[(١)]: [﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾][(٢)][المائدة:١١٩]، ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ [وَلَعَنَهُۥ][(٣)]﴾[النساء:٩٣]، **وقوله**: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ [رِضۡوَٰنَهُۥ][(٤)]﴾[محمد:٢٨]، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾[الزخرف:٥٥]، **وقوله**: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾[التوبة:٤٦]، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[الصف:٣]).

/ ش/ قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل من الرِّضا لله، والغَضَب، واللَّعنُ، وَالكُرهِ، والسَّخط، والمَقْت، والأَسَف.

وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل، على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق.

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): وقوله.
(٢) سقط من (أ)، و(ب).
(٣) في (ب): ولعنه وأعد له.
(٤) في (ب): رضوانه فأحبط أعمالهم.

فلا حجة للأشاعرة والمعتزلة على نفيها، ولكنهم ظنُّوا أن اتصاف الله عز وجل بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو ما هي في المخلوق، وهذا الظنُّ الذي ظنوه في ربهم أرداهم فأوقعهم في حمأة النفي والتعطيل.

والأشاعرة يُرْجعون هذه الصفات كلها إلى الإرادة؛ كما علمت سابقًا، فالرضا عندهم إرادة الثواب، والغضب والسخط.. إلخ إرادة العقاب.

وأما المعتزلة؛ فيرجعونها إلى نفس الثواب والعقاب.

وقوله سبحانه: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إخبارٌ عمَّا يكون بينه وبين أوليائه من تبادل الرضا والمحبة.

أما رضاه عنهم؛ فهو أعظم وأجلُّ من كل ما أُعطوا من النعيم؛ كما قال سبحانه: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة:٧٢].

وأما رضاهم عنه؛ فهو رضا كل منهم بمنزلته مهما كانت، وسروره بها؛ حتى يظن أنه لم يؤت أحدٌ خيرًا ممَّا أُوتي، وذلك في الجنة.

وأما قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية؛ فقد احترز بقوله: ﴿مُؤْمِنًا﴾ عن قتل الكافر، وبقوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ - أي: قاصدًا لذلك، بأن يقصد مَن يعلمه آدميًّا معصومًا، فيقتله بما يغلب على الظن موته به - عن القتل الخطإ[1].

وقوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾؛ أي: مقيمًا على جهة التأبيد، وقيل الخلود: المكث الطويل.

---

(١) وأيضًا شبه العمد، وهو: أن يقصده بشيء ليس من شأنه القتل، ولم يقصد القتل.

واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون: من حَقَّت عليه اللعنة، أو دُعِي عليه بها.

وقد استشكل العلماء هذه الآيات من حيث إنها تدلُّ على أن القاتل عمدًا لا توبة له، وأنه مخلَّد في النار، وهذا معارضٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النساء:٤٨].

وقد أجابوا عن ذلك بعدة أجوبة؛ منها:

أن هذا الجزاء لمن كان مستحلاً لقتل المؤمن عمدًا.

أن هذا هو الجزاء الذي يستحقُّه لو جوزي، مع إمكان أن لا يجازى، بأن يتوب أو يعمل صالحًا يرجح بعمله السيئ.

أن الآية واردة مورد التغليظ والزجر.

أن المراد بالخلود المكث الطويل كما قدمنا.

وقد ذهب ابن عباس[(١)] وجماعة إلى أن القاتل عمدًا لا توبة له.

---

(١) واستدل على ما ذهب إليه بآية النساء، وأجاب عن آية الفرقان؛ بأنها نزلت في أهل الشرك، روى البخاري في «صحيحه» (٤٧٦٤) عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[النساء:٩٣] قال: لا توبة له. وعن قوله جل ذكره: ﴿لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الفرقان:٦٨] قال: كانت هذه في الجاهلية.

وروى البخاري أيضًا: (٤٧٦٦)، ومسلم (٤/ ٢٣١٧) أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس عن آية الفرقان، فقال: نزلت في أهل الشرك.

وجاء في مسلم في بعض طرق أثر ابن عباس: (فأما من دخل في الإسلام وعقله، ثم قتل، فلا توبة له).

=

= ومرة قال: بنسخها، كما في البخاري: (٤٧٦٢)، ومسلم: (٣٠٢٣): أن القاسم بن أبي بزة، سأل سعيد ابن جبير: هل لمن قتل مؤمنًا متعمدًا من توبة؟ وقرأ عليه القاسم ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[الفرقان:٦٨].

فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس، كما قرأتها عليَّ فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء. وفي مسلم: ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا.

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٩٦) وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد؛ فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارة يجعل محلهما مختلفًا. ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خصَّ منها مباشرة المؤمن القتل متعمدًا، وكثيرًا من السلف يطلقون النسخ على التخصيص، وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض، وأولى من دعوى أنه قال بالنسخ، ثم رجع عنه.

وقول ابن عباس: (بأن المؤمن إذا قتل مؤمنًا متعمدًا لا توبة له مشهورٌ عنه...). اهـ

والصحيح أن آية الفرقان، ليست منسوخة ولا معارضة لآية (النساء)، وذلك أن يحمل مطلق آية (النساء) على مقيد آية (الفرقان)، فيكون معناه: فجزاؤه كذا إلا من تاب؛ لا سيما وقد اتحد الموجب -بكسر الجيم- وهو القتل، والموجب -بفتح الجيم- وهو التوعد بالعقاب. اهـ تفسير القرطبي بتصرف يسير.

وأنت خبير بأن الشارح قد ذكر بعض توجيهات أهل العلم لآية النساء، ولعبد الله بن عباس، قول آخر بالتوبة.

كما في «مصنف ابن أبي شيبة» (٩/ ٣٦٢) رقم: (٧٨٠٣): فقال رحمه الله: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أبو مالك الأشجعي، عن سعد بن عبيدة، قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: ألمن قتل مؤمنًا متعمدًا توبة؟ قال: لا، إلا النار، قال: فلما ذهب، قال له جلساؤه: أهكذا كنت تفتينا؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبةً مقبولة؛ قال إني لأحسبه رجلًا مغضبًا يريد أن يقتل مؤمنًا، قال: فبعثوا في إثره فوجدوه كذلك. إسناده صحيح.

ولما رواه البخاري في «الأدب المفرد» ص(١٥).

فقال رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال أخبرنا محمد بن جعفر بن أبي كثير قال: أخبرني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار عن ابن عباس، أنه أتاه رجلٌ فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبت أن تنكحه، فغرت، فقتلتها، فهل لي توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله عز وجل.

وتقرب إليه ما استطعت، فذهبت إليه فقلت: لم سألته عن حياة أمِّه؟ فقال: لا أعلم عملًا أقرب إلى الله عز وجل من برِّ الوالدين. إسناده صحيح. =

حتى قال ابن عباس: (إن هذه الآية من آخر ما نزل، ولم ينسخها شيءٌ)[١].

والصحيح أن على القاتل حقوقًا ثلاثة: حقًّا لله، وحقًّا للورثة، وحقًّا للقتيل..

فحق الله يسقط بالتوبة.

وحق الورثة يسقط بالاستيفاء في الدُّنيا أو العفو.

وأما حق القتيل؛ فلا يسقط حتى يجتمع بقاتله يوم القيامة، ويأتي رأسه في يده، ويقول: يا رب! سل هذا فيمَ قتلني؟[٢]

= وهذا القول هو الصحيح الموافق لجمهور سلف الأمة وخلفها، وهو الذي تنصره الأدلة العامة، في قبول توبة التائب، وهي كثيرة، والخاصة، ومنها آية (الفرقان)، وحديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الشيخان في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس، فأراد أن يتوب، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُّل على عالم، فقال له: نعم له توبة، ومن يحول بينه وبينها...، وهذا الرجل وإن كان ممن قبلنا وقد قبل الله توبته؛ فلأن يكون من هذه الأمة التي رفع الله عنها الآصار والأغلال أولى.

(١) البخاري (٤٥٩٠)، و(٤٧٦٣)، ومسلم (٣٠٢٣).

(٢) جاء هذا عن ابن عباس عن النبي ﷺ: قال: يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه في يده وأوداجه تشخب دمًا يقول: يا رب قتلني حتى يدنيه من العرش.

قال فذكروا لابن عباس التوبة، فتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾[النساء:٩٣] قال: ما نسخت منذ أنزلت، وأنى له التوبة.

أخرجه النسائي والترمذي: قال شيخنا في «الصحيح المسند»، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. اهـ

وجاء عند أحمد (١/ ٢٢٢) وغيره بلفظ: «**يجيء المقتول متعلقًا بالقاتل يقول: يارب سل هذا فيما قتلني**».

وجاء في مسند أحمد (٥/ ٣٦٧، ٣٧٢) وغيره من طريق جندب، حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال: «**يجيء المقتول بقاتله يوم القيامة، فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟**».

قال شعبة: وأحسبه قال: «**فيقول: علام قتلته؟ فيقول: قتلته على ملك فلان**». وهو حديث صحيح.

وأما قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ إلخ؛ فالأسف يستعمل بمعنى شدة الحزن، وبمعنى شدة الغضب والسخط، وهو المراد في الآية.

والانتقام: المجازاة بالعقوبة، مأخوذًا من النقمة، وهي شدة الكراهة والسخط.

(**وقوله**: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[البقرة:٢١٠]، **[قوله]**[(١)]: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[(٢)][الأنعام:١٥٨]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢١-٢٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾[الفرقان:٢٥]).

/ ش/ قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل لـه سبحانه، وهما صفتا الإتيان والمجيء، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحادٌ وتعطيل.

ولعلَّ من المناسب أن ننقل إلى القارئ هنا ما كتبه حامل لواء التجهُّم والتعطيل في هذا العصر، وهو المدعو بزاهد الكوثري؛ قال في حاشيته على كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي ما نصه:

(قال الزمخشري ما معناه: إن الله يأتي بعذابٍ في الغمام الذي يُنْتَظَرُ منه الرحمة، فيكون مجيء العذاب من حيث تُنتظر الرحمة أفظع وأهول.

وقال إمام الحرمين في معنى الباء كما سبق.

وقال الفخر الرازي: أن يأتيهم أمر الله). اهـ

---

(١) سقط (قوله) من (أ).

(٢) في (أ)، و(ب): تكملة الآية: يوم يأتي بعض آيات ربك.

فأنت ترى من نقل هذا الرجل عن أسلافه في التعطيل مدى اضطرابهم في التخريج والتأويل.

على أن الآيات صريحة في بابها، لا تقبل شيئًا من تلك التأويلات..

فالآية الأولى تتوعَّد هؤلاء المصِرِّين على كفرهم وعنادهم واتباعهم للشيطان بأنهم ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله عزَّ وجلَّ في ظلَلٍ من الغمام لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾.

والآية الثانية أشد صراحة؛ إذ لا يمكن تأويل الإتيان فيها بأنه إتيان الأمر أو العذاب؛ لأنه ردَّد فيها بين إتيان الملائكة وإتيان الرب، وإتيان بعض آيات الرب سبحانه[(١)].

وقوله في الآية التي بعدها: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ لا يمكن حملها على مجيء العذاب؛ لأن المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء، والملائكة صفوف؛ إجلالًا وتعظيمًا له، وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام؛ كما أفادته الآية الأخيرة.

وهو سبحانه يجيء ويأتي وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه.

فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة، ودعوى المجاز تعطيلٌ له عن فعله، واعتقادُ أن ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين وإتيانهم نزوعٌ إلى التشبيه يفضي إلى الإنكار والتعطيل.

---

(١) قال ابن القيم في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»: (فرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات الرب فقسّم ونوّع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن القسمين واحد فتأمله، قال: ولهذا منع عقلاء الفلاسفة، حمل مثل هذا اللفظ على مجازه، وقالوا: هذا يأباه التقسيم والترديد والاطراد. اهـ المرادمن كلام ابن القيم. إسماعيل الأنصاري.

(**وقوله:** ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٨٨]).

/ش/ قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ إلخ، تضمَّنت هاتان الآيتان إثبات صفة الوجه لله عز وجل.

والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تُحصى كثرةً، وكلها تنفي تأويل المعطِّلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفةٌ غيرُ الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركبًا من أعضاء، كما يقوله المجسِّمة، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يشبه وجهًا ولا يشبهه وجه.

واستدلَّت المعطِّلة بهاتين الآيتين على أن المراد بالوجه الـــذات؛ إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك.

ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عز وجل وجهٌ على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ في معنى الذات؛ فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتًا للموصوف، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه.

على أنه يمكن دفع مجازهم بطريق آخر؛ فيقال: إنه أسند البقاء إلى الوجه، ويلزم منه بقاء الذات؛ بدلًا من أن يقال: أطلق الوجه وأراد الذات.

وقد ذكر البيهقي نقلًا عن الخطابي أنه تعالى لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ دلَّ على أن

ذكر الوجه [ليس بصلة[(١)]]، وأن قوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ صفةٌ للوجه، والوجه صفةٌ للذَّات[(٢)].

وكيف يمكن تأويل الوجه بالذات أو بغيرها في مثل قوله ﷺ في حديث الطائف: «**أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَـهُ الظُّلُماتُ...**» إلخ[(٣)]، وقوله فيما رواه

---

(١) أي: بزائد.

(٢) وقال الشيخ صالح الفوزان في «شرح الواسطية» ص(٥٥-٥٦): الشاهد من الآيتين أن فيهما إثبات الوجه لله سبحانه وهو من صفاته الذاتية، فهو وجه على حقيقة يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١]، لا كما يزعم معطلة الصفات أن الوجه ليس على حقيقته، وإنما المراد به الذات، أو الثواب، أو الجهة، أو غير ذلك.

وهذه تأويلات باطلة من وجوه، منها: أنه جاء عطف الوجه على الذات، كما في الحديث: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم...**»، والعطف يقتضي المغايرة.

ومنها: أنه أضاف الوجه إلى الذات، فقال: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾، ووصف الوجه بقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، فلو كان الوجه هو الذات؛ لكان لفظ الوجه في الآية صلة، ولقال: ذي الجلال والإكرام. فلما قال: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ تبين أنه وصف للوجه، لا الذات، وأن الوجه صفة للذات.

ومنها: أنه لا يعرف في لغة أمة من الأمم: أن وجه الشيء، بمعنى ذاته أو الثواب، والوجه في اللغة مستقبل كل شيء؛ لأنه أول ما يواجه منه، وهو في كل شيء بحسب ما يضاف إليه.

(٣) دعاء الطائف، ضعيف، أخرجه الطبراني في «الكبير» وهو في القطعة من مسند العبادلة، وهي من الجزء (١٣) التي قام بتحقيقها حمدي السلفي، (١٨١) وهو أيضًا في «الدعاء» برقم: (١٠٣٦) من طريق محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر، قال لما توفى أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه فانصرف، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين، ثم قال: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني، إلى عدوٍ يتجهمني، -قلت: تجهمه: أي: استقبله بوجه كريه-، أو إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان عليَّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل عليّ سخطك، لك العقبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله**» قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣٥)، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. اهـ

والأمر كما قال، وقد عنعن هنا. =

أبو موسى الأشعري: «**حِجَابُهُ النُّورُ أَوِ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١).

(**وقوله:** ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤]).

/ش/ قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ إلخ؛ تضمَّنَتْ هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه.

ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة؛ فإن الأشياء جميعًا -حتى إبليس- خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها.

وفي حديث عبد الله بن عمرو:

= وقد ذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٤٢٠) والطبري في «التأريخ» المجلد الأول ص(٤٩٠) ط. عز الدين من طريق ابن إسحاق بدون سند. وهو في «كنز العمال» (٥١٢٠) وعزاه إلى ابن عدي وقال: هذا حديث أبي صالح القاسم بن الليث الرسعني، لم نسمع أن أحدًا حدَّث بهذا الحديث غيره ولم نكتبه إلا عنه، وعزاه أيضًا إلى ابن عساكر.

وقد صح خروج النبي ﷺ إلى الطائف، وعرض نفسه عليهم، ودعوتهم في حديث عائشة في البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) أنها سألت رسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة** - يوم العقبة: أي عقبة الطائف، لا عقبة منى التي اجتمع بها مع الأنصار. اهـ الزرقاني «شرح المواهب»، كما في «حاشية السيرة النبوية الصحيحة». - **إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال** - من أكابر أهل الطائف- **فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا بقرن الثعالب**» وهو قرن المنازل ميقات أهل نجد.

(١) أخرجه مسلم قال النووي في «شرحه لمسلم» (٣/ ١٣-١٤) قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين من المحدثين واللغويين، معنى (سبحات وجهه): نوره وجلاله وبهاؤه.

«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ»[(١)].

---

(١) لم أجده عن عبد الله بن عمرو، ولكن عزاه صاحب «كنز العمال» (١٥١٣٨)، وصاحب «تخريج الأحياء» (٣٦٨٠)، (٤٢٣٠) إلى الديلمي عن الحارث بن نوفل غير أن فيه وغرس الفردوس بيده، وقد جاء عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن النبي ﷺ: فذكره، بلفظ حديث أبيه، وذكر فيه زيادة.

أخرجه الدارقطني في كتاب «الصفات» رقم: (٢٨) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم: (١٠١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم: (٦٩٢) وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم: (٢٣)، وقد عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» ص(١٠٠) إلى الدارمي والنجار وغيرهما. كلهم من طريق عون بن عبد الله بن الحارث، عن أخيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث عن أبيه.

وقال البيهقي عقبه: وهذا مرسل.

قلت: وأيضًا هو من طريق عون بن عبد الله، وقد ذكره السخاوي في «التحفة اللطفية» (٣٣٧٤) وقال الماضي أخوه عبد الله، روى عنه. اهـ

قلت: فهو مجهول.

وجاء من قول كعب الأحبار: لم يخلق الله غير ثلاث بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي، قالت: قد أفلح المؤمنون.

أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ٢٦٥)، والآجري في «الشريعة» رقم: (٧٥٩) وغيرهما وهو صحيح.

وجاء عن حكيم بن جابر -وهو تابعي ثقة-، قال: (أخبرت أن الله عز وجل خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، لموسى عليه السلام). رواه عبد الله بن أحمد (٥٧٠) بهذا القدر، وهو صحيح.

رواه الآجري في «الشريعة» رقم: (٧٥٧) والذهبي في «العلو» كما في «المختصر» رقم: (١٠٤): (أخبرت أن ربكم لم يمس إلا ثلاثة أشياء غرس الجنة بيده...).

وجاء من قول ميسرة أبي صالح: (إنَّ الله لم يمس شيئًا من خلقه غير ثلاث: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده). رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ٢٦٣) بسند رجاله ثقات، غير أن أبا عوانة، سمع من عطاء بن السائب في الصحة والاختلاط فلا يحتج به.

وجاء عن ابن عمر، أنه قال: (خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده: آدم عليه السلام، والعرش، والقلم، وجنات عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان). أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم: (٧٥٦) تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم: (٦٩٣) واللالكائي في «شرح السنة» (٣/ ٤٢٩)، والدارمي في «الرد على المريسي» (١/ ٢٦١)، والحاكم (٢/ ٣١٩)، وأبو=

فتخصيص هذه الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات في وقوعها بالقدرة دالٌّ على اختصاصها بأمر زائد.

وأيضًا؛ فلفظ اليدين بالتثنية لم يُعرف استعمالـه إلا في اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين[1] أو بنعمتين. على أنه لا يجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما إلا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة، ولذلك لا يقال: للريح يد، ولا للماء يد.

وأما احتجاج المعطِّلة بأن اليد قد أفردت في بعض الآيات، وجاءت بلفظ الجمع في بعضها؛ فلا دليل فيه؛ فإن ما يصنع بالاثنين قد يُنسب إلى الواحد؛ تقول: رأيت بعيني، وسمعت بأذني، والمراد: عيناي، وأذناي. وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثنى أحيانًا؛ كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[التحريم:٤]، والمراد: قلباكما.

= الشيخ في «العظمة» (٢١٣)، (١٠١٨) والذهبي في «العلو»، وقال إسناده جيد، وقال الألباني في «مختصر العلو» ص(١٠٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

قلت: وفي القرآن الكريم في حق آدم: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص:٧٥] وفي البخاري (٨/ ٣٩٥) ومسلم (١/ ١٨٤) حديث أبي هريرة في حديث الشفاعة العظمى: أن أهل الموقف يأتون آدم فيقولون: «**أنت أبو البشر خلقك الله بيده...**» وجاء في البخاري (٧٥١٦) عن أنس، وفي مسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة مرفوعًا، قال موسى: «**أنت آدم خلقك الله بيده...**»، وفيما يتعلق بالتوراة، روى البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة في محاجة آدم لموسى: «... **قال آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده...**». زاد مسلم في آخر الحديث، وفي حديث ابن أبي عمر وابن عبدة قال: أحدهما أخط، وقال: الآخر كتب لك التوراة بيده.

(١) قال ابن القيم، كما في «مختصر الصواعق» (٢/ ٣٤٧): وقد أجمع المسلمون المثبتون للصفات، والنافون لها، على أنه لا يجوز أن يكون لله تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم. يريد المبتدعة.

وكيف يتأتَّى حملُ اليد على القدرة أو النعمة؛ مع ما ورد من إثبات الكفّ[١] والأصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون إلا لليد الحقيقيَّة؟!

---

(١) دليل إثبات كف الله، حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**ما تصدق أحدٌ بصدقةٍ من طيبٍ، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه. وإن كانت تمرة. فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل. كما يربي أحدكم فلوَّه أو فصيله**». رواه البخاري ومسلم (١٠١٤) وهذا لفظ مسلم وليس في البخاري ذكر الكف، وحديث عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، ومعاذ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**رأيت ربي في أحسن صورة**» الحديث، وفيه: «**فرأيته وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله في صدري...**» رواه الترمذي وأحمد وغيرهما، وهو صحيح، انظر كلام الحافظ عليه في «الإصابة» ترجمة عبد الرحمن بن عائش، والرؤية في الحديث منامية.

ودليل إثبات الأصابع: حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ، يصرفه حيث يشاء**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم! مصرف القلوب! صرف قلوبنا على طاعتك**». رواه مسلم (٢٦٥٤).

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أو يا أبا القاسم،: إنَّ الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، و الأرضين على إصبع، والجبال، والشجر على إصبع، والماء والثرى وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ، تعجبًا مما قال الحبر، تصديقًا له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧]. رواه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦).

ومن أدلة إثبات اليمين، قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾. وحديث أبي هريرة في البخاري (٤٨١٢) ومسلم (٢٧٨٧) أن النبي ﷺ قال: «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب؛ فإن الله يتقبلها بيمنيه...**». رواه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).

وحديث أبي هريرة في البخاري (٧٤١٩) ومسلم (٩٩٣): «**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة...**».

وأما الشمال فروى مسلم في «صحيحه» (٢٧٨٨) من طريق عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله. أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم**=

= **يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**».

قال البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٣٩-١٤٠)، وذكر (الشمال) فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم. وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم، عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال. ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره، عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال، وروي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة، إلا أنه ضعيف بمرة، تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخر يزيد الرقاشي، وهما متروكان، وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي ﷺ: أنه سمى كلتى يديه يمينًا، وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له، أو على عادة العرب من ذكر الشمال في مقابلة اليمين. ونقل كلامه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٩٦) مقرًّا له.

قلت: وعمر بن حمزة هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمري، ضعيف. كما في «التقريب».

ومن أدلة القبض: قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[البقرة:٢٤٥]، وقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[الزمر:٦٧]. وحديث أبي هريرة المتقدم في أدلة اليمين.

ومن أدلة البسط: الآية المتقدمة في سورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤].

وحديث أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيئ الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها**». رواه مسلم (٢٧٦٠).

وحديث أبي هريرة في مسلم تحت رقم: (٧٥٨) في بعض طرق حديث النزول: «**ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم!**».

قوله: (وغير ذلك مما لا يكون إلا لليد الحقيقة).

من ذلك:

* **الأخذ**: لما رواه مسلم تحت رقم: (٢٧٨٨) عن ابن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، وهو يقول: «**يأخذ الجبار عز وجل، سمواته وأرضيه بيديه**».

وتحت رقم: (١٠١٤) عن أبي هريرة مرفوعًا «**وما تصدق أحدٌ بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه...**».

* **والأنامل**: كما تقدم ذكر ذلك في حديث عبد الرحمن بن عائش، ومعاذ في إثبات الكف.

* **والإمساك**: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾[فاطر:٤١]. وجاء في حديث عبد الله بن مسعود: «**إنَّ الله يمسك السموات على أصبع...**» إلخ.

وقد تقدم بتمامه في إثبات الأصابع. =

وفي الآية الثانية يحكي الله سبحانه مقالة اليهود قبَّحهم الله في ربهم، ووصفهم إياه - حاشاه - بأن يده مغلولة؛ أي: ممسكة عن الإنفاق.

ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا، وهو أن يديه مبسوطتان بالعطاء؛ ينفق كيف يشاء؛ كما جاء في الحديث: «**إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى سَحَّاءَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛ لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**»(١).

ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة؛ هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين؟!

ألا شاهَتْ وُجوهُ المتأوِّلين!!

= * **والطي**: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر:٦٧]. وفي حديث أبي هريرة: «**ويطوي السماء بيمينه**». وقد تقدم إثبات اليمين.

* **والحثي**: لحديث أبي أمامة أنَّ النبي ﷺ قال: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، من كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي**». رواه الترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجة (٤٢٨٦) وأحمد (٥/ ٢٦٨) وغيرهم بإسناد حسن، وله طريق أخرى عند الطبراني في «الكبير» (٧٥٢١) والدارقطني في «الصفات» وشواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، وقد صححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» وفي «السنة» لابن أبي عاصم (٥٨٩).

قال الإمام محمد بن عبد الرحمن المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٢٩) في قوله: «**وثلاث حثيات**» بفتح الحاء والمثلثة، جمع حثية، والحثية والحثو، يستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة، من غير وزن ولا تقدير.

* **ومن ذلك نسبة الكتابة إلى اليد**، كما تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه. «**إنَّ الله كتب التوراة بيده**».

وكما في حديث أبي هريرة المتفق عليه: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق عرشه: إنَّ رحمتي تغلب غضبي**». وهو عند الترمذي وابن ماجة، بلفظ: «**كتب بيده على نفسه**».

* **ومن ذلك وصف النبي ﷺ ليمين الله بأنها ملأى لا يغيضها نفقة.**

(١) رواه البخاري (٧٤١١) ومسلم (٩٩٣) عن أبي هريرة، والسَّح: الصب الدائم.

(**وقوله**: ﴿[وَٱصۡبِرۡ][(١)] لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾[الطور:٤٨]، ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ * تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[القمر:١٣-١٤]، ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ/ (٣- ب) أ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾[طه:٣٩]).

/ ش/ قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ إلخ؛ في هذه الآيات الثلاث يثبت الله سبحانه لنفسه عينًا يرى بها جميع المرئيات، وهي صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، فلا يقتضي إثباتها كونها جارحة مركَّبة من شحم وعصب وغيرهما.

وتفسير المعطِّلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفيٌ وتعطيلٌ.

وأما إفرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر؛ فلا حجة لهم فيه على نفيها؛ فإن لغة العرب تتسع لذلك، فقد يعبَّر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين كما قدَّمنا في اليدين[(٢)].

---

(١) في (أ)، و(ب): فاصبر.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله كما في مختصر «الصواعق» ص(٢٤): ذكر العين المفردة مضافة إلى الضمير المفرد، والأعين مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة، ليس إلا؛ كقولك افعل هذا على عيني، وأحبك على عيني؛ ولا تريد أن له عينًا واحدة، وإنما إذا أضيفت إلى اسم الجمع ظاهرًا، ومضمرًا؛ فالأحسن جمعها مشاكلةً للَّفظ، كقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر:١٤] وقوله: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[هود:٣٧] وهذا نظير المشاكلة في اليد المضافة إلى المفرد كقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[الملك:١]، و﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾[آل عمران:٢٦] وإن أضيفت إلى ضمير جمع جمعت؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾[يس:٧١]. اهـ المراد.

والله عز وجل له عينان، والدليل على ذلك حديث: «**إنَّ الدجال أعور، وإن ربكم ليس بأعور**».
قال عثمان الدارمي في رده على المريسي: والعور عند الناس ضد البصر، والأعور عندهم ضد البصير بالعينين.

وقال أيضًا بعد أن ذكر حديث: «**إنَّ الله ليس بأعور**»: بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور. اهـ
قال ابن القيم كما في «مختصر الصواعق» (ص٢٤): وقد استدل السلف على إثبات العينين له تعالى بقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر:١٤]. =

على أنه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها إلا بالنسبة لمن له عين حقيقية.

فهل يريد هؤلاء المعطِّلة أن يقولوا: إن الله يتمدَّح بما ليس فيه، فيثبت لنفسه عينًا وهو عاطلٌ عنها؟! وهل يريدون أن يقولوا: إن رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها؛ بل هو يراها بذاته كلها - كما تقول المعتزلة: إنه قادر بذاته، مريد بذاته... إلخ؟!

وفي الآية الأولى يأمر الله نبيَّه ﷺ بالصبر لحكمه، والاحتمال لما يلقاه من أذى قومه، ويعلِّل ذلك الأمر بأنه بمرأى منه، وفي كلاءته وحفظه.

وفي الآية الثانية يخبر الله عز وجل عن نبيِّه نوحٍ عليه السلام أنه لما كذَّبه قومه، وحقَّت عليهم كلمة العذاب، وأخذهم الله بالطوفان؛ حمله هو ومَن معه من المؤمنين على سفينة ذات ألواحٍ عظيمة من الخشب ودُسُرٍ؛ أي: مسامير، جمع دِسَار، تُشَدُّ بها الألواح، وأنها كانت تجري بعين الله وحراسته.

= وممن صرح بذلك إثباتًا واستدلالًا أبو الحسن الأشعري في كتبه كلها، فقال في كتاب «المقالات» و «الإبانة» و «الموجز»؛ وهذا لفظه فيها: وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾.اهـ وذكر ابن عثيمين في «شرحه للواسطية» أن أبا الحسن الأشعري وأبا بكر الباقلاني نقلا: إجماع السلف على ذلك.

وأما حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ العبد إذا قام في الصلاة؛ فإنه بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له الرب: يا ابن آدم، إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير لك مني؟ ابن آدم، أقبل على صلاتك، فأنا خيرك لك ممن تلتفت إليه**». ضعيف جدًا.

رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٧٠-٧١)، والبزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٢٦٨) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وهو متروك. غير أن لفظ البزار: «**بين يدي الرحمن**»، ورواه العقيلي من وجه آخر وليس فيه ذكر العينين، ورواه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٢٦٥) عن جابر وسنده ضعيف، وليس فيه أيضًا ذكر العينين. والحديثان في «الضعيفة» للألباني رحمه الله برقم: (١٠٢٤).

وفي الآية الثالثة خطابٌ من الله لنبيِّه موسى عليه السلام بأنه ألقى عليه محبَّةً منه؛ يعني: أحبه هو سبحانه وحبَّبه إلى خلقه، وأنه صنعه على عينه، وربَّاه تربية استعد بها للقيام بما حمله من رسالة إلى فرعون وقومه.

(وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ/ [إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ][1]﴾[المجادلة:١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ (٦- ب) ب قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[2] [آل عمران:١٨١]، [وَقَوْلُهُ][3]: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[الزخرف:٨٠]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه:٤٦]، [وقوله][4]: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[العلق:١٤]، ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ * [إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ][5]﴾[الشعراء:٢١٨-٢٢٠]، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥]).

/ ش/ قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ إلخ؛ هذه الآيات ساقها المؤلف لإثبات صفات السمع والبصر والرؤية.

أما السمع؛ فقد عبَّرت عنه الآيات بكل صيغ الاشتقاق، وهي: سَمِعَ، ويَسْمَعُ، وسميعٌ، ونَسْمَعُ، وَأسمَعُ، فهو صفة حقيقية لله، يدرك بها الأصوات؛ كما قدمنا.

---

(١) سقط من (أ).

(٢) (سنكتب ما قالوا) إلى هنا في (أ)، (وقتلهم الأنبياء بغير حق) إلى هنا أكملت في (ب).

(٣) زيادة من المطبوع.

(٤) سقط من (أ).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

وأما البصر؛ فهو الصفة التي يدرك بها الأشخاص والألوان، والرؤية لازمة له، وقد جاء في حديث أبي موسى:

«**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»[(١)].

وكلٌّ من السمع والبصر صفة كمال، وقد عاب الله على المشركين عبادتهم ما لا يسمع ولا يبصر.

وقد نزلت الأولى في شأن خولة بنت ثعلبة حين ظاهر منها زوجها، فجاءت تشكو إلى رسول الله ﷺ وتحاوِرُهُ، وهو يقول لها: «**مَا أُرَاكِ إِلَّا قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ**»[(٢)].

أخرج البخاري في «صحيحه»[(٣)] عن عروة عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: (الحمد لله الذي وسعَ سمعُهُ الأصواتَ؛ لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩٢)، ومواضع أخرى، ومسلم (٢٧٠٤) وعندهما: «**ولكن تدعون سميعًا بصيرًا، وهو معكم**»، وقوله: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». في مسلم في بعض طرقه، ولم أرها في البخاري في الموضع السابق ولا في الأرقام التي أشار بها محمد فؤاد.

(٢) جاء بنحو هذا عن أبي العالية مرسلًا، كما في تفسير ابن كثير.

(٣) (١٣/ ٣٧٣) تعليقًا بصيغة الجزم، فقال: قال الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة، فذكره.
وقد وصله أحمد (٦/ ٤٦) وابن ماجه (١٨٨) وابن جرير (٢٨/ ٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (١٩١) واللالكائي (٦٨٩) و البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٨٥) وغيرهم من طريق أبي معاوية عن الأعمش به.
وأبو معاوية من أثبت الناس في الأعمش، وأخرجه النسائي (٦/ ١٦٨) وفي «الكبرى» (٥٦٥٤، ١١٥٧٠) والطبراني في التفسير (٢٨/ ٦) والآجري في «الشريعة» ص(٢٩١)، والحاكم (٢/ ٤٨١)، وابن أبي عاصم (١/ ٢٧٨)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ٣٨٢) وغيرهم من طرق عن الأعمش به، وقال الحاكم عقب الحديث: صحيح الإسناد، وسكت عليه الذهبي، وقد صحح الحديث الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٩) وصححه الشيخ الألباني في تحقيقه «السنة» لابن أبي عاصم. وشيخنا أيضًا في «أسباب النزول».

وأنا في ناحيةٍ من البيتِ ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ الآيات).

وأما الآية الثانية؛ فقد نزلت في فنحاص اليهودي الخبيث، حين قال لأبي بكر رضي الله عنه لما دعاه إلى الإسلام: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيًّا ما استَقْرَضَنا[1]!

---

(١) حسن لغيره، رواه ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم: (٤٥٨٩) من طريق محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أنه حدثه، عن ابن عباس، فذكره.

ومحمد بن أبي محمد، مجهول تفرد عنه ابن إسحاق، كما في «التقريب» وقال الذهبي: لا يعرف.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٥٨٨) أيضًا فقال رحمه الله: حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، ثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي عن أبيه، ثنا الأشعث بن إسحاق، عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

فذكر سبب نزول الآية، وليس لفنحاص ذكر في هذا الطريق، وهذا إسناد ضعيف، فجعفر هو ابن أبي المغيرة، ليس بالقوي في سعيد بن جبير قاله ابن مندة، كما في «الميزان». والأشعث هو الأشعري القمي ثقة، وأحمد بن عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن سعد بن عثمان الدَّشتكي، صدوق، وأبوه عبد الرحمن ثقة، وجده عبد الله مجهول حال، وأحمد بن القاسم، صدوق ثقة، كما في «الجرح والتعديل» وجاء مرسلًا عن قتادة، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٤١) أنا معمر عن قتادة.

وفي رواية معمر عن قتادة كلام، لكن رمز المزي أن مسلمًا والأربعة رووا له عن قتادة، وقد أخرج له البخاري عن قتادة تعليقًا (٥٩١٠)، بصيغة الجزم، وقد جاء لهذا المرسل طريق أخرى يحسن بها، أخرجها ابن جرير (٤/ ١٩٥)، فقال رحمه الله: حدثنا بشر، قال حدثنا يزيد، قال حدثنا سعيد عن قتادة... ذكر لنا أنها نزلت في حييَّ بن أخطب...

قلت: وهذا لا يعارض ما تقدم، فهو من جملة اليهود الذين أتوا النبي ﷺ.

سعيد هو ابن أبي عروبة قال يحيى القطان: لم يسمع التفسير من قتادة كما في مقدمة «الجرح والتعديل»، وفي سؤالات أبي داود للإمام أحمد رقم: (٤٩٢) قال: سمعت أحمد يقول: كان سعيد بن أبي عروبة يحفظ التفسير عن قتادة، وبرقم (٥٣٢) من المصدر السابق قال: سمعت أحمد قيل له: وتفسير قتادة؟ قال: إن كتبته عن يزيد بن زريع، عن سعيد فلا تبالي ألَّا تكتبه عن أحد. اهـ =

= ويزيد هو ابن زريع وبشر هو ابن معاذ العقدي، فقد ذكر في «السير» (١٤/ ٢٦٧) أنه من مشايخ ابن جرير الذين سمع منهم.

وقد جاء مرسلًا عن مجاهد، قال ابن حجر رحمه الله في «العجاب» (٢/ ٨٠٧)، وأخرج عبد بن حميد وغيره، من طريق شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نزلت في اليهود صك أبو بكر وجه رجل منهم وهو الذي قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١] وهو الذي قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة:٦٤] قال شبل: بلغني أنه: فنحاص اليهودي.

قلت: ومن طريق شبل، أخرجه ابن جرير (٤/ ١٩٥)، والواحدي ص(١١٤)، وابن جرير لم يذكر مجاهدًا من هذا الوجه. ولكن ذكره من وجه آخر، فقال: حدثني محمد بن عمر، قال: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. ورجاله ثقات، عيسى هو ابن ميمون الجرشي، وأبو عاصم هو الضحاك، ومحمد بن عمر هو ابن عباد بن جبلة.

وقد سأل ابن الجنيد يحيى بن معين فقال: إنَّ يحيى بن سعيد القطان يزعم أن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد، وإنما أخذه من القاسم بن أبي بزة، فقال يحيى بن معين: كذا قال ابن عيينة، ولا أدري أحق ذلك أم باطل، زعم سفيان بن عيينة: أن مجاهدًا كتبه للقاسم بن أبي بزة، ولم يسمعه من مجاهد أحد غير القاسم. اهـ من «السؤالات» (٢٩٢)، وفي «تهذيب التهذيب» قال وكيع: كان سفيان يصّحح تفسير ابن أبي نجيح.

وقال ابن حبان: ابن أبي نجيح نظير ابن جريج في كتاب القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في «التفسير» رويا عن مجاهد من غير سماع. «تهذيب التهذيب».

قلت: فقد عرفت الواسطة: وهي القاسم وهو ثقة، وقد اعتمد البخاري تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد في «صحيحه» (٤٥٣١)، (٤٦٤٦)، ومواضع أخرى.

قال الواحدي في «أسباب النزول» (١١٣)، قال عكرمة والسدي ومقاتل، ومحمد بن إسحاق دخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراس اليهود؛ فوجد ناسًا من اليهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص..

قلت: مرسل عكرمة رواه بن جرير في «تفسيره» (٤/ ١٩٥) من طريق شيخه محمد بن حميد وقد كذب.

ومرسل السدي أخرجه ابن جرير أيضًا، وفي سنده اسباط بن نصر وهو ضعيف.

وجاء عن الحسن البصري مرسلًا، رواه ابن جرير من طريق شيخه ابن حميد وقد كذب.

والحاصل: أن حديث عبد الله بن عباس بسند ابن أبي حاتم مع مرسل قتادة ومجاهد، يرتقي إلى مرتبة الحسن لغيره. فكيف وقد جاء من طريق أخرى عن ابن عباس.

وأما الآية الثالثة؛ فـ(أم) بمعنى (بل، والهمزة)[١]، فهي (أم) المنقطعة، والاستفهام إنكاريٌّ يتضمَّن معنى التوبيخ، والمعنى: بل أيظنُّ هؤلاء في تخفِّيهم واستتارهم أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؛ بلى نسمع ذلك، وحفظتنا لديهم يكتبون ما يقولون وما يفعلون.

وأما الآية الرابعة؛ فهي خطابٌ من الله عز وجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين شكوا إلى الله خوفهما من بطش فرعون بهما، فقال لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

وأما الآية الخامسة؛ فقد نزلت في شأن أبي جهل لعنه الله حين نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند البيت، فنزل قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ إلخ السورة[٢].

(**وَقَوْلُهُ**: ﴿[وَهُوَ][٣] شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾[الرعد:١٣]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ [وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ][٤]﴾[آل عمران:٥٤]، **[وَقَوْلُهُ]**[٥]: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النمل:٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدًا﴾[الطارق:١٥-١٦]).

/ ش/ وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآيات إثبات صفتي المكر والكيد[٦]، وهما من صفات الفعل الاختيارية.

---

(١) فيكون التقدير: (بل أيحسبون...).

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧) عن أبي هريرة.

(٣) سقط من (ب).

(٤) سقط من (أ).

(٥) سقط من (ب).

(٦) قرر ابن القيم في «الصواعق» أن الله تعالى لايصف نفسه بالمكر والكيد والاستهزاء، والخداع مطلقًا، بل على وجه الجزاء لمن فعل ذلك، وهو حسن وأن أفعال هذه الألفاظ لا يجوز إطلاقها على الله تعالى، =

ولكن لا ينبغي أن يشتقَّ له من هاتين الصفتين اسم، فيقال: ماكر، وكائد؛ بل يوقف عند ما ورد به النص من أنه خير الماكرين، وأنه يكيد لأعدائه الكافرين.

أما قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾؛ فمعناه: شديد الأخذ بالعقوبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج:١٢]، ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود:١٠٢].

وقال ابن عباس: (معناه: شديد الحَوْل)، أخرجه ابن جرير في «تفسيره» وفي سنده الحسين بن داود الملقب بسنيد ضعيف، وزاد السيوطي في «الدر» عزوه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وقال مجاهد: (شديد القوَّة)، أخرجه ابن جرير في «تفسيره» وفي سنده أبو يحيى القتات، لين كما في «التقريب».

والأقوال متقاربة.

وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾؛ فمعناه: أنفذهم وأسرعهم مكرًا.

وقد فسَّر بعض السلف مكر الله بعباده بأنه استدراجهم بالنِّعم من حيث لا يعلمون، فكلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة؛ وفي الحديث: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ**»[(١)].

= ولا يشتق له منها أسماء لأنها تمدح في موضع وتذم في موضع، وأتى ابن القيم في ذلك بما لا يستغنى عنه، لولا الإطالة ومن كلامه ذلك يتبين مراد شيخ الإسلام، بإيراد قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران:٥٤]. وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل:٥٠] وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾[الطارق:١٥] في هذا الكتاب. إسماعيل الأنصاري.

(١) حديث عقبة: «**إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب...**» حديث حسن لغيره.

رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٥)، و«الزهد» ص(١٢)، من طريق رشدين بن سعد أبي الحجاج المهري، عن حرملة بن عمران التجيبي، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ فذكره =

وقد نزلت هذه الآية في شأن عيسى عليه السلام حين أراد اليهود قتلـه، فدخل بيتًا فيه كوَّةٌ، وقد أيَّده الله بجبريل عليه السلام، فرفعه إلى السماء من الكوّة، فدخل عليه يهوذا؛ ليدلَّهم عليه فيقتلوه، فألقى الله شبهَ عيسى على ذلك الخائن، فلما دخل البيت فلم يجد فيه عيسى؛ خرج إليهم وهو يقول: ما في البيت أحدٌ. فقتلوه وهم يرون أنه عيسى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[1].

= وتمامه، ثم تلا رسول الله ﷺ، ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام:٤٤].

رشدين بن سعد ضعيف، ولكن قد تابعه جماعة:

عبد الله بن صالح، كاتب الليث عند الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٣٠-٣٣١) رقم: (٩١٣) وفي «الأوسط» (٩٢٦٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٤١)، و«شعب الإيمان» (٤/ ١٢٨) رقم: (٤٥٤٠) وكاتب الليث هذا ضعيف.

وحجاج بن سليمان الرعيني عند الدولابي في «الكنى» (١/ ١١١) والرعيني هذا في حديثه مناكير، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، ومشَّاه ابن عدي كما في «الميزان».

وأبوالصلت كما في «تفسير الطبري» (١١/ ٣٦١) تحقيق محمود محمد شاكر، وأبو الصلت هو الشامي كما ذكر المزي في ترجمة ضبارة بن مالك من «تهذيب الكمال» ولم يعرفه محمود شاكر.

وقد تابع حرملة بن عمران التجيبي ابن لهيعة، عند ابن جرير في «التفسير» وابن أبي الدنيا في «الشكر» رقم: (٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٣١) ولم يذكر (عقبة بن مسلم) عند الطبراني، فالظاهر أنه سقط، والله أعلم. وقد حسّن الحديث العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ١٣٢).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٧٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره بسياق أطول، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٢١) ط. دار الكتب العلمية، إلى ابن عباس مختصرًا بدون سند.

وهذا سند تالف، فالكلبي محمد بن السائب كذاب، وأبو صالح باذام ضعيف ويرسل.

وذكر ابن كثير معناه، ولم ينسبه إلى أحد وفيه أن الله ألقى شبه عيسى (على رجل كان عنده) وليس على طالبه.

وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٨٩) من طريق أسباط بن نصر - وهو ضعيف - عن السدي أنَّ بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلًا من الحواريين، فقال عيسى لإصحابه: من =

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾إلخ؛ فهي في شأن الرهط التسعة من قوم صالح عليه السلام حين ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي: لَيَقْتُلُنَّه بياتًا هو وأهلـه، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾، فكانَ عاقبةُ هذا المكر منهم أن مكر الله بهم فدمَّرهم وقومهم أجمعين.

(وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾[النساء:١٤٩]، ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[النور:٢٢]).

/ ش/ قوله: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾إلخ؛ هذه الآيات تضمَّنت إثبات صفات العفو والقدرة والمغفرة والرحمة والعزة والتبارك والجلال والإكرام.

فالعَفُوُّ الذي هو اسمه تعالى؛ معناه: المتجاوز عن عقوبة عباده إذا هم تابوا إليه[1] وأنابوا؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الشورى:٢٥].

= يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[آل عمران:٥٤]...

وهذا كله لا يعوّل عليه، ويكفينا ظاهر قوله تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[النساء:١٥٧-١٥٨].

(١) تقييد عفو الله عنهم بالتوبة والإنابة فيه نظر، فإن عفو الله سبحانه قد يكون عن توبة وإنابة من العبد، وقد يكون مجرد فضل وإحسان من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الشورى:٢٥] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[الشورى:٣٠]. اهـ ابن عيثيمين رحمه الله.

ولما كان أكمل العفو هو ما كان عن قدرة تامَّة على الانتقام والمؤاخذة؛ جاء هذان الاسمان الكريمان: العَفُوُّ والقدير مقترنين في هذه الآية وفي غيرها.

وأما القدرة؛ فهي الصفة التي تتعلَّق بالممكنات إيجادًا وإعدامًا، فكلُّ ما كان ووقع من الكائنات واقع بمشيئته وقدرته؛ كما في الحديث: «**مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**»[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾الآية؛ فقد نزلت في شأن أبي بكر رضي الله عنه حين حلف لا ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان ممَّن خاضوا في الإفك، وكانت أم مسطح بنت خالة أبي بكر، فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: (والله إني لأحب أن يغفر الله لي)، ووصل مسطحًا[(٢)].

(**وَقَوْلُهُ**: ﴿[وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ][(٣)] وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]، وَقَوْلُهُ [مخبرًا][(٤)] عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢]).

/ ش/ وأما قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فقد [نزلت في شأن عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول رئيس المنافقين، وكان في بعض الغزوات قد أقسم ليخرجنَّ رسول الله ﷺ هو وأصحابه من المدينة، فنزل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾؛ يقصد بالأعز -قبَّحه الله- نفسه

---

(١) تقدم الكلام عليه ص(٩١) وما بعدها.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها: (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها وهو قطعة من حديث الإفك.

(٣) في (أ): قل لله العزة ولرسوله.

(٤) [مخبرًا] زيادة من (ب)، وسقطت العبارة كلها من (أ).

وأصحابه، ويقصد بالأذل رسول الله ومن معه من المؤمنين، فردّ الله عزّ وجلّ عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)].

والعزَّة صفةٌ أثبتها لله عز وجل لنفسه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤]. وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[الأحزاب:٢٥].

وأقسم بها سبحانه؛ كما في حديث الشفاعة: «**وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي؛ لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».[(٢)]

وأخبر عن إبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[ص:٨٢-٨٣].

وفي «صحيح البخاري»[(٣)] وغيره عن أبي هريرة: «**بَيْنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّه: يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى؛ وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ**».

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٤٩٠٠) ومسلم (٢٧٧٢) عن زيد بن أرقم، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، أصاب الناس فيه شدةٌ، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله.
قال زهيرٌ: وهي قراءة من خفض حوله.
وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.
قال فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل.
فقال: كذب زيدٌ رسول الله ﷺ، قال: فوقع في نفسي ممَّا قالوه شدةٌ.
حتى أنزل الله تصديقي: إذا جاءك المنافقون. قال ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم. قال فلوَّوا رءوسهم.
وقوله: كأنهم خشبٌ مسندة، وقال كانوا رجالًا أجمل شيءٍ، هذا لفظ مسلم.

(٢) رواه البخاري رقم: (٧٥١٠) ومسلم (١/ ١٨٢- ١٨٤) عن أنس مرفوعًا بلفظ: «**وعزتي وجلالي وكبريائي**» زاد مسلم: «**وجبريائي**» ومعنى «**وجبريائي**» أي: عظمتي وسلطاني وقهري.

(٣) رقم: (٢٧٩) عن أبي هريرة مرفوعًا فذكره.

وقد جاء في حديث الدعاء الذي علَّمه النبيُّ ﷺ لمن كان به وجع: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[١].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٢) والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٣٩) وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٩٦٤)، (٢٩٦٧)، والطبراني في «الدعاء» (١١٢٩)، وغيرهم من طريق ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني نافع بن جبير بن مطعم عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم. فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألّمَ من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا. وقل: سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**».

ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٤٠) فقال رحمه الله: أخبرنا ياسين بن عبد الأحد بن الليث بن عاصم قال: أخبرني جدي عن عثمان بن الحكم، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، أن نافع بن جبير أخبره، أن عثمان بن أبي العاص شكى إلى رسول الله ﷺ... وهذا مرسل.

وطريق ابن وهب هي الصحيحة.

ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٧١٨) عن يزيد بن خصيفة أن عمرو بن عبد الله بن كعب السلمي أخبره، أن نافع بن جبير أخبره عثمان بن أبي العاص، أنه أتى رسول الله ﷺ، قال عثمان: وبي وجعٌ قد كاد يهلكني. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**امسحه بيمينك سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**» قال: فقلت: ذلك فأذهب الله ما كان بي: فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم. وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه من طريق مالك أحمد (٤/ ٢١)، وأبو داود (٣٨٩١)، والترمذي (٢٠٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٥٤٦، ١٠٨٣٧)، و غيرهم.

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣١٦)، والطبراني في «الدعاء» (١١٣٢)، وفي «الكبير» (٩/ رقم: ٨٣٤١) من طريق زهير بن محمد.

والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٩/ رقم: ٨٣٤٣)، وفي «الدعاء» (١١٣١) من طريق إسماعيل بن جعفر. كلاهما عن يزيد بن خصيفة عن عمرو بن عبد الله بن كعب عن نافع عن عثمان مرفوعًا فذكره وفيه: «**بعزة الله وقدرته**».

تنبيه: وقع في «الطبراني» في «الكبير» و«الدعاء» -في طريق زهير بن محمد- بدل (عمرو بن عبدالله) (عمر بن عبد الله) وهو خطأ.

وخالفهما ابن أبي فروة عند الطبراني في «الكبير» (٨٣٤٢) و«الدعاء» (١١٣٣) فرواه عن يزيد بن خصيفة عن محمد بن عمرو بن كعب عن نافع بن جبير عن عثمان، قال الطبراني في «الدعاء» عقب الحديث: هكذا قال ابن أبي فروة عن يزيد عن محمد بن عمرو بن كعب لم يضبط الإسناد. اهـ

وابن أبي فروة هو إسحاق بن عبد الله متروك. =

والعزة تأتي بمعنى الغلبة والقهر؛ من عزَّ يعُزُّ - بضم العين في المضارع - يقال: عزَّه؛ إذا غلبه[(١)].

وتأتي بمعنى القوة والصلابة؛ من عزَّ يعَزُّ - بفتحها -، ومنه أرض عزاز؛ للصلبة الشديدة.

وتأتي بمعنى علوِّ القدر والامتناع عن الأعداء؛ من: عزَّ يَعِزُّ - بكسرها-.

وهذه المعاني كلها ثابتة لله عز وجل.

(**وَقَوْلُهُ**: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٧٨]).

/ ش/ وأما قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾، فإنه من البركة بمعنى دوام الخير وكثرته.

= ورواه الطبراني في «الكبير» (٩/ رقم: ٨٣٥٦)، وفي «الدعاء» (١١٢٨) من طريق حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن عثمان مرفوعًا، وفيه: «**بعزة الله وقدرته**».

وحكيم وثقه العجلي وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن سعد كان قليل الحديث ولا يحتجون بحديثه، وقال ابن القطان: لا يعرف. اهـ

وحكيم أيضًا لم يدرك عثمان.

وجاء عن أنس رواه الترمذي فقال رحمه الله (٣٥٨٨): حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد، حدثني أبي، حدثنا محمد بن سالم، حدثنا ثابت البناني قال: «**قال لي يا محمد إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي، وقل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وترًا، فإن أنس بن مالك، حدثني أن رسول الله ﷺ: حدثه بذلك**».

قال الترمذي هذا حديث حسن غريب، من هذا الوجه، ومحمد بن سالم هذا شيخ بصري.

قلت: هو حديث حسن رجاله ثقات، سوى محمد بن سالم، وهو حسن الحديث.

وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ١٨١)، و«الدعاء» (١١٢٧)، والحاكم (٤/ ٢١٩) من طريق محمد بن سالم به.

وجاء عن كعب بن مالك، وليس فيه التسمية. رواه أحمد (٦/ ٣٩٠) والطبراني في «الكبير» (١٩/ رقم: ١٧٩)، و«الدعاء» (١١٣٤) من طريق أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف، لكنه يتقوى بما قبله.

(١) ومنه قوله: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾[ص:٢٣].

وقوله: ﴿ذِي ٱلْجَلَٰلِ﴾؛ أي: صاحب الجلال والعظمة سبحانه، الذي لا شيء أجلَّ ولا أعظم منه.

و﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: الذي يَكْرَمُ[1] عما لا يليق به، وقيل: الذي يُكْرِمُ عباده الصالحين بأنواع الكرامة في الدنيا والآخرة. والله أعلم.

(وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]، [وقوله][2]: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص:٤]، [وَقَوْلُهُ][3]: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾[البقرة:١٦٥]، [وَقَوْلُهُ][3]: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:١١١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[التغابن:١]، [وَقَوْلُهُ][3]: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۞ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:١-٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[المؤمنون:٩١-٩٢]، [قوله][4]: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٧٤]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]).

(٤- أ) أ

(٧- أ) ب

---

(١) يتنزه كما في لسان العرب (تكرَّم عن الشيء وتكارم تنزه).

(٢) زيادة من (أ).

(٣) زيادة من المطبوعة.

(٤) زيادة من (ب).

/ ش/ قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآيات الكريمة جملة من صفات السلوب، وهي نفي السمي والكفء والنِّد والولد والشريك والولي من ذلٍّ وحاجة؛ كما تضمَّنت بعض صفات الإثبات؛ من: الملك، والحمد، والقدرة والكبرياء، والتبارك.

أما قوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾؛ فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: (قال أهل اللغة: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾؛ أي: نظيرًا استحقَّ مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾؛ مثلًا أو شبيهًا)[1].

والاستفهام في الآية إنكاري، معناه النفي؛ أي: لا تعلم لـه سميًّا.

وأما قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾؛ فالمراد بالكفء: المكافئ المساوي.

فهذه الآية تنفي عنه سبحانه النظير والشبيه من كل وجه؛ لأن ﴿أَحَدُۢ﴾ وقع نكرة في سياق النفي، فيعم، وقد تقدم الكلام على تفسير سورة الإخلاص كلها، فليرجع إليها.

وأما قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ إلخ، فالأنداد جمع نِدٍّ، ومعناه -كما قيل-: النظير المناوئ. ويقال: ليس لله ندٌّ ولا ضدٌّ، والمراد نفي ما يكافئه ويناوئه، ونفي ما يضاده وينافيه.

---

(١) ضعيف، رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ١٠٦) من طريق عبد الله بن صالح، كاتب الليث: ثني معاوية -وهو ابن صالح الحضرمي- عن علي -وهو ابن أبي طلحة-، عن ابن عباس، فذكره.
وعبد الله بن صالح ضعيف، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.
وزاد السيوطي في «الدرالمنثور» في عزوه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

وجملة: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقعت حالًا من الواو في ﴿تَجْعَلُوا﴾، والمعنى: إذا كنتم تعلمون أن الله هو وحده الذي خلقكم ورزقكم، وأن هذه الآلهة التي جعلتموها لـه نظراء وأمثالًا وساويتموها به في استحقاق العبادة لا تخلق شيئًا، بل هي مخلوقة، ولا تملك لكم ضرًّا ولا نفعًا؛ فاتركوا عبادتها، وأفرِدوه سبحانه بالعبادة والتعظيم.

وأما قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾ إلخ؛ فهو إخبارٌ من الله عن المشركين بأنهم يحبُّون آلهتهم كحبهم لله عز وجل؛ يعني: يجعلونها مساوية لـه في الحب. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، من حب المشركين لآلهتهم؛ لأنهم أخلصوا لـه الحب، وأفردوه به، أما حب المشركين لآلهتهم؛ فهو موزَّعٌ بينها، ولا شك أن الحبَّ إذا كان لجهة واحدة كان أمكن وأقوى.

وقيل: المعنى: أنهم يحبُّون آلهتهم كحب المؤمنين لله، والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله من الكفار لأندادهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، الآية؛ فقد تقدم (ص١٦-١٨)، الكلام في معنى الحمد، وأنه الثناء باللسان على النعمة وغيرها، وقلنا: إن إثبات الحمد له سبحانه متضمِّنٌ لإثبات جميع الكمالات التي لا يستحقُّ الحمد المطلق إلا من بلغ غايتها.

ثم نفى سبحانه عن نفسه ما ينافي كمال الحمد من الولد والشريك والولي من الذلِّ -أي: من فقر وحاجة-، فهو سبحانه لا يوالي أحدًا من خلقه من أجل ذلة وحاجة إليه.

ثم أمر عبده ورسوله أن يكبره تكبيرًا؛ أي: يعظمه تعظيمًا ويُنَزِّهَهُ عن كل صفة نقص وصفه بها أعداؤه من المشركين.

وأما قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾، إلخ؛ فالتسبيح هو التنزيه والإبعاد عن السوء؛ كما تقدم ص(٥٢).

ولا شكّ أن جميع الأشياء في السموات وفي الأرض تسبِّح بحمد ربها، وتشهد له بكمال العلم والقدرة والعزَّة والحكمة والتدبير والرحمة؛ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤].

وقد اختُلف في تسبيح الجمادات التي لا تنطق؛ هل هو بلسان الحال أو بلسان المقال؟ وعندي أن الثاني أرجح؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؛ إذ لو كان المراد تسبيحها بلسان الحال؛ لكان ذلك معلومًا، فلا يصحُّ الاستدراك.

وقد قالَ تعالى خبرًا عن داود عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾[ص:١٨-١٩] (١).

وأما قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾، إلخ؛ فقد قلنا: إن معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة؛ وهي دوام الخير وكثرته، ولكن لا يلزم من تلك الزيادة سبق النقص، فإن المراد تجدُّد الكمالات الاختيارية التابعة لمشيئته وقدرته، فإنها تتجدَّد في ذاته على وفق حكمته، فالخلوُّ عنها قبل اقتضاء الحكمة لها لا يعتبرُ نقصًا (٢).

---

(١) ولما روى البخاري (٣٥٧٩) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: (ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل) أي: في عهد رسول الله ﷺ، وقد وقع ذلك عند الإسماعيلي صريحًا. اهـ من «الفتح».

(٢) قال ابن القيم رحمه الله، في «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٥): البركة نوعان: أحدهما هي فعله تبارك وتعالى، والفعل منها بارك، ويتعدى بنفسه تارة، وبأداة تارة، والمفعول منها مبارك وهو ما جعل كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالى. =

وقد فسّر بعضهم التبارك بالثبات وعدم التغيُّر، ومنه سمِّيت البِرْكَة؛ لثبوت مائها[(١)]. وهو بعيد.

والمراد بـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾، القرآن، سمي بذلك لقوَّة تفرقته بين الحق والباطل والهدى والضلال.

والتعبير بـ﴿نَزَّلَ﴾، بالتشديد؛ لإفادة التدرُّج في النزول، وأنه لم ينزل جملة واحدة.

والمراد بـ﴿عَبْدِهِۦ﴾، محمد ﷺ، والتعبير عنه بلقب العبودية للتشريف -كما سبق-.

و﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ جمع عالَم، وهو جمع لما يعقل، واختُلِف في المراد به، فقيل: الإنس. وقيل: الإنس والجن. وهو الصحيح؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ مرسلٌ إلى الجن أيضًا، وأنه يجتمع بهم، ويقرأ عليهم القرآن، وأن منهم نفرًا أسلم حين سمع القرآن

= والنوع الثاني: بركة تصاف إليه، إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المُبَارِك، وعبده ورسوله المُبَارَك. كما قال المسيح: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[مريم:٣١]، فمن بارك الله فيه، وعليه فهو المُبَارَك. وأما صفته (تبارك) فمختصةٌ به تعالى، كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[الملك:١]، و﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤] وذكر جملة من الآيات على هذا النحو.

(١) نقله ابن القيم في «جلاء الأفهام» ص(١٨١) عن بعض المفسرين، وقبله ذكر قول الخليل بن أحمد: تبارك بمعنى تمجد. ثم قال: وهذا قد يقال إنه جزء المعنى، فتباركه سبحانه يجمع هذا كله: دوام وجوده، وكثرة خيره، ومجده وعلوه، وعظمته وتقدسه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن أنها تكون دالة على جملة معانٍ، فيعبر هذا عن بعضها وهذا عن بعضها، واللفظ يجمع ذلك كله.

وذهب ينذر قومه به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[الأحقاف:٢٩].

والنّذير والمنذر هو من يُعْلِم بالشيء مع التخويف، وضده البشير أو المبشِّر، وهوَ من يخبرك بما يسرُّك.

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآية الكريمة أيضًا جملة من صفات التنزيه التي يُراد[1] بها نفي ما لا يليق بالله عز وجل عنه، فقد نزَّه سبحانه نفسه فيها عن اتِّخاذ الولد وعن وجود إله خالقٍ معه، وعمَّا يَصِفُهُ به المفترون الكذَّابون؛ كما نهى عن ضرب الأمثال له، والإشراك به بلا حجة ولا برهان، والقول عليه سبحانه بلا علم ولا دليل.

فهذه الآية تضمَّنت إثبات توحيد الإلهية، وإثبات توحيد الرُّبوبية، فإن الله بعدما أخبر عن نفسه بعدم وجود إلـه معه أوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة، فقال: ﴿إِذًا﴾؛ أي: إذ لو كان معه آلهةٌ كما يقول هؤلاء المشركون؛ ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وتوضيح هذا الدليل أن يقال: إذا تعدَّدت الآلهة؛ فلا بدَّ أن يكون لكل منهم خلق وفعل، ولا سبيل إلى التعاون فيما بينهم؛ فإن الاختلاف بينهم ضروريٌّ، كما أن التعاون بينهم في الخلق يقتضي عجز كل منهم عند الانفراد، والعاجز لا يصلح إلهًا، فلا بد أن يستقلَّ كلٌّ منهم بخلقه وفعله، وحينئذٍ؛ فإما أن يكونوا متكافئين في القدرة، لا يستطيع كل منهم أن يقهر الآخرين ويغلبهم، فيذهب كل منهم بما خلق، ويختص بملكه؛ كما يفعل ملوك الدنيا من انفراد كل بمملكته إذا لم يجد سبيلًا لقهر

(١) كذا في الأصل، ولعل الأصل: (يراد بها) إسماعيل الأنصاري.

الآخرين، وإما أن يكون أحدهم أقوى من الآخرين، فيغلبهم، ويقهرهم، وينفرد دونهم بالخلق والتدبير، فلا بد إذًا مع تعدُّد الآلهة من أحد هذين الأمرين: إما ذهاب كل بما خلق، أو علو بعضهم على بعض.

وذهاب كلٍّ بما خلق غير واقع؛ لأنه يقتضي التنافر والانفصال بين أجزاء العالم، مع أن المشاهدة تثبت أن العالم كله كجسم واحد مترابط الأجزاء، متَّسق الأنحاء، فلا يمكن أن يكون إلا أثرًا لإله واحد.

وعلو بعضهم على بعض يقتضي أن يكون الإله هو العالي وحده.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾؛ فهو نهيٌ لهم أن يشبِّهوه بشيء من خلقه؛ فإنه سبحانه له المثل الأعلى الذي لا يشركه فيه مخلوق.

وقد قدَّمنا (ص٥٠-٥٢)، أنه لا يجوز أن يستعمل في حقه من الأقيسة ما يقتضي المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره؛ كقياس التمثيل وقياس الشمول.

وإنما يستعمل في ذلك قياس الأولى الذي مضمونه أن كل كمالٍ وجوديٍّ غيرِ مستلزمٍ للعدم ولا للنقص بوجهٍ من الوجوه اتَّصف به[1] المخلوق فالخالق أولى أن يتَّصف به؛ لأنه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال، ولأنه لو لم يتَّصف بذلك الكمال - مع إمكان أن يُتَّصف به - لكان في الممكنات من هو أكمل منه، وهو محالٌ، وكذلك كل نقصٍ يتنزَّه عنه المخلوق، فالخالق أولى بالتنزُّه عنه.

وأما قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ إلخ؛ فـ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصرٍ تفيد اختصاص الأشياء المذكورة بالحرمة، فيفهم أن مَن عداها من الطَّيِّبات فهو مباحٌ لا حرج فيه؛ كما أفادته الآية التي قبلها.

(١) لفظ (به) ليس في الأصل، ولكن يقتضيه السياق. إسماعيل الأنصاري.

و﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ جمع فاحشة؛ وهي الفعلة المتناهية في القبح، وخصَّها بعضهم بما تضمَّن شهوة ولذة من المعاصي؛ كالزنا، واللواط، ونحوهما من الفواحش الظاهرة، وكالكبر والعجب وحب الرياسة من الفواحش الباطنة.

وأما ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾؛ فمنهم مَن فسره بمطلق المعصية، فيكون المراد منه ما دون الفاحشة، ومنهم مَن خصَّه بالخمر؛ فإنها جِماع الإثم.

وأما ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ فهو التسلُّط والاعتداء على الناس من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص والمماثلة.

وقوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، وحرَّم أن تعبدوا مع الله غيره، وتتقرَّبوا إليه بأي نوع من أنواع العبادات والقربات؛ كالدعاء، والنذر، والذبح، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك مما يجب أن يُخْلِص فيه العبدُ قلبَه ويُسْلِمَ وجهَه لله، وحرَّم أن تتَّخذوا من دونه سبحانه أولياء يشرِّعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله في عباداتهم ومعاملاتهم؛ كما فعل أهل الكتاب مع الأحبار والرهبان؛ حيث اتَّخذوهم أربابًا من دون الله في التشريع، فأحلُّوا ما حرَّم الله، وحرَّمُوا ما أحلَّ الله، فاتَّبعوهم في ذلك.

وقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ قيدٌ لبيان الواقع؛ فإن كل ما عُبِدَ أو اتّبع أو أُطيع من دون الله قد فعل به ذلك من غير سلطان.

وأما القول على الله بلا علم؛ فهو بابٌ واسعٌ جدًّا يدخل فيه كل خبر عن الله بلا دليل ولا حجة؛ كنفي ما أثبته، أو إثبات ما نفاه، أو الإلحاد في آياته بالتحريف والتأويل.

قال العلاّمة ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين»: (وقد حرَّم الله القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرَّمات؛ بل جعله في المرتبة العليا منها؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الآية، فرتَّب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش، وثنّى بما هو أشد تحريمًا منه، وهو الإثم والظلم، ثم ثلَّث بما هو أعظم تحريمًا منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أعظم تحريمًا من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعمُّ القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه).

(وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ[(١)]﴾ فِي [سَبْعَةِ][(٢)] مَوَاضِعَ:

{فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[يونس: ٣].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الرعد: ٢].

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ [ٱلرَّحْمَٰنُ][(٣)]﴾ [الفرقان: ٥٩].

---

(١) هنا في (أ)، و(ب): ثم استوى على العرش.

(٢) في (أ)، و(ب)، و(م): ستة.

(٣) زيادة من (م).

وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[السجدة: ٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ: {﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الحديد: ٤]).}[١]).

/ ش/ وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ إلخ؛ هذه هي المواضع السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش، وكلها قطعية الثبوت؛ لأنها من كتاب الله، فلا يملك الجهميُّ المعطِّل لها ردًّا ولا إنكارًا، كما أنها صريحة في بابها، لا تحتمل تأويلًا، فإن لفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ في اللغة إذا عُدِّي بـ(على) لا يمكن أن يُفْهَمَ منه إلا العلو والارتفاع، ولهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات؛ ذكرها العلاَّمة ابن القيم في «النُّونية»؛ حيث قال:

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلاَ وَكَذلِكَ ارْ ... تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِن نُكْرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ ... وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
يَخْتَارُ هَذَا القَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ ... أَدْرَى مِنَ الجَهْمِيِّ بِالقُرآنِ

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جلَّ شأنه؛ كما قال مالك وغيره: (الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولُ)[٢].

(١) ما بين القوسين المتعرجين زيادة من (م).
(٢) تقدم الكلام على هذا الأثر ص(٤٣).

وأما ما يشغِّب به أهل التعطيل من إيراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء؛ فهي لا تلزمنا؛ لأننا لا نقول بأن فوقيَّتَهُ على العرش كفوقِيَّة المخلوق على المخلوق.

وأما ما يحاولون به صرف هذه الآيات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة التي تدُلُّ على حيرتهم واضطرابهم؛ كتفسيرهم: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بـ(استولى)، أو حملهم ﴿عَلَىَ﴾ على معنى (إلى)، و﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾؛ بمعنى: (قصد)... إلى آخر ما نقله عنهم حامل لواء التجهُّم والتعطيل زاهد الكوثري؛ فكلها تشغيبٌ بالباطل، وتغييرٌ في وجه الحق لا يغني عنهم في قليلٍ ولا كثيرٍ.

وليت شعري! ماذا يريد هؤلاء المعطِّلة أن يقولوا؟!

أيريدون أن يقولوا: ليس في السماء ربٌّ يُقْصَدُ، ولا فوق العرش إله يُعْبَدُ؟!

فأين يكون إذن؟!

ولعلَّهم يضحكون منا حين نسأل عنه بـ(أين)! ونسوا أن أكمل الخلق وأعلمهم بربهم صلوات الله عليه وسلامه قد سأل عنه بـ(أين) حين قال للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**». ورضي جوابها حين قالت: في السماء[(١)].

وقد أجاب كذلك مَن سأله بـ: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ بأنه كان في عماء.. الحديث[(٢)].

---

(١) رواه مسلم، وغيره عن معاوية بن الحكم.

(٢) وهو حديث ضعيف، أخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٠٩٣)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجة (١٨٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١١، ١٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠١) وغيرهم.

من طريق يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس، ويقال: عدس عن أبي رزين العقيلي، فذكره، وتمامه «**ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء**».

وقال الترمذي عقبه: قال أحمد بن منيع: قال يزيد بن هارون: العماء: أي: ليس معه شيء. =

ولم يُرْوَ عنه أنه زجر السائل، ولا قال له: إنك غلطت في السؤال.

إن قصارى ما يقوله المتحذلق منهم في هذا الباب: إن الله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان.

فماذا يعني هذا المُخَرِّف بالمكان الذي كان الله ولم يكن؟!

هل يعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم؟!

فهذه أمكنة حادثة، ونحن لا نقول بوجود الله في شيءٍ منها؛ إذ لا يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

وأما إذا أراد بها المكان العَدَميَّ الذي هو خلاءٌ محضٌ لا وجود فيه؛ فهذا لا يقال: إنه لم يكن ثم خلق؛ إذ لا يتعلق به الخلق، فإنه أمر عدميٌّ، فإذا قيل: إن الله في مكان بهذا المعنى؛ كما دلَّت عليه الآيات والأحاديث؛ فأي محذورٍ في هذا؟!

بل الحق أن يقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، ثم استوى على العرش، وثم هنا للترتيب الزماني لا لمجرَّد العطف.

= قال أبو عيسى: هكذا روى حماد بن سلمة: وكيع بن حدس، ويقول شعبة وأبو عوانة وهشيم: وكيع بن عدس: وهو أصح. اهـ

وفي «التأريخ الكبير»: وكيع بن عدس. وصحح أحمد في «المسند» (٤/ ١١) أنه حدس. وقال ابن حبان في «الثقات» أرجو أن يكون الصواب. وهكذا صوَّب هذا سفيان كما في «معرفة الرجال» لأحمد (١/ ٢٧٧، ٢٨٩) وفي «الإكمال» (حدس)، وفي «تصحيفات المحدثين»: حدس -وقال ابن القطان في وكيع هذا: مجهول الحال كما في «تهذيب التهذيب»- ويغني عن هذا الحديث حديث عمران بن حصين في البخاري: «**كان الله، ولم يكن شيء قبله**» وفي رواية: «**غيره**».

(وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾[النساء: ١٨٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾[1] [فاطر: ١٠]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾[غافر: ٣٦]، [وَقَوْلُهُ][2]: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك: ١٦]، [**ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير**][3]).

/ ش/ وقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ إلخ؛ هذه الآيات جاءت مؤيِّدة لما دلَّت عليه الآيات السابقة من علوِّه تعالى وارتفاعه فوق العرش مباينًا للخلق، وناعية على المعطِّلة جحودهم وإنكارهم لذلك، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

ففي الآية الأولى ينادي الله رسوله وكلمته عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بأنَّه متوفِّيه ورافعه إليه حين دبَّر اليهود قتله، والضمير في قوله: ﴿إِلَيَّ﴾ هو ضمير الرب جلَّ شأنه، لا يحتمل غير ذلك، فتأويله بأن المراد: إلى محل رحمتي، أو مكان ملائكتي... إلخ لا معنى له.

ومثل ذلك يقال أيضًا في قوله سبحانه ردًّا على ما ادَّعاه اليهود من قتل عيسى وصلبه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾.

وقد اختُلِفَ في المراد بالتوفِّي المذكور في الآية، فحمله بعضهم على الموت، والأكثرون على أنَّ المراد به النوم، ولفظ المتوفَّى يُسْتَعْمَل فيه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: ٦٠].

---

(١) هنا في (ب) زيادة مقحمة: [تعرج الملائكة والروح إليه].

(٢) سقطت من (أ)، و(م).

(٣) زيادة من (ب).

ومنهم مَن زعم أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وأنَّ التقدير: إنِّي رافعك ومتوفيك؛ أي: مميتك بعد ذلك[(١)].

والحق أنَّه عليه السلام رُفع حيًّا، وأنَّه سينزل قرب قيام الساعة؛ لصحَّة الحديث[(٢)] بذلك.

وأما قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ فهو صريحٌ أيضًا في صعود أقوال العباد وأعمالهم إلى الله عز وجل، يصعد بها الكرام الكاتبون كل يوم عقب صلاة العصر، وعقب صلاة الفجر؛ كما جاء في الحديث[(٣)]:

«فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

وأما قوله سبحانه حكايةً عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾إلخ؛ فهو دليل على أنَّ موسى عليه السلام أخبر فرعون الطاغية بأنَّ إلهه في السماء، فأراد أنْ يتلمَّس الأسباب للوصول إليه تمويهًا على قومه، فأمر وزيره هامان أنْ يبني له الصرح، ثم عقَّب على ذلك بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾؛ أي: موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ فيما أخبر به من

---

(١) وزاد الشنقيطي في «دفع إيهام الاضطراب»: إنَّ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: اسم فاعل توفاه، إذا قبضه وحازه إليه، ومنه قولهم: (توفى فلان دينه) إذا قبضه إليه، فيكون معنى متوفيك على هذا قابضك منهم إليَّ حيًا.

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة في البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليُوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**».

فائدة: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه توبيخ عظيم للنصارى، الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى، ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته. اهـ

قلت: وكذلك يعظمون الصليب، وجعلوه شعارًا لهم، وعيسى عليه السلام إذا نزل يكسره.

(٣) رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة مرفوعًا: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر ثمَّ يعرج...**».

كون إلهه في السماء، فمَن إذًا أشبه بفرعون وأقرب إليه نسبًا؛ نحنُ أم هؤلاء المعطِّلة؟! إنَّ فرعونَ كَذَّبَ موسى في كون إلهه في السماء، وهو نفس ما يقوله هؤلاء.

قوله: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ إلخ؛ هاتان الآيتان فيهما التصريح بأنَّ الله عز وجل في السماء، ولا يجوز حمل ذلك على أنَّ المراد به: العذاب، أو الأمر، أو المَلَك؛ كما يفعل المعطلة؛ لأنَّه قال: ﴿مَّن﴾، وهي [للعاقل][(١)]، وحَمْلُها على المَلَك إخراجُ اللفظ عن ظاهره بلا قرينة توجب ذلك.

ولا يجوز أنْ يُفهم من قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أنَّ السماء ظرفٌ له سبحانه؛ بل إنْ أُريد بالسماء هذه المعروفة؛ فـ﴿فِي﴾ بمعنى (على)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه: ٧١]، وإنْ أريد بها جهة العلو؛ فـ﴿فِي﴾ على حقيقتها؛ فإنَّه سبحانه في أعلى العلوِّ.

(﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤]، [**وَقَوْلُهُ**][(٢)]: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة: ٧]، [**وَقَوْلُهُ**][(٣)] ﴿[(٤)]لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾[التوبة: ٤٠]، [**وَقَوْلُهُ**][(٢)]: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]،

---

(١) لو عبر المؤلف هنا بلفظ (للعالم) بدل قوله: (للعاقل) لأصاب. إسماعيل الأنصاري.

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) سقطت من (أ).

(٤) [إذ يقول لصاحبه] من (ب).

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٦]، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤٩]).

/ ش/ قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلخ؛ تضمَّنت هذه الآية الكريمة إثبات صفة المعيَّة له عزَّ وجلَّ، وهي على نوعين:

معيَّة عامَّة: شاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه، وهذه المعيَّة المذكورة في الآية.

ففي هذه الآية يخبر عن نفسه سبحانه بأنه هو وحده الذي خلق السموات والأرض - يعني: أوجدهما على تقدير وترتيب سابق في مدة ستة أيام -، ثم علا بعد ذلك وارتفع على عرشه؛ لتدبير أمور خلقه. وهو مع كونه فوق عرشه لا يغيب عنه شيءٌ من العالَمَيْن العُلويِّ والسُّفليِّ؛ فهو ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾؛ أي: يدخل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ﴾؛ أي: يصعد ﴿فِيهَاۖ﴾، ولا شَكَّ أن مَن كان علمه وقدرته محيطَيْن بجميع الأشياء؛ فهو مع كل شيء، ولذلك قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ﴾ إلخ؛ يثبت سبحانه شمول علمه وأحاطته بجميع الأشياء، وأنه لا يخفى عليه نجوى المتناجين، وأنه شهيدٌ على الأشياء كلها، مطَّلِع عليها.

وإضافة ﴿نَّجۡوَىٰ﴾ إلى ثلاثة من إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: ما يكون من ثلاثة نجوى؛ أي: متناجين.

وأما الآيات الباقية؛ فهي في إثبات المعيَّة الخاصَّة التي هي معيَّتُه لرسله تعالى وأوليائه بالنصر والتأييد والمحبة والتوفيق والإلهام.

فقوله تعالى: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ حكايةٌ عما قاله عليه الصلاة والسلام لأبي بكرٍ الصدِّيق وهما في الغار، فقد أحاط المشركون بفم الغار عندما خرجوا في طلبه ﷺ، فلما رأى أبو بكر ذلك انزعج، وقال: (والله يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا).

فقال له الرسول ﷺ ما حكاه الله عز وجل هنا: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[(١)].

فالمراد بالمعيَّة هنا معية النصر والعصمة من الأعداء.

وأما قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ فقد تقدَّم الكلام عليه[(٢)]، وأنَّها خطابٌ لموسى وهارون عليهما السلام أن لا يخافا بطش فرعون بهما؛ لأنَّ الله عز وجل معهما بنصره وتأييده.

وكذلك بقيَّة الآيات يخبر الله فيها عن معيته للمتَّقين الذين يراقبون الله عز وجل في أمره ونهيه، ويحفظون حدوده، وللمحسنين الذين يلتزمون الإحسان في كل شيء، والإحسان يكون في كل شيء بحسبه، فهو في العبادة - مثلًا - أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ كما جاء في حديث جبريل عليه السلام[(٣)].

وكذلك يخبر عن معيَّته للصابرين الذين يحبسون أنفسهم على ما تكره، ويتحمَّلون المشاقَّ والأذى في سبيل الله وابتغاء وجهه؛ صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عن معصيته، وصبرًا على قضائه.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) عن أبي بكر، وفيهما أن النبي ﷺ، قال لأبي بكر: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**». وفي حديث البخاري رقم (٣٦٥٢)، وفيه أن سراقة بن مالك أدركهم على فرس، فقال أبو بكر: هذا الطلب، قد لحقنا يا رسول الله، فقال: «**لا تحزن إنَّ الله معنا**».

(٢) ليس في الأصل لفظ (عليه)؛ ولكن السياق يقتضيه. إسماعيل الأنصاري.

(٣) سبق تخريجه ص(٣٠) وما بعدها.

(وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا[١]﴾[النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا[١]﴾[النساء: ١٢٢]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة: ١١٠]، [قوله][٢]: ﴿وَتَمَّتْ [كَلِمَتُ][٣] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام: ١١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤]، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[مريم:٥٢]،[وقوله][٤]: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ/ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾/ [الشعراء:١٠]، (٧- ب) ب (٤- ب) أ ﴿[وَنَادَىٰهُمَا][٥] رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ[٦]﴾[الأعراف:٢٢]، وَقَوْلُهُ: [﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[القصص:٦٢]][٧]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[القصص: ٦٥]).

/ ش/ تضمَّنت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله عزّ وجلّ.

وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعًا كبيرًا:

فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقًا منفصلًا منه، وقال: إن معنى (متكلِّم): خالقٌ للكلام. وهم المعتزلة.

ومنهم من جعلـه لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا، لا يتعلَّق بمشيئته وقدرته، ونفى عنه الحرف والصوت، وقال: إنه معنى واحد في الأزل. وهم الكُلَّابيَّة والأشعرية.

---

(١) في (م) هنا علامة استفهام (؟).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (أ): كلمات.
(٤) زيادة من المطبوع.
(٥) في (ب): فناداهما.
(٦) [وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوٌّ مبين] زيادة من (ب).
(٧) هكذا في (أ)، و(ب)، و(م).

ومنهم مَن زعم أنه حروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ لازمة للذَّات، وقال: إنها مقترنة في الأزل، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئًا بعد شيء. وهم بعض الغلاة.

ومنهم من جعلـه حادثًا قائمًا بذاته تعالى، ومتعلِّقًا بمشيئته وقدرته، ولكن زعم أن لـه ابتداء في ذاته، وأن الله لم يكن متكلِّمًا في الأزل. وهم الكرَّامية.

ويطول بنا القول لو اشتغلنا بمناقشة هذه الأقول وإفسادها، على أن فسادها بيِّنٌ لكل ذي فهمٍ سليمٍ، ونظرٍ مستقيمٍ.

وخلاصةُ مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله تعالى لم يزل متكلِّمًا إذا شاء، وأن الكلام صفة لـه قائمة بذاته، يتكلَّم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلِّمًا إذا شاء، وما تكلَّم الله به فهو قائمٌ به ليس مخلوقًا منفصلًا عنه؛ كما تقول المعتزلة، ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها؛ كما تقول الأشاعرة؛ بل هو تابعٌ لمشيئته وقدرته.

والله سبحانه نادى موسى بصوتٍ، ونادى آدم وحواء بصوتٍ، وينادي عباده يوم القيامة بصوتٍ، ويتكلَّم بالوحي بصوتٍ، ولكن الحروف والأصوات التي تكلَّم الله بها صفة لـه غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم؛ كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده؛ فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته.

والآيتان الأوليان هنا - وهما من سورة النساء - تنفيان أن يكون أحدٌ أصدقَ حديثًا وقولًا من الله عز وجل، بل هو سبحانه أصدق من كل أحدٍ في كل ما يخبر به، وذلك لأن علمه بالحقائق المخبَرِ عنها أشمل وأضبط، فهو يعلمها على ما هي به من كل وجه، وعلم غيره ليس كذلك.

وأما قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ إلخ؛ فهو حكايةٌ لما سيكون يوم القيامة من سؤال الله لرسولـه وكلمته عيسى عمَّا نسبه إليه الَّذين ألَّهوه وأمه من النصارى من أنه هو الذي أمرهم بأن يتَّخِذوه وأمَّه إلهينِ من دون الله.

وهذا السؤال لإظهار براءة عيسى عليه السلام، وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الضالِّين الأغبياء.

وأما قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾؛ فالمراد صدقًا في أخباره، وعدلًا في أحكامه؛ لأن كلامه تعالى إما أخبار، وهي كلها في غاية الصدق، وإما أمر ونهي، وكلها في غاية العدل الذي لا جور فيه؛ لابتنائها على الحكمة والرحمة.

والمراد بالكلمة هنا الكلمات؛ لأنها أُضيفت إلى معرفة، فتفيد معنى الجمع؛ كما في قولنا: رحمة الله ونعمة الله.

وأما قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وما بعدها من الآيات التي تدل على أن الله قد نادى موسى وكلمه تكليمًا، وناجاه حقيقة من وراء حجاب، وبلا واسطة ملَكٍ؛ فهي تردٌّ على الأشاعرة الذين يجعلون الكلام معنى قائمًا بالنفس؛ بلا حرف، ولا صوت!

فيقال لهم: كيف سمع موسى هذا الكلامَ النفسيَّ؟

فإن قالوا: ألقى الله في قلبه علمًا ضروريًّا بالمعاني التي يريد أن يكلِّمَه بها؛ لم يكن هناك خصوصية لموسى في ذلك.

وإن قالوا: إن الله خلق كلامًا في الشجرة أو في الهواء، ونحو ذلك؛ لزم أن تكون الشجرة هي التي قالت لموسى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[طه: ١٢].

وكذلك تردُّ عليهم هذه الآيات في جعلهم الكلام معنى واحدًا في الأزل، لا يحدث منه في ذاته شيءٌ، فإن الله يقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؛ فهي تفيد حدوث الكلام عند مجيء موسى للميقات، ويقول: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾؛ فهذا يدل على حدوث النداء عند جانب الطور الأيمن.

والنداء لا يكون إلا صوتًا مسموعًا.

وكذلك قوله تعالى في شأن آدم وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ الآية؛ فإن هذا النداء لم يكن إلا بعد الوقوع في الخطيئة، فهو حادث قطعًا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ إلخ؛ فإن هذا النداء والقول سيكون يوم القيامة.

وفي الحديث: «**مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**»[(١)].

(﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ [ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ]﴾[(٢)][التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ [وَهُمْ يَعْلَمُونَ]﴾[(٣)][البقرة: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ [قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ]﴾[(٤)][الفتح: ١٥]، ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣) ومواضع أخرى أشار إليها محمد فؤاد، ومسلم رقم: (١٠١٦) عن عدي بن حاتم، وفي بعض طرقه «**ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان**»، والترجمان: بفتح التاء وضمها لغتان، وهو المعبر عن لسان بلسان.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) سقط من (أ).

(٤) زيادة من (م).

﴿إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[الكهف: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ [أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ]﴾[(١)][النمل: ٧٦]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام: ٩٢، ١٥٥]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ [لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ]﴾[(٢)][النحل: ١٠١-١٠٣]).

/ ش/ قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾إلخ؛ هذه الآيات الكريمة تفيد أن القرآن المتلوّ المسموع المكتوب بين دفَّتي المصحف هو كلام الله على الحقيقة، وليس فقط عبارة أو حكاية عن كلام الله؛ كما يقوله الأشعريَّة[(٣)].

وإضافته إلى الله عزّ وجلّ تدلُّ على أنه صفةٌ لـه قائمة به، وليست كإضافة البيت أو الناقة؛ فإنها إضافة معنى إلى الذات، تدلُّ على ثبوت المعنى لتلك الذات؛ بخلاف إضافة البيت أو الناقة؛ فإنَّها إضافة أعيان، وهذا يردُّ على المعتزلة في قولهم: إنه مخلوق منفصلٌ عن الله.

ودلَّـت هذه الآيات أيضًا على أن القرآن منزَّلٌ من عند الله، بمعنى أن الله تكلَّم به بصوتٍ سمعه جبريل عليه السلام، فنزل به، وأدَّاه إلى رسول الله ﷺ كما سمعه من الربِّ جل شأنه.

---

(١) سقط من (أ).

(٢) بدله في (ب): إلى قوله: ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

(٣) المعروف عن الأشعرية أنهم يقولون: إنه عبارة، وأن الذين يقولون إنه حكاية هم الكلابية، وهو ما ذكره المؤلف الشارح ص(١٩٩)، وانظر «مختصر الصواعق» (٢/ ٤٢٦).

وخلاصة القول في ذلك: أن القرآن العربي كلام الله، منزَّلٌ، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود[١]، والله تكلَّم به على الحقيقة، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره، وإذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرجه ذلك عن أن يكون كلام الله؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقةً إلى مَن قاله مبتدئًا، لا إلى مَن بلغه مؤدِّيًا، والله تكلَّم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه، ليس شيء منه كلامًا لغيره، لا لجبريل، ولا لمحمد، ولا لغيرهما، والله تكلم به أيضًا بصوت نفسه، فإذا قرأه العباد قرؤوه بصوت أنفسهم، فإذا قال القارئ مثلًا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله، لا كلام نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله.

وكما أن القرآن كلام الله، فكذلك هو كتابه؛ لأنه كتبه في اللوح المحفوظ، ولأنه مكتوبٌ في المصاحف؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾[الواقعة: ٧٧-٧٨].

وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[البروج: ٢١-٢٢].

وقال: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[عبس: ١٣-١٦].

والقرآن في الأصل مصدرٌ كالقراءة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: ٧٨].

ويراد به هنا أن يكونَ عَلَمًا على هذا المنزَّل من عند الله، المكتوب بين دفَّتي المصحف، المتعبَّد بتلاوته، المتحدَّى بأقصر سورة منه.

---

(١) انظر معنى هذا ص(١٩٩-٢٠٠).

وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يدلُّ أن ابتداء نزولـه من عند الله عز وجل، وأن روح القدس جبريل عليه السلام تلقَّاه عن الله سبحانه بالكيفيَّة التي يعلمها.

(**وَقَوْلُهُ**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين: ٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٥]، **وَهَذَا البَابُ فِي كِتَابِ اللهِ [تعالى]**[(١)] **كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ [طَالِبًا]**[(٢)] **لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ**).

/ ش/ قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ إلخ؛ هذه الآيات تثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة في الجنة.

وقد نفاها المعتزلة؛ بناء على نفيهم الجهة عن الله؛ لأن المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي، وما دامت الجهة مستحيلة، وهي شرط في الرؤية؛ فالرؤية كذلك مستحيلة.

واحتجُّوا من النقل بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، وقوله لموسى عليه السلام حين سألـه الرؤية: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣].

وأما الأشاعرة؛ فهم مع نفيهم الجهة كالمعتزلة يثبتون الرؤية، ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية، فمنهم مَن قال: يرونه من جميع الجهات، ومنهم من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر، وقال: المقصود زيادة الانكشاف والتجلي حتى كأنها رؤية عين.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) في (أ): طالب.

وهذه الآيات التي أوردها المؤلِّف حجة على المعتزلة في نفيهم الرؤيـة؛ فإن الآية الأولى عُدِّي النظر فيها بـ﴿إِلَىٰ﴾، فيكون بمعنى الإبصار؛ يقال: نظرتُ إليه وأبصرتُه بمعنى، ومتعلِّق النظر هو الربّ جلّ شأنه.

وأما ما يتكلَّفه المعتزلة من جعلهم ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى النعمة. والتقدير: ثواب ربها منتظرة؛ فهو تأويل مضحك.

وأما الآية الثانية؛ فتفيد أن أهل الجنة، وهم على أرائكهم - يعني: أَسِرَّتَهم، جمع أريكة - ينظرون إلى ربهم.

وأما الآيتان الأخيرتان؛ فقد صحَّ عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل[1].

---

(١) الحديث رواه مسلم (١٨١)، والطيالسي (١٣١٥)، والترمذي (٣١٠٥) والنسائي وأحمد (٤/ ٣٣٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٢) وغيرهم، من طرق عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**».

قال الترمذي عقب الحديث: حديث حماد بن سلمة روى غير واحد عن حماد مرفوعًا.

وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله، ولم يُذْكَرْ فيه صهيب، عن النبي ﷺ.

ونقل كلام الترمذي الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٤٧) وزاد فقال: وكذا قال معمر، أخرجه عبد الرزاق عنه، وحماد بن زيد، عن ثابت أخرجه الطبري.

وقال أبو مسعود: رواه حماد بن زيد، وسليمان بن المغيرة، وحماد بن واقد عن ثابت، عن ابن أبي ليلى، قوله ليس فيه (صهيب) ولا (النبي ﷺ) كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ١٩٨).

وقال الدارقطني في «التتبع» ص(٣٠٥): ورواه حماد بن زيد عن ثابت، عن ابن أبي ليلى قوله. اهـ

خلاصة ما تقدم: أن هؤلاء الأربعة رووا الحديث عن ثابت، عن ابن أبي ليلى من قوله: ولا بأس أن أذكرهم مع بيان من أخرج أحاديثهم، وما في بعضهم من كلام:

١- حماد بن زيد، ثقة ثبت، ومع هذا فقد قال يعقوب بن شيبة: إنه كان يقصر في الأسانيد، ويوقف المرفوع كثير الشك، بتوقيه... اهـ =

ويشهد لذلك أيضًا قوله تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]، فدلَّ حجب هؤلاء على أن أولياءَه يرونه.

وأحاديث الرؤية متواترة في المعنى عند أهل العلم بالحديث، لا ينكرها إلا ملحد زنديق.

وأما ما احتجَّ به المعتزلة من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ فلا حجة لهم فيه؛ لأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد أن الأبصار تراه، ولكن لا تحيط[(١)] به رؤية؛ كما أن العقول تعلمه ولكن لا تحيط به علمًا؛ لأن الإدراك هو الرؤية على جهة الإحاطة، فهو رؤية خاصة، ونفي الخاص لا يستلزم نفي مطلق الرؤية.

= روايته عند ابن خزيمة في «التوحيد» ص(١٨٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٥٢) وابن جرير في «التفسير» والدارقطني في «الرؤية» (٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠).

٢- معمر بن راشد، روايته عن ثابت ضعيفة، وهذا منها، حديثه عند ابن خزيمة وابن جرير.

٣- سليمان بن المغيرة، عند ابن خزيمة، والدارقطني في «الرؤية» (٢١١).

٤- حماد بن واقد ضعيف، تقدم ذكره في كلام أبي مسعود، وهكذا ذكره النووي في «شرح مسلم» (٣/ ١٦).

والذي يظهر لي والله أعلم: ترجيح رواية حماد بن سلمة، كما ذهب إلى ذلك الشيخ ربيع في كتابه: «بين الإمامين» أو أن الحديث يحمل على الوجهين، كما ذهب إلى ذلك الشيخ الألباني في تحقيقه «السنة» لابن أبي عاصم وهذا على أقل الأحول، لأمور:

١- تقدم ذكر كلام الحفاظ، ولم نجد تصريحًا من أحد منهم، بأن رواية حماد بن سلمة غير محفوظة، بل قد صحّح الدارقطني رحمه الله رواية حماد بن سلمة في كتابه «الرؤية» (ص٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥).

٢- ما سبق من كلام في بعض من روى الحديث مقطوعًا.

٣- حماد بن سلمة ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه في آخره، لكن أخرج له مسلم في «الأصول» عن ثابت عن أنس ما سمع منه قبل التغير. كما في «تهذيب التهذيب». وقال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة في ثابت، فالقول قول حماد، وقال ابن المديني: لم يكن في أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة.

٤- إخراج مسلم هذا الحديث في «صحيحه».

(١) كما قال الله عن جمع موسى وفرعون ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء:٦١].

وكذلك استدلالهم على نفي الرؤية بقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لا يصلح دليلًا، بل الآية تدل على الرؤية من وجوهٍ كثيرةٍ؛ منها:

١- وقوع السؤال من موسى، وهو رسول الله وكليمه، وهو أعلمُ بما يستحيل في حق الله من هؤلاء المعتزلة، فلو كانت الرؤية ممتنعة لما طلبها.

٢- أن الله عز وجلَّ علّق الرؤية على استقرار الجبل حال التجلِّي وهو ممكنٌ، والمعلَّق على الممكن ممكنٌ.

٣- أن الله تجلَّى للجبل بالفعل، وهو جمادٌ، فلا يمتنع إذًا أن يتجلَّى لأهل محبَّته وأصفيائه.

وأما قولهم: إن (لن)، لتأبيد النفي، وإنـها تدل على عدم وقوع الرؤية أصلًا؛ فهو كذب على اللغة فقد قال تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة: ٩٥]، ثم قـال: ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، فأخبر عن عدم تمنِّيهم للموت بـ﴿لَن﴾، ثم أخبر عن تمنِّيهم له وهم في النار[(١)].

وإذًا؛ فمعنى قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾: لن تستطيع رؤيتي في الدنيا؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه[(٢)]، ولو كانت الرؤية ممتنعة لذاتها؛ لقال: إنِّي لا أُرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئيٍّ... ونحو ذلك، والله أعلم.

---

(١) وأيضًا لو كانت تفيد التأبيد لما حسُن ذكر لفظ (الأبد) بعدها وأما إفادة التأبيد في قوله تعالى ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾[الحج:٧٣] وأمثالها فليس مما أفادته (لن) وإنما هو من دليل آخر والله أعلم.

(٢) وهذا يتفق تمامًا مع قول النبي ﷺ: «**تَعَلَّموا أنه لن يرى أحدٌ ربه عز وجل، حتى يموت**» رواه مسلم(٤/ ٢٢٤٥) عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

مباحث عامَّة حول آيات الصفات

إن الناظر في آيات الصفات التي ساقها المؤلِّف رحمه الله يستطيع أن يستنبط منها قواعدَ وأصولًا هامَّة يجب الرجوع إليها في هذا الباب:

الأصل الأوَّل: اتفق السلف على أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى، وما دلَّت عليه من الصفات، وما ينشأ عنها من الأفعال.

مثال ذلك القدرة مثلًا، يجب الإيمان بأنه سبحانه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات..

وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط.

وعلى هذا؛ فما ورد في هذه الآيات التي ساقها المصنِّف من الأسماء الحسنى؛ فإنها داخلةٌ في الإيمان بالاسم.

وما فيها من ذكر الصفات؛ مثل: عزَّة الله، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وإرادته، ومشيئته، فإنها داخلة في الإيمان بالصفات.

وما فيها من ذكر الأفعال المطلقة والمقيَّدة، مثل: يعلم كذا، ويحكم ما يريد، ويرى، ويسمع، وينادي، ويناجي، وكلَّم، ويكلِّم؛ فإنها داخلةٌ في الإيمان بالأفعال.

الأصل الثاني: دلَّت هذه النصوص القرآنية على أن صفات الباري قسمان:

١- صفات ذاتيَّة لا تنفكُّ عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلًا وأبدًا، ولا تتعلَّق بها مشيئته تعالى وقدرته، وذلك كصفات: الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزَّة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والمجد، والجلال... إلخ.

٢- صفات فعليَّة تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو لم يزل موصوفًا بها، بمعنى أن نوعها قديم، وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعّالًا لما يريد، ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلَّم ويخلق ويدبِّر الأمور، وأفعالـه تقع شيئًا فشيئًا، تبعًا لحكمته وإرادته.

فعلى المؤمن الإيمان بكل مانسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلِّقة بذاته؛ كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والضحك، والرضى، والغضب، والكراهية، والمحبة. والمتعلِّقة بخلقه؛ كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وأنواع التدبير المختلفة.

الأصل الثالث: إثبات تفرُّد الربِّ جلَّ شأنه بكل صفة كمال، وأنه ليس لـه شريك أو مثيلٌ في شيءٍ منها.

وما ورد في الآيات السابقة من إثبات المثل الأعلى لـه وحده، ونفي الند والمثل والكفء والسميّ والشريك عنه يدل على ذلك؛ كما يدل على أنه منزَّه عن كل نقصٍ وعيبٍ وآفةٍ.

الأصل الرابع: إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات، لا فرق بين الذاتية منها؛ كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ونحوها، والفعلية؛ كالرضا والمحبة والغضب والكراهة، وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه واليدين ونحوهما، وبين الاستواء على العرش والنزول، فكلها مما اتفق السلف على إثباته بلا تأويل ولا تعطيل، وبلا تشبيه وتمثيل.

والمخالف في هذا الأصل فريقان:

١- الجهميَّة: ينفون الأسماء والصفات جميعًا.

٢- المعتزلة: فإنهم ينفون جميع الصفات، ويثبتون الأسماء والأحكام، فيقولون: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وحيٌّ بلا حياة... إلخ.

وهذا القول في غاية الفساد؛ فإن إثبات موصوف بلا صفة، وإثبات ما للصفة للذات المجرَّدة محالٌ في العقل؛ كما هو باطلٌ في الشرع.

أما الأشعرية ومَن تبعهم؛ فإنهم يوافقون أهل السنة في إثبات سبع صفات يسمونها صفات المعاني، ويدَّعون ثبوتها بالعقل، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، و الإرادة، والسمع، والبصر، والكلام[(١)].

ولكنهم وافقوا المعتزلة في نفي ما عدا هذه السبع من الصفات الخبرية التي صحَّ بها الخبر.

والكل محجوجون بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضَّلة على الإثبات العام.

---

(١) وقد جمعها الشاعر بقوله:

حَـــيٌّ مُريـــدٌ قـــادرٌ عـــلاّمُ لـــه الـــسَّمْعُ والبـــصرُ والكـــلامُ

ولم يثبتوا هذه السبع كلها، كما يثبتها أهلُ السنة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، فقالوا في (إرادة الله تعالى) أنها قديمة أزلية، لا تتكرر. انظر ص(٩١) مع الحاشية.

وقال بعضهم في صفتي (السمع والبصر)، علمه بالمسموعات والمبصرات، كما سبق في كلام الشارح ص(٩٠) والحامل لهم على هذا قولهم بأن (السمع والبصر) متعلقان بجميع الموجودات. فيلزم من هذا، اندراجهما في صفة العلم، وإذا أردت المزيد؛ فارجع إلى كتاب «منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله» لخالد بن عبد اللطيف بن محمد نور. (٢/ ٥١٠-٥١٧).

وقالوا في صفة (الكلام) بأنه معنىً واحد قائم بذات الرب قديم أزلي، بلا صوت ولا حرف، وهم يتفقون مع المعتزلة بأن هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عن كلام الله، أي: أنه مخلوق. انظر ما سبق في كلام الشارح ص(١٩٩) و«مختصر الصواعق» (٢/ ٤٢٦) وغيرها.

(فَصْلٌ: ثُمَّ [فِي][(١)] سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، [فَالسُّنَّةُ][(١)] تُفَسِّرُ القُرآنَ، وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ [عَزَّ وَجَلَّ][(١)] مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ؛ وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ).

/ ش/ قوله: (**ثم في سنة رسول الله**) عطفٌ على قوله فيما تقدَّم: (**وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص... إلخ**)؛ يعني: ودخل فيها ما وصف به الرسول ﷺ ربَّه فيما وردت به السنة الصحيحة.

والسنَّة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه، والتَّعويل عليه بعد كتاب الله عز وجل؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[النساء: ١١٣].

والمراد بالحكمة: السنة.

وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[البقرة: ١٢٩].

وقال آمرًا لنساء نبيِّه: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب: ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧].

وقال صلواتُ الله وسلامُهُ عليهِ وآلـه: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَـهُ مَعَهُ**»[(٢)].

---

(١) زيادة من (م).

(٢) حسن رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣١) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٨٣) رقم: (٦٦٩، ٦٧٠)، ومسند الشاميين (١٠٦١)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٤٩) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» رقم: (٢٦٣)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ١٤٩ - ١٥٠) من طريق حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرشي، عن المقداد بن معد يكرب الكندي مرفوعًا، فذكره.

رجاله ثقات، إلا عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرشي، قال فيه ابن القطان: مجهول حال. اهـ

لكن قد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال العجلي: تابعي ثقة. -وهما مستاهلان- إلا أن العجلي أحسن حالًا من ابن حبان، وقد اختلف في صحبته، والصحيح أنه تابعي، وهو من مشايخ حريز بن عثمان، وقد قال أبو داود: مشايخ حريز كلهم ثقات، وهي قاعدة مخرومة؛ إذ قد=

وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل؛ فإن السنة توضيح للقرآن، وبيانٌ للمراد منه: تفصِّل مجملـه، وتقيِّد مطلقه، وتخصِّص عمومه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤].

وأهل البدع والأهواء بإزاء السنة الصحيحة فريقان:

١- فريقٌ لا يتورَّع عن ردها وإنكارها إذا وردت بما يخالف مذهبه؛ بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تفيد إلاَّ الظنَّ، والواجب في باب الاعتقاد اليقين، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة.

٢- وفريق يُثبتها ويعتقد بصحة النقل، ولكنه يشتغل بتأويلها؛ كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب، حتى يخرِجَها عن معانيها الظاهرة إلى ما يريده من معانٍ بالإلحاد والتحريف، وهؤلاء هم متأخِّرو الأشعرية، وأكثرهم توسُّعًا في هذا الباب الغزالي، والرَّازي.

قوله: (**وما وصف الرسول به**...) إلخ؛ يعني: أنه كما وجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ؛ كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم الخلق بربه وبما يجب لـه، وهو رسولـه الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآلـه.

= وجد منهم من ليس كذلك، وهو من رجال النسائي وأبي داود، فبمجموع هذه القرائن يُحَسَّن حديثه. والله أعلم.

وأما الحافظ فقد قال في «التقريب»: ثقة.

ثم رأينا الدارقطني وثقه كما في سؤلات أبي عبدالرحمن السلمي رقم(٣٩٨)، فالحديث صحيح، والحمد لله.

قوله: (**كذلك**)؛ أي: إيمانًا مثل ذلك الإيمان، خاليًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل بل إثبات لها على الوجه اللائق بعظمة الرب جلّ شأنه.

(**[فَمِنْ ذَلِكَ]**[(١)]: **مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا [إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ]**[(٢)] **حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي [فَأَسْتَجِيبَ]**[(٣)] **لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**[(٤)]).

/ ش/ قوله: (**فمن ذلك مثل قوله ﷺ ...**) **إلخ**؛ الكلام على هذا الحديث من جهتين:

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) في (أ): كل ليلة إلى السماء الدنيا.

(٣) في (ب): أستجيب.

(٤) حديث النزول، رواه البخاري برقم: (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨) وأبو داود (١٣١٥)، (٤٧٣٣)، والترمذي (٣٤٩٨) وابن ماجه (١٣٦٦) وغيرهم.

وأخرجه الترمذي (٤٤٦) بلفظ «**ينزل الله إلى السماء حين يمضي ثلث الليل الأول...**» ثم قال عقبه: وقد روى هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، وروى عنه أنه قال: «**ينزل الله عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر**» وهو أصح الروايات. اهـ

وقد أطال الحافظ في الاستدلال على ما رجحه الترمذي في «الفتح» (٣/ ٣١) ط. س، وقال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوي» (٥/ ٤٧٠) والنزول المذكور في الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام الذي اتفق عليه الشيخان: البخاري ومسلم، واتفق علماء الحديث على صحته هو: «**إذا بقي ثلث الليل الآخر**»، وأما رواية النصف والثلثين، فانفرد بها مسلم في بعض طرقه، وقد قال الترمذي: إنَّ أصح الروايات عن أبي هريرة: «**إذا بقي ثلث الليل الآخر**» وقد رُوي عن النبي ﷺ، في رواية جماعة كثيرة من الصحابة، كما ذكرنا قبل هذا؛ فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث، والذي لا شك فيه إذا بقي ثلث الليل الآخر.

فإن كان النبي ﷺ قد ذكر (النزول) أيضًا إذا مضى ثلث الليل الأول، وإذا انتصف الليل؛ فقوله حق، وهو الصادق المصدوق؛ ويكون النزول أنواعًا ثلاثة: الأول: إذا مضى ثلث الليل الأول، ثم إذا انتصف وهو أبلغ، ثم إذا بقي ثلث الليل، وهو أبلغ الأنواع الثلاثة. اهـ

الأولى: صحَّته من جهة النقل؛ وقد ذكر المؤلِّف رحمه الله أنه متَّفق عليه. ويقول الذهبي في كتابه «العلو للعليِّ الغفار»: (إن أحاديث النزول متواترة، تفيد القطع).

وعلى هذا؛ فلا مجال لإنكار أو جحود.

الثانية: ما يفيده هذا الحديث؛ وهو إخباره ﷺ بنزول الربِّ تبارك وتعالى كل ليلة... إلخ.

ومعنى هذا أن النزول صفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو لا يماثل نزول الخلق؛ كما أن استواءه لا يماثل استواء الخلق.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في تفسير سورة الإخلاص: (فالربُّ سبحانه إذا وصفه رسولـه بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو[1] عشية عرفة إلى

---

(١) أخرجه مسلم (٩/ ١١٧) بشرح النووي، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء**».

وقد جاء بلفظ النزول، من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا: «**إذا كان يوم عرفة إنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا، ضاحين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم...**». رواه ابن مندة في «التوحيد» وأبو يعلى، والبزار، وابن حبان، وغيرهم، وفي سنده عنعنة أبي الزبير، كما في «الضعيفة» للشيخ الألباني رحمه الله (٦٧٩)، ولكن للحديث شواهد يحسن بها.

الأول: حديث عبد الله بن عمر، أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٥/ ٢٠٥- ٢٠٧) رقم: (١٨٨٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٩٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» (١٠٨٢) من طريق يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي، حدثني عبيدة بن الأسود، عن القاسم بن الوليد عن سنان بن الحارث بن مصرِّف، عن طلحة بن مصرِّف، عن مجاهد، عن ابن عمر مرفوعًا، فذكر نحوه.

والأرحبي صدوق، ربما أخطأ كما في «التقريب» وعبيدة بن القاسم، قال فيه أبو حاتم: ما بحديثه بأس، كما في «الجرح والتعديل» وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يعتبر حديثه، إذا روى بيَّن السماع في روايته، وكان فوقه ودونه ثقات. =

الحجاج، وأنه كلَّم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنه

= وسنان بن الحارث مجهول حال، كما يظهر من ترجمته من «الجرح والتعديل» وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يروي المقاطيع، وبقية رجاله ثقات.

وقال البزار عقب الحديث: قد رُوي هذا الحديث من وجوه ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق، وحكم على هذا الإسناد بالحسن البيهقي، ولا يبلغ ذلك لما تقدم.

ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٣٠) ومن طريقه الطبراني (١٢/ ٤٢٥) رقم: (١٣٥٦٦)، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٩٣-٢٩٤) من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه، عن ابن عمر، وعبد الوهاب بن مجاهد كذبه الثوري، وقال الحاكم: روى أحاديث موضوعة، وضعفه غير واحد، كما في «تهذيب التهذيب» وقال وكيع: كانوا يقولون: إنه لم يسمع من أبيه وعزاه صاحب «كنز العمال» (١٢١٠٣) إلى أبي الشيخ في «الثواب».

الثاني: حديث أم سلمة، أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٥٠) (٧٦٧)، فقال أخبرنا على بن محمد بن عمر، أنبأ عبد الرحمن بن أبي حاتم، أخبرنا العباس بن يزيد، أخبرنا مروان بن إسحاق، أخبرنا محمد بن أبي إسماعيل عن خيثمة بن عبد الرحمن، عن أم سلمة مرفوعًا، فذكره. وسنده ضعيف.

خيثمة بن عبد الرحمن ثقة، وكان يرسل، وما ندري أسمع من أم سلمة أم لا، ولم يذكر المزي ولا ابن حجر أنه روى عن أم سلمة.

ومحمد بن أبي إسماعيل ثقة، ومروان بن إسحاق قال المحقق: لم أجده.

والعباس بن يزيد في «التقريب» صدوق يخطئ. وصحح الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٧٤).

الثالث: أثر أم سلمة وهو صحيح. رواه الدارقطني في «النزول» رقم: (٩٦) واللالكائي (٧٦٨) من طريق عقبة بن خالد، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أم سلمة قالت: نعم اليوم يوم ينزل الله إلى سماء الدنيا، قيل: يا أم المؤمنين، وأي يوم هو؟ قالت: يوم عرفة.

وتابع عقبة بن خالد شجاع بن الوليد عند الدارقطني في «النزول» (٩٥) وأخرجه عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٣٥)، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة وعلى بن عثمان اللاحقي، قالا: ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن عاصم بن أبي النجود، قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها، فذكره.

حديث أنس أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١٠٨٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٩٤-٢٩٥) من طريق إسماعيل بن رافع عن أنس، وإسماعيل بن رافع ضعيف جدًا، ولم يدرك أنسًا.

وعزاه صاحب «كنز العمال» (١٢١٠٣) إلى ابن عساكر، وعزاه السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢/ ٢١١) إلى أبي نعيم.

استوى إلى السماء وهي دخانٌ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يُقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر).

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عز وجل، على الكيفية التي يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيِّفون ولا يمثِّلون ولا ينفون ولا يعطِّلون، ويقولون: إن الرسول أخبرنا أنه ينزل، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنه فعَّال لما يريد، وأنه على كل شيء قدير.

ولهذا ترى خواصَّ المؤمنين يتعرَّضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه، فيقومون لعبوديته؛ خاضعين خاشعين، داعين متضرِّعين، يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسولـه ﷺ.

(٨- أ) أ (وَقَوْلُهُ ﷺ:/ «**لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ [التَّائِبِ مِنْ][1] أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ**». **الحديث متفق عليه**).

/ ش/ قوله: (**لله أَشَدُّ فَرَحًا**...) إلخ؛ تتمة هذا الحديث؛ كما في البخاري وغيره:

«**لَلَّـهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَزَلَ عَنْهَا، فَنَامَ وَرَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَذَهَبَ فِي طَلَبِهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا، حَتَّى أَدْرَكَهُ المَوْتُ مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ:**

---

(١) زيادة من المطبوع.

وَاللهِ لَأَرْجِعَنَّ فَلَأَمُوتَنَّ حَيْثُ كَانَ رَحْلِي، فَرَجَعَ، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ»[1].

وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عزّ وجلّ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أنه صفة حقيقة لله عزّ وجلّ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيَحْدُث لـه هذا المعنى المعبَّر عنه بالفرح عندما يُحدِثُ عبدُه التوبةَ والإنابةَ إليه، وهو مستلزمٌ لرضاه عن عبده التائب، وقبولـه توبته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشرٍ وبطرٍ؛ فالله عزَّ وجلَّ منزَّه عن ذلك كلـه، ففرحـهُ لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرَّضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكلُّ ذلك نفيٌ وتعطيلٌ لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوءُ ظنٍّ هؤلاء المعطِّلة بربهم، حيث توهَّموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم.

---

(١) رواه البخاري برقم: (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤) عن عبد الله بن مسعود، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرضٍ دَوِّية مَهْلكة. معه راحلته عليها طعامه وشرابه. فنام؛ فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت؛ فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته، وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشدُّ فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**» وهذا سياق مسلم.

ومعنى قوله: (دوية) أي الأرض القفر، والفلاة الخالية، (ومهلكة) أي: موضع خوف الهلاك.

وأما قوله: «**اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»، فهو قطعة من حديث أنس، رواه مسلم برقم: (٢٧٤٧) ولو تعمد هذا القول لكفر.

([وَقَوْلُهُ: ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)]](٢)).

/ ش/ قوله: (**يضحك الله إلى رجلين**...) إلخ؛ يثبت أهل السنة والجماعة الضحك لله عز وجل - كما أفاده هذا الحديث وغيره - على المعنى الذي يليق به سبحانه، والذي لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفُّهم الفرح، أو يستفزُّهم الطرب؛ بل هو معنى يحدث في ذاته عند وجود مقتضيه، وإنما يحدث بمشيئته وحكمته؛ فإن الضحك إنما ينشأ في المخلوق عند إدراكه لأمرٍ عجيبٍ يخرج عن نظائره، وهذه الحالة المذكورة في هذا الحديث كذلك؛ فإن تسليط الكافر على قتل المسلم مَدعاةٌ في بادئ الرأي لسخط الله على هذا الكافر، وخذلانه، ومعاقبته في الدنيا والآخرة، فإذا منَّ الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة، وهداه للدخول في الإسلام، وقاتل في سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنة؛ كان ذلك من الأمور العجيبة حقًّا.

وهذا من كمال رحمته وإحسانه وسعة فضلـه على عباده سبحانه؛ فإن المسلم يقاتل في سبيل الله، ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يمنُّ على ذلك القاتل، فيهديه للإسلام والاستشهاد في سبيله، فيدخلان الجنة جميعًا.

وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا أو القبول أو أنّ الشيء حلَّ عنده بمحلٍّ ما يضحك منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك؛ فهو نفيٌ لما أثبته رسول الله ﷺ لربه، فلا يُلْتَفَتُ إليه.

---

(١) البخاري رقم: (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة، وتمامه: «**يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**».

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(وَقَوْلُهُ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ/ وَقُرْبِ [خَيْرِهِ][(١)]، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ آزِلِينَ (٥- أ) ب [قَنِطِينَ][(٢)]، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»[(٣)]. حَدِيثٌ حَسَنٌ).

---

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): غِيَرِه.

(٢) سقط من (أ).

(٣) ضعيف، رواه أبو داود الطيالسي (١٠٩٢)، وابن ماجة (١٨١)، وأحمد (٤/ ١١، ١٢)، والآجري في «الشريعة» ص(٢٧٩-٢٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٧) رقم: (٤٦٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٨٧)، من طريق يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، ويقال عدس، عن عمَّه أبي رزين، مرفوعًا، بلفظ: «**ضحك ربنا من قنوط عبادِه، وقرب غيره**» قال قلت: يا رسول الله! أو يضحك الرَّب؟ قال: «**نعم**» قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا. هكذا هو في جميع المصادر، ولعل شيخ الإسلام كتبه من حفظه، والله أعلم.

وكيع بن حدس، مجهول تفرد يعلى بالرواية عنه، وله طريق أخرى، عبد الرحمن بن عياش السمعي الأنصاري، عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب، عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر، وهو أبو رزين، في حديث طويل، وفيه أنه سأل النبي ﷺ، عن أمور الغيب، وكان من جوابه: «**وَعِلْمُ يَوْمِ الغَيْثِ يُشرِفُ عليكم آزلين، مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أَنَّ غِيَرَكُمْ، إلى قُرْبٍ**».

قال لقيط: (لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا...). أخرجه أحمد (٤/ ١٣-١٤)، والحاكم (٤/ ٥٦٠-٥٦٤).

وهذا الإسناد مسلسل بالمجاهيل، فعبد الرحمن بن عياش، ودلهم بن الأسود، وأبوه الأسود مجهولون.

ورواه الطبراني (١٩/ ٢١١) رقم: (٤٧٧) من طريق عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دلهم بن الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ... قال لقيط فأتينا رسول الله... وهذا مرسل، فإن عاصم بن لقيط، حكى خروج لقيط بن عامر وإتيانه النبي ﷺ، إلخ. وليس فيه أنه حدثه بذلك، أو تحمل عنه ذلك.

وعاصم بن لقيط هو ابن عامر بن المنتفق مجهول، وبقية رجاله مجاهيل، كما في الإسناد الذي قبله.

ورواه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ١٤٣) فقال رحمه الله: أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهاني، حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبد الله بن مصعب، حدثنا عبد الجبار، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا محمد بن أبي ذئب المدني، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمحي، عن أبي وجرة يزيد بن عبيد السلمي مرسلًا.

شيخ البيهقي ثقة، زاهد ورع، كما في «منتخب السياق» ص(٨٩-٩٠)، وأبو محمد بن حيان هو أبو الشيخ ترجمته في «السير» (١٦/ ٢٧٦).

وما أرى الحديث يرتقي إلى درجة الاحتجاج بمجموع ما تقدم، والله أعلم.

/ ش/ قوله: (عَجِبَ رَبُّنا...) إلخ؛ هذا الحديث يثبت لله عز وجل صفة العَجَب، وفي معناه قوله عليه الصلاة والسلام:

«عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَ لَـهُ صَبْوَةٌ»[١].

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾[٢]؛ بضم التاء على أنَّها ضميرٌ للرَّبِّ جلّ شأنه.

---

(١) ضعيف رواه أحمد (٤/ ١٥١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧١) وأبو يعلى (١٧٤٩) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٠٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٧٦) وغيرهم، من طرق عن ابن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر مرفوعًا، فذكره.

ابن لهيعة ضعيف، ومع هذا فقد رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٤٩)، فقال: أخبرنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث عن أبي عشانة، عن عقبة موقوفًا.

وسنده ضعيف من أجل رشدين بن سعد.

وقد سئل أبو حاتم، كما في «العلل» لابنه (٢/ ١١٦) عن حديث ابن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة مرفوعًا؛ فذكره فقال: إنما هو موقوف.

وللحديث شاهد أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٦٩) ترجمة عبد الله بن محمد بن مزيد الأصبهاني، فقال: سكن البصرة، روى عن علي بن محمد الطنافسي.

حدَّث أحمد بن محمد بن سليمان المالكي البصري، ثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الخزاعي السَّراج الأصبهاني، ثنا عبد الله بن محمد بن مزيد الأصبهاني، ثنا الطنافسي، ثنا وكيع عن سفيان عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يعجب ربكم عز وجل من شاب ليست له صبوة.

والحكم على هذا الحديث، متوقف على معرفة شيخ أبي نعيم وشيخ شيخه فإني لم أقف على ترجمتهما، وبقية الرجال معروفون، أبو صالح إلى الطنافسي ثقات أجلاء.

وقوله في الحديث: «**ليست له صبوة**» أي: ميل إلى الهوى، بحسن اعتياده للخير، وقوة عزيمته في البعد عن الشر، وهذا عزيزٌ نادر، فلذلك قُرِن في التعجب. اهـ

من «فيض القدير» (٢/ ٢٦٣).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٣٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٩١) بسند صحيح.

وهي قراءة حمزة، والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بفتح التاء. اهـ من «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري.

=

وليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خفاء في الأسباب أو جهل بحقائق الأمور؛ كما هو الحال في عجب المخلوقين؛ بل هو معنى يحدث لـه سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحقّ أن يتعجب منه.

وهذا العَجَب الذي وصف به الرسولُ ربَّه هنا من آثار رحمته، وهو من كمالـه تعالى، فإذا تأخَّر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدَّة حاجتهم، واستولى عليهم اليأس والقنوط، وصار نظرهم قاصرًا على الأسباب الظاهرة، وحسبوا أن لا يكون وراءها فرجٌ من القريب المجيب؛ فيعجب الله منهم.

= ويكون المعنى على قراءة الضم: (إنَّ الله تعجب من اتخاذ الكفار له شريكًا وتكذيبهم بتنزيله وهم يسخرون).

وعلى قراءة الفتح: إنَّ النبي ﷺ: تعجب من ذلك. فالقراءتان صحيحتان، والتعجب كان من الله ومن رسوله ﷺ.

ومما يستدل به في إثبات صفة العجب لله عز وجل، حديث أبي هريرة في البخاري (٣٠١٠) أن النبي ﷺ، قال: «**عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**».

قال الحافظ في «الفتح»: المراد يكون السلاسل في أعناقهم، مقيد بحالة الدنيا، فلا مانع من حمله على حقيقته، والتقدير يدخلون الجنة، وكانوا قبل أن يسلموا في السلاسل، وسيأتي في تفسير آل عمران من وجه آخر، عن أبي هريرة في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠] قال: (خير الناس للناس، يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام) قال ابن الجوزي: معناه أنهم اسروا وقيدوا، فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعًا، فدخلوا الجنة.

وحديث أبي هريرة في البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) في قصة الرجل الأنصاري، وامرأته مع ضيف رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد عجب الله عز وجل -أو ضحك- من فلان وفلانة**» هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

وحديث عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**يعجب ربك عز وجل من راعي غنم في رأس شظية بجبل يؤذن للصلاة ويصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم للصلاة، يخاف مني. قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة**»، رواه أبو داود والنسائي، وابن حبان وغيرهم.

وهو صحيح، وقد ذكره شيخنا في «الصحيح المسند» (٢/ ٨١) والشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤١) -رحمهما الله تعالى- (الشظية: قطعة من رأس الجبل مرتفعة).

وهذا محلٌّ عجيبٌ حقًّا؛ إذ كيف يقنطون ورحمته وسعت كلَّ شيء، والأسباب لحصولها قد توفَّرت؟! فإن حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، وكذا الدعاء بحصول الغيث والرجاء في الله من أسبابها، وقد جرت عادته سبحانه في خلقه أن الفرج مع الكرب، وأن اليسر مع العسر، وأن الشدة لا تدوم، فإذا انضمَّ إلى ذلك قوّة التجاء وطمع في فضل الله، وتضرع إليه ودعاء؛ فتح اللهم عليهم من خزائن رحمته ما لا يخطر على البال.

والقُنوط مصدر (قَنَط)، وهو اليأس من رحمة الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[الحجر: ٥٦].

قوله: (**وقُرب خيره**)؛ أي: فضلـه ورحمته. وقد رُوِيَ: «**غِيَرِه**». والغِيَر: اسم من قولك: غَيَّرَ الشيء فتغيَّر.

وفي حديث الاستسقاء: «**مَنْ يَكْفُرْ بِالله يَلْقَ الغِيَر**»[(١)]؛ أي: تغيّر الحال، وانتقالها من الصلاح إلى الفساد.

قوله: (**آزلين قنطين**): حالان من الضمير المجرور في (**إليكم**).

---

(١) حديث ضعيف جدًا، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٢٤٣)، وفي «الدعاء» (٣/ ١٧٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٤١) من طريق مسلم الملائي، عن أنس، فذكره بطوله، وخلاصتُهُ أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ؛ فأنشده أبياتًا يذكر فيها الحال التي وصلوا إليها، وحاجتهم إلى السقيا، فقام النبي ﷺ واستسقى؛ فأنزل الله المطر، فقام علي وأنشد أبياتًا لأبي طالب، ثم قام رجل من كنانة، وأنشد أبياتًا، وفي آخرها:

فمن يشكر الله يلق المزيد ... ومن يكفر الله يلق الغير

فقال رسول الله ﷺ: «**إن يكُ شاعرٌ يُحسن، فقد أحسنت**» ومسلم الملائي: ضعيف جدًا.
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٩١) بعد أن عزاه إلى البيهقي في «الدلائل» وهذا السياق فيه غرابة.

و(**آزِلين**): جمع آزِل، اسم فاعل من الأَزْل؛ بمعنى الشِّدة والضيق. يقال: أَزِلَ الرجل يأزَل أَزَلًا، من باب فرح؛ أي: صار في ضيق وجدب.

(**وَقَوْلُهُ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا [وَهِيَ][(١)] [تَقُولُ][(٢)]: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا [رِجْلَهُ][(٣)] [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٤)]**).

/ ش/ قوله: (**لا تزال جهنَّم**...) إلخ؛ في هذا الحديث إثبات الرجل والقدَم لله عز وجل، وهذه الصفة تُجرى مجرى بقيَّة الصفات، فتُثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه.

والحكمة من وضع رجلـه سبحانه في النار أنه قد وعد أن يملأها؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود: ١١٩].

ولما كان مقتضى رحمته وعدلـه أن لا يعذِّبَ أحدًا بغير ذنبٍ، وكانت النار في غاية العمق والسعة؛ حقَّق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه، فحينئذ يتلاقى طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنة؛ فإنه يبقى فيها فضلٌ عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشئ الله لها خلقًا آخرين؛ كما ثبت بذلك الحديث[(٥)].

---

(١) زيادة من (م).

(٢) في (أ): فتقول، وفي (ب): وتقول.

(٣) سقط من (أ)، و(ب).

(٤) البخاري (٤٨٤٩) ومسلم تحت رقم: (٢٨٤٦) عن أبي هريرة وفيه: « **حتى يضع رجله**» وفي بعض طرقه «**قدمه**». وجاء عن أنس، عند البخاري (٤٨٤٨) ومسلم (٢٨٤٨) بلفظ: «**حتى يضع قدمه**» وجاء عن غيرهما خارج الصحيح، كما في «الفتح» (٨/ ٥٩٥) ومعنى قط قط: أي حسبي يكفيني.

(٥) الذي رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم تحت رقم: (٢٨٤٦) عن أبي هريرة، وجاء عن أنس عند البخاري برقم: (٧٣٨٤) ومسلم تحت رقم: (٢٨٤٨).

(وَقَوْلُهُ: «يَقُولُ [الله][١] [تَعَالَى][٢]: يَا [ابن][٣] آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ». مُتَّفقٌ عَلَيْهِ[٤] [واللفظ للبخاري][٥]. {وَقَوْلُهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ [حاجب ولا][٥] تَرْجُمَانٌ»[٦]}.[٧][متفق عليه][٨]).

/ ش/ قوله: (**يقول تعالى: يا آدم...**) إلخ؛ في هذين الحديثين إثباتُ القول والنداء والتكليم لله عز وجل، وقد سبق أن بيَّنَّا مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وأنهم يؤمنون بأن هذه صفات أفعال لـه سبحانه تابعة لمشيئته وحكمته، فهو قال، ويقول، ونادى، وينادي، وكلَّم، ويكلِّم، وأن قوله ونداءه وتكليمه إنما يكون بحروف وأصوات يسمعها من يناديه ويكلِّمه، وفي هذا ردٌّ على الأشاعرة في قولهم: إن كلامه قديم، وإنه بلا حرفٍ ولا صوتٍ.

---

(١) هكذا في (أ)، و(ب)، و(م).

(٢) غير موجودة في (أ)، و(ب).

(٣) زيادة [ابن] من (أ).

(٤) البخاري رقم: (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، فذكره.

وتمامه: قال: «**يا ربِّ وما بعث النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذٍ تضع الحاملُ حملها، ويشيب الوليدُ،** ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:٢]» فشق ذلك على الناس، حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: «**من يأجوج ومأجوج، تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة**» فكبرنا، ثم قال: «**ثلث أهل الجنة**» فكبرنا، ثم قال: «**شطر أهل الجنة فكبرنا**».

ولم يذكر مسلم والبخاري في الموضع الأول والثالث: «**فينادي بصوت**».

(٥) زيادة من (أ).

(٦) تقدم ص(١٥١).

(٧) ما بين القوسين المتعرجين سقط من (ب).

(٨) زيادة من (أ).

وقد دلَّ الحديث الثاني على أنه سبحانه سيكلِّم جميع عباده بلا واسطة، وهذا تكليمٌ عامٌّ؛ لأنه تكليمُ محاسبةٍ، فهو يشملُ المؤمنَ والكافرَ والبر والفاجر، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٧٧]؛ لأن المنفيَّ هنا هو التكليم بما يسرُّ المكلَّم، وهو تكليمٌ خاصٌّ، ويقابلـه تكليمه سبحانه لأهل الجنة تكليمَ محبة ورضوان وإحسان.

(وَقَوْلُهُ [ﷺ][(١)] فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجِعِ؛ [فَيَبْرَأَ][(١)]»، [حَدِيثٌ حَسَنٌ][(٢)]، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ [وَغَيرُهُ][(٢)] .[(٣)]

---

(١) زيادة من (م).

(٢) سقط من (ب).

(٣) ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، واللالكائي (٦٤٨)، وابن عدي (٣/ ١٠٥٤) من طريق يزيد بن خالد بن موهب.

وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٨)، واللالكائي (٦٤٧) والحاكم (٤/ ٢١٨-٢١٩) من طريق ابن أبي مريم، وهو سعيد بن الحكم بن أبي مريم، ولم يذكر الحاكم أبا الدرداء من هذا الطريق، بل جعله من مسند فضالة.

وأخرجه الحاكم (١/ ٣٤٣-٣٤٤) من طريق يحيى بن بكير، وأخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (٩/ ٥٣٥) من طريق عبد الله بن صالح، وابن عدي (٣/ ١٠٥٤) من طريق خالد بن القاسم، خمستهم عن الليث، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكى منكم، شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل...**» فذكره وهذا لفظ أبي داود.

وقد أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٧)، وابن عدي (٣/ ١٠٥٤) من طريق ابن وهب، أخبرني الليث وذكر آخر قبله. هكذا قال النسائي، وقد جاء مبينًا عند ابن عدي، أنه عبدالله بن لهيعة، عن زيادة بن محمد عن القرظي، عن أبي الدرداء، مرفوعًا، فذكره، وليس فيه (فضالة بن عبيد).

وزيادة بن محمد، وفي بعض المصادر زياد بن محمد، قال فيه البخاري والنسائي، وأبو حاتم منكر الحديث، وقال ابن عدي: لا أعلم له إلا حديثين، أو ثلاثة، ومقدار ما لا يتابع عليه. اهـ «تهذيب الكمال». =

وَقَوْلُهُ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». [حَدِيثٌ صَحِيحٌ[(١)]][(٢)].

وَقَوْلُهُ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ [المَاءِ][(٣)]، وَاللهُ فَوْقَ [العَرْشِ][(٤)]، وَ[هُوَ][(٥)] يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» [حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ][(٦)][(٧)].

= وقد جاء عن فضالة من وجه آخر عند أحمد (٦/ ١٢) فقال رحمه الله: حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا أبو بكر -يعني ابن أبي مريم- عن الأشياخ عن فضالة، قال علمني النبي ﷺ رقية، وأمرني أن أرقي بها من بدا لي، قال لي: قل: فذكر. وفي آخره: «**وقل ذلك ثلاثًا، ثم تعوذ بالمعوذتين ثلاث مرات**».

وأبو بكر بن أبي مريم، ضعفه غير واحد بل قال أحمد: ليس بشيء. وقال أبو داود: سُرق لأبي بكر حُلي فأنكر عقله. اهـ «الميزان»، ومشايخه مبهمون.

وجاء عن رجل مبهم من أصحاب النبي ﷺ، رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» ص(٥٦٥) من طريق طلق بن حبيب، وهو صدوق.

وقد اختلف عليه فيه، فرواه منصور عنه، عن أبيه حبيب العنزي أنه كان به الأُسْر- وهو احتباس البول- فانطلق إلى المدينة والشام يطلب من يداويه، فلقي رجلًا فقال: ألا أعلمك كلمات، سمعتهن من رسول الله ﷺ؟ فذكره.

وحبيب العنزي مجهول.

ورواه يونس بن خباب عنه عن رجل من أهل الشام، عن أبيه أن رجلًا أتى النبي ﷺ، كان به الأُسْر فأمره النبي ﷺ أن يقول: فذكره.

ومنصور هو ابن المعتمر، وهو ثقة ثبت، فروايته هي المعروفة، ورواية يونس بن خباب تعتبر منكرة، لضعفه، والحاصل أن الحديث، لا يرتقى بمجموع ما تقدم إلى درجة الاحتجاج، لما سبق من بيان، والله أعلم.

(١) رواه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) وهو قطعة من حديث أبي سعيد.

(٢) في (أ): متفق عليه، وفي (ب): رواه البخاري وغيره.

(٣) في (أ)، و(ب): ذلك.

(٤) في (أ): عرشه.

(٥) [هو] سقطت من (أ).

(٦) هكذا في (م)، وأما في (أ): [رواه أبو داود والترمذي وابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي شرط فيه الصحة]، وفي (ب): [رواه أبو داود والترمذي وغيرهما].

(٧) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٢١)، وفي «الرد على بشر المريسي» (١/ ٤٢٢، ٤٧١، ٥١٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٨-٦٨٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم: (٨٥١) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٠٢) رقم: (٨٩٨٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) من طرق عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن =

= عبد الله بن مسعود قال: (ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه).

وهذا إسناد حسن، وهذا لا يقال من قبيل الاجتهاد والرأي، فله حكم الرفع، والله أعلم.

ورواه سنيد، كما في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) فقال: حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، به.

ورواه الطبراني (٨٩٨٦) من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن المسيب بن رافع، عن وائل بن ربيعة، عن ابن مسعود. وما تقدم هو الصحيح.

ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» رقم: (٥٩٤) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم: (٢٠٣)، (٥٦٥) من طريق المسعودي عن عاصم به، وفي أوله: (ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام) وفي الموضع الثاني من «العظمة» قرن مع زر بن حبيش أبا وائل.

وهذه الزيادات في السند والمتن، من أغلاط المسعودي، فقد كان يغلط، فيما يروي عن عاصم، وقال بعضهم روايته عن عاصم ليس بشيء. اهـ

ورواه اللالكائي (٦٥٩)، وعبد الله بن أحمد بن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم: (٧٥) من طريق الحسن بن أبي جعفر، عن عاصم، عن زر عن عبد الله، والحسن بن أبي جعفر ضعيف.

وجاء عن العباس بن عبد المطلب، رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجة (١٩٣)، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص(١٩)، وفي «الرد على المريسي» وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٤) وغيرهم، من طريق سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «**ما تسمون هذه؟**» قالوا: السحاب، قال: «**والمزن؟**» قالوا: والمزن، قال: «**والعنان؟**» قالوا: والعنان، قال أبو داود: لم أتقن العنان جيدًا، قال: «**هل تدرون ما بُعْدُ ما بين السماء والأرض؟**» قالوا: لا ندري، قال: «**إنَّ بعد ما بينهما إما واحدة، أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك**» حتى عد سبع سموات، «**ثم فوق السابعة، بحربين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك، ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم، مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**».

ضعيف، سماك بن حرب صدوق، تغير بآخره، كان ربما لقن، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة، كما في «تهذيب التهذيب» وقد تفرد بالرواية عن عبد الله بن عميرة، كما قال مسلم في «الوحدان» ص(١٤٠)، وعبد الله بن عميرة مجهول، ولا يعرف له سماع من الأحنف، قاله البخاري.

والأوعال جمع وعل، والوعل تيس الجبل، والمراد بالأوعال في الحديث ملائكة على صورة الأوعال.

وَقَوْلُهُ [ﷺ][(١)] لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٢)]، [وابن ماجه وابن جرير][(٣)]).

/ ش/ قوله: (**ربّنا الله الذي في السّماء...**) إلخ؛ الحديث الأول [والثاني] صريحٌ في علوِّه تعالى وفوقيّته؛ فهو كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك: ١٦].

وقد سبق أن قلنا: إن هذه النصوص ليس المراد منها أن السماء ظرفٌ حاوٍ لـه سبحانه؛ بل (في) إما أن تكون بمعنى (على)؛ كما قالـه كثير من أهل العلم واللغة، و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرةٍ؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه: ٧١]، وإما أن يكون المراد من السماء جهة العلو، وعلى الوجهين فهي نصٌّ في علوِّه تعالى على خلقه.

وفي حديث الرقية المذكور توسُّلٌ إلى الله عزّ وجلّ بالثناء عليه بربوبيَّته وإلاهيَّته وتقديس اسمه وعلوِّه على خلقه وعموم أمره الشرعي وأمره القدري، ثم توسلٌ إليه برحمته التي شملت أهل سماواته جميعًا أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا منها، ثم توسلٌ إليه بسؤال مغفرة الحُوب - وهو الذنب العظيم -، ثم الخطايا التي هي دونه، ثم توسلٌ إليه بربوبيته الخاصَّة للطَّيِّبين من عباده، وهم الأنبياء وأتباعهم، التي كان من آثارها أن غمرهم بنعم الدِّين والدُّنيا الظاهرة والباطنة.

فهذه الوسائل المتنوِّعة إلى الله لا يكاد يُرَدُّ دعاء مَن توسَّل بها، ولهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي هو شفاءُ الله الذي لا يدع مرضًا إلا أزاله، ولا تعلُّق فيه لغير الله.

---

(١) زيادة من (م).

(٢) رقم: (٥٣٧) وهو قطعة من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) زيادة من (أ).

فهل يفقه هذا عُبَّاد القبور من المتوسِّلين بالذوات والأشخاص والحق والجاه والحرمة ونحو ذلك؟!

وأما قوله: (**والعرش فوق الماء**...) إلخ؛ ففيه الجمع بين الإيمان بعلوِّه تعالى على عرشه، وبإحاطة[١] علمه بالموجودات كلها.

فسبحان مَن هو عليٌّ في دنوِّه، قريبٌ في علوِّه.

وأما الحديث الرابع؛ فقد تضمَّن شهادة الرسول ﷺ بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلوه تعالى على خلقه، فدلَّ ذلك على أن وصف العلوِّ من أعظم أوصاف الباري جل شأنه، حيث خصَّه بالسؤال عنه دون بقيَّة الأوصاف، ودلَّ أيضًا على أن الإيمان بعلوِّه المطلق من كل وجه هو من أعظم أصول الإيمان، فمَن أنكره؛ فقد حُرِم الإيمان الصحيح.

والعجب من هؤلاء الحمقى من المعطِّلة النفاة زعمهم أنهم أعلم بالله من رسوله، فينفون عنه الأين بعدما وقع هذا اللفظ بعينه من الرسول مرة سائلًا غيره - كما في هذا الحديث -، ومرة مجيبًا لمن سألـه بقوله: أين كان ربنا؟[٢]

(**وَقَوْلُهُ [ﷺ][٣]: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ»**[٤]. **حَدِيثٌ حَسَنٌ.**

---

(١) كذا في الأصل والصواب: (وبين الإيمان بإحاطة...). إسماعيل الأنصاري.

(٢) تقدم الكلام عليه ص(١٤١).

(٣) سقط من (م).

(٤) ضعيف، أخرجه الطبراني في «الكبير» وفي «الأوسط» (٨٧٩١)، وفي «مسند الشاميين» (٥٣٥)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤).

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٠٧). =

(٥- ب) ب وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ [فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ][(١)] فَلاَ يَبْصُقَنَّ/ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ [فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ][(٢)]، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ [وَالأَرْضِ][(٤)] وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ، أَعُوذُ

= كلهم من طريق نعيم بن حماد، حدثنا عثمان بن كثير بن دينار، عن محمد بن مهاجر، عن عروة بن رويم، عن عبد الرحمن بن غنم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

قال الطبراني عقبه: لم يرو هذا الحديث عن عروة بن رويم، إلا محمد بن مهاجر، تفرد به عثمان بن كثير.

وقال أبو نعيم: غريب، من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر. اهـ

سنده ضعيف، نعيم بن حماد هو الخزاعي ضعيف، وبقية رجاله ثقات، وعثمان بن كثير هو: عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي، من رجال التقريب، وعروة بن رويم كثير الإرسال، وقيل: إن حديثه عن عبد الرحمن بن غنم مرسل. كما في «تهذيب التهذيب».

(١) هكذا في (أ)، و(ب).

(٢) زيادة من (م).

(٣) البخاري رقم: (٤٠٥، ٤١٧، ومواضع أخرى) ومسلم (٥٥١) عن أنس مرفوعًا: «**إن أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يناجي ربه، -أو إنّ ربه بينه وبين القبلة- فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره، أو تحت قدمه**» ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه، ثم ردَّ بعضه على بعض فقال: «**أو يفعل هكذا**»، وفي مسلم: «**ولكن عن شماله تحت قدمه**»، بدون «**أو**».

وجاء عن جابر في مسلم (٣٠٠٨) في سياق حديث أبي اليسر الطويل.

وجاء عن ابن عمر في البخاري (٤٠٦) ومسلم (٥٤٧) بلفظ: «**إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَلَ وجهه، فإن الله قبل وجهه إذا صلى**».

وفي البخاري (٤١٦) عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة، فلا يبصق أمامه، فإنما يناجي الله، مادام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكًا، وليبصق عن يساره، أو تحت قدمه فيدفنها**».

(٤) زيادة من المطبوع.

بِكَ مِنْ شَرِّ [نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ][١] كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ/ فَوْقَكَ شَيْءٌ، (٨- ب) أ وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.[٢]

وَقَوْلُهُ [ﷺ][٣]: لَمَّا رَفَعَ [الصَّحَابَةُ][٤] أَصْوَاتَهُمْ [بِالذِّكْرِ][٥]: «[أَيُّهَا][٦] النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ [غَائِبًا][٧]، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا [بَصِيرًا][١] قَرِيبًا. [إِنَّ][٨] الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٩]).

/ ش/ قوله: (**أفضل الإيمان أن تعلم**...) إلخ؛ فيه[١٠] دلالة على أن أفضل الإيمان هو مقام الإحسان والمراقبة، وهو أن يعبد العبدُ ربَّه كأنَّه يراه ويشاهده،

---

(١) زيادة من المطبوع.

(٢) برقم: (٢٧١٣) قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن. ثم يقول: «**اللهم رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء، أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنَّا الدين، واغننا من الفقر**» وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وفي رواية، وقال: «**من شرِّ كل دابةٍ، أنت آخذٌ بناصيتها**».

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (أ)، و(ب)، و(م): أصحابه.

(٥) سقط من (ب).

(٦) في (ب): قال يا أيها.

(٧) في (ب): غائب.

(٨) في (ب): وإن.

(٩) سبق تخريجه ص(١٢٠).

(١٠) ليس في الأصل لفظ (فيه)، ولكن يقتضيه السياق. إسماعيل الأنصاري.

ويعلم أن الله معه حيث كان، فلا يتكلَّم ولا يفعل ولا يخوض في أمرٍ إلا والله رقيبٌ مطَّلع عليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس: ٦١].

ولا شكَّ أن هذه المعيَّة إذا استحضرها العبد في كل أحواله؛ فإنه يستحيي من الله عزَّ وجلَّ أن يراه حيث نهاه، أو أن يفتقده حيث أمره، فتكون عونًا لـه على اجتناب ما حرَّم الله، والمسارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهرًا وباطنًا، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقلُّ حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه.

قوله: (**إذا قام أحدكم إلى الصلاة**...) إلخ؛ دلَّ على أن الله عز وجل يكونُ قِبَلَ وَجهِ المُصلِّي.

قال شيخ الإسلام في «العقيدة الحموية».

(إن الحديث حقٌّ على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قِبَل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبُتُ للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر؛ لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قِبل وجهه). اهـ

قوله: (**اللهُمَّ ربَّ السموات**) إلخ؛ تضمَّن الحديث إثبات أسمائه تعالى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهي من الأسماء الحسنى، وقد فسرها النبيُّ ﷺ بما لا يدعُ مجالًا لقائلٍ، فهو أعلم الخلق جميعًا بأسماء ربه وبالمعاني التي تدلُّ عليها، فلا يصحُّ أن يُلْتَفَت إلى قول غيره أيًّا كان.

وفي الحديث أيضًا يعلِّمنا نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه وآلـه كيف نثني على ربِّنا عزّ وجلّ قبل السؤال، فهو يثني عليه بربوبيَّته العامة التي انتظمت كل شيء، ثم بربوبيَّتِه[١] الخاصة الممثَّلة في إنزالـه هذه الكتب الثلاثة تحمل الهدى والنور إلى عباده، ثم يعوذ ويعتصم به سبحانه من شر نفسه ومن شر كل ذي شر من خلقه، ثم يسألـه في آخر الحديث أن يقضي عنه دينه، وأن يغنيه من فقرٍ.

قوله: (**أيُّها النَّاس! اربعوا على أنفسكم**...) إلخ؛ أفاد هذا الحديث قربه سبحانه من عباده، وأنه ليس بحاجة إلى أن يرفعوا إليه أصواتهم؛ فإنه يعلم السرَّ والنَّجوى، وهذا القرب المذكور في الحديث قرب إحاطة، وعلم، وسمع، ورؤية، فلا ينافي علوَّه على خلقه.

(**قَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سترَوْنَ رَبَّكُمْ [يوم القيامة][٢] كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**[٣]).

/ ش/ هذا الحديث الصحيح المتواتر يشهد لما دلَّت عليه الآيات السابقة من رؤية المؤمنين لله عزّ وجلّ في الجنة، وتمتُّعهم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وهذه النصوص من الآيات والأحاديث تدلُّ على أمرين:

أولهما: علوُّه تعالى على خلقه؛ لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم.

---

(١) ليس في الحديث تعرض لذكر الربوبية الخاصة، وقد يكون في هذا شبهة للمعطلة بأن هذه الكتب الثلاثة مربوبة، أي: مخلوقة، والذي ينبغي أن يقال: ثم أنعم على عباده في إنزاله... اهـ محمد أمان.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) البخاري رقم: (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير بن عبد الله البجلي.

ثانيهما: أن أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم.

وقوله: (**كما ترون القمر ليلة البدر**)؛ المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ يعني: أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهي كونه بدرًا، ولا يحجبه سحاب، ولهذا قال بعد ذلك: (**لا تُضامون في رؤيته**)؛ روي بتشديد الميم من التَّضامِّ؛ بمعنى: التزاحم والتلاصق، والتاء يجوز فيها الضمّ والفتح، على أن الأصل تتضامُّون، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وروي بتخفيف الميم من الضيم؛ بمعنى: الظلم؛ يعني: لا يلحقكم في رؤيته ضيمٌ ولا غبنٌ.

وفي حثِّه ﷺ في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر خاصة إشارة إلى أن مَن حافظ عليهما في جماعة نال هذا النعيم الكامل، الذي يضمحلُّ بإزائه كل نعيم، وهو يدلُّ على تأكيد هاتين الصلاتين كما دلَّ على ذلك الحديث الآخر:

«**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ العَصْرِ**». متفق عليه[(١)].

(**... إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَّبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ [العزيز][(٢)]؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ**).

---

(١) سبق تخريجه ص(١٤٤).

(٢) زيادة من (م).

/ ش/ قوله: (**إلى أمثال هذه الأحاديث...**) إلخ. لما كان ما ذكره المؤلف من الأحاديث ليس هو كل ما ورد في باب الصفات من الأخبار؛ نبَّه على أن أمثال هذه الأحاديث التي ذكرها ممَّا يخبر فيه الرسول ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن حكمه كذلك، وهو وجوب الإيمان بما يتضمَّنه من أسماء الله وصفاته.

ثم عاد فأكَّد معتقد أهل السنة والجماعة. وهو أنهم يؤمنون بما وردت به السنة الصحيحة من صفات؛ كإيمانهم بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ثم أخبر عن أهل السنة والجماعة بأنهم وسطٌ بين فِرَق الضلال والزَّيغ من هذه الأمة؛ كما أن هذه الأمة وسطٌ بين الأمم السابقة؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

ومعنى ﴿وَسَطًا﴾: عُدولًا خيارًا؛ كما وردَ الحديث بذلك[(١)].

فهذه الأمـَّة وسطٌ بين الأمم التي تجنَحُ إلى الغلوِّ الضارِّ والأمم التي تميلُ إلى التَّفريط المُهْلِكِ.

فإنّ من الأمم مَن غلا في المخلوقين، وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل؛ كالنصارى الذين غَلَوا في المسيح والرُّهبان.

---

(١) الذي رواه البخاري رقم: (٣٣٣٩)، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغْت؟ فيقول: نعم، أي ربِّ. فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي. فيقول لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فتشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣]، **والوسط: العدل**».

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٧٢): قوله و(الوسط: العدل) هو مرفوع في نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة، كما وهم فيه بعضهم، وسيأتي في «الاعتصام» بلفظ: (وكذلك جعلناكم أمة وسطًا عدلًا).

ومنهم مَن جفا الأنبياء وأتباعَهم، حتى قتلهُم، وردَّ دعوتهم؛ كاليهود الذين قتلوا زكريا ويحيى، وحاولوا قتل المسيح، ورَمَوْه بالبُهتان.

وأما هذه الأمة؛ فقد آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم، وعرفت لهم مقاماتهم الرَّفيعة التي فضَّلهم الله بها.

ومن الأمم أيضًا مَن استحلَّت كلَّ خبيثٍ وطيِّبٍ.

ومنها مَن حرَّم الطَّيِّبات غلوًّا ومجاوزةً.

وأما هذه الأمة؛ فقد أحَلَّ الله لها الطَّيِّبات، وحرَّم عليها الخبائث..

إلى غير ذلك من الأمور التي مَنَّ الله على هذه الأمة الكاملة بالتوسُّط فيها.

فكذلك أهل السنة والجماعة متوسِّطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفتْ عن الصراط المستقيم.

([**فَهُمْ وَسَطٌ**][1] **فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ**).

/ ش/ قوله: (**فهُم وسطٌ في باب صفات الله**...) إلخ؛ يعني: أن أهل السنة والجماعة وسَطٌ في باب الصفات بين مَن ينفيها ويعطِّل الذات العليَّة عنها، ويحرِّف ما ورد فيها من الآيات والأحاديث عن معانيها الصَّحيحة إلى ما يعتقده هو من معانٍ بلا دليلٍ صحيح، ولا عقلٍ صريح؛ كقولهم: رحمة الله: إرادته الإحسان، ويده: قدرتُه، وعينُه: حفظه ورعايته، واستواؤه على العرش: استيلاؤه... إلى أمثال ذلك

---

(١) سقط من (ب).

من أنواع النفي والتَّعطيل التي أوقعهم فيها سوء ظنِّهم بربِّهم، وتوهُّمِهم أن قيام هذه الصفات به لا يُعْقَل إلا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق.

ولقد أحسن القائل حيث يقول:

وَقُـــصَارَى أَمْـــرِ مَـــنْ أَوْ ... وَلَ أَنْ ظَنُّـــوا الظُّنُونَـــا
فَيَقُولُـــونَ عَـــلَى الرَّحْـــ ... ـــمَنِ مَـــا لاَ يَعْلَمُونَـــا

وإنما سُمِّي أهل التعطيل جهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي رأس الفتنة والضلال، وقد تُوُسِّع في هذا اللفظ حتى أصبح يُطلق على كل من نفى شيئًا من الأسماء والصفات، فهو شامل لجميع فرق النُّفاة؛ من فلاسفة، ومعتزلة، وأشعرية، وقرامطة باطنية.

فأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة وبين أهل التمثيل المشبِّهة الذين شبّهوا الله بخلقه، ومثَّلوه بعباده.

وقد ردّ الله على الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١]، فهذا يردُّ على المشبِّهة. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] يردُّ على المعطِّلة.

وأما أهل الحق؛ فهم الذين يثبتون الصفات للـه تعالى إثباتًا بلا تمثيل، وينزِّهُونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل، فجمعوا أحسن ما عند الفريقين؛ أعني: التنزيه والإثبات، وتركوا ما أخطؤوا وأساؤوا فيه من التعطيل والتشبيه.

(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ الله بَيْنَ [الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ][(١)] [وغيرهم][(٢)]).

/ ش/ قوله: (وَهُمْ وَسَطٌ...) إلخ؛ قال الشيخ العلاَّمة محمد بن عبدالعزيز بن مانع في تعليقه على هذه العبارة ما نصه:

(اعلم أن الناس اختلفوا في أفعال العباد؛ هل هي مقدورةٌ للرب أم لا؟

فقال جهمٌ وأتباعه - وهم الجبرية -: إن ذلك الفعل مقـدورٌ للرَّب لا للعبد.

وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إن المؤثر في المقدور قدرة الرب دون قدرة العبد.

وقال جمهور المعتزلة - وهم القدرية؛ أي: نفاة القدر -: إن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد. واختلفوا: هل يقدر على مثل مقدوره؟ فأثبته البصريون؛ كأبي علي، وأبي هاشم، ونفاه الكعبيُّ وأتباعه البغداديُّون.

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه منفردٌ بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلَوْا في إثبات القدر، فنَفَوْا فعل العبد أصلًا.

والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين[(٣)] مع الله، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة.

---

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): القدرية والجبرية.

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) أي أن كل عبد خالق لفعله، وهذا يشمل الملائكة والأنس والجن. قال ابن القيم في «شفاء العليل» ص(٥) عن القدرية، فالعدل عندهم إخراج أفعال الملائكة والأنس والجن، وحركاتهم وأقوالهم وإرادتهم من قدرة الله ومشيئته، وخلقه. اهـ وهم أيضًا شرٌ من النصارى في هذا حيث أن النصارى جعلوا خالقًا مع الله وهؤلاء جعلوا كل عبد خالقًا. قاله ابن القيم.

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ، فقالوا: العباد فاعلون، والله خالقهم وخالق أفعالهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]). اهـ

وإنما نقلنا هذه العبارة بنصها؛ لأنها تلخيصٌ جيِّدٌ لمذاهب المتكلِّمين في القدر وأفعال العباد.

(وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ المُرْجِئَةِ [و][(١)] الوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ [الخوارج][(٢)] وَغَيْرِهِمْ).

/ش/ قوله: (**وفي باب وعيد الله...**) إلخ؛ يعني: أن أهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرِّطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أن الإيمان مجرَّد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسُمُّوا بذلك نسبةً إلى الإرجاء؛ أي التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان.

ولا شكَّ أن الإرجاء بهذا المعنى كفرٌ يخرجُ صاحِبَهُ عن الملَّة؛ فإنه لابد في الإيمان من قولٍ باللسان، واعتقادٍ بالجَنَان، وعملٍ بالأركان، فإذا اختلَّ واحدٌ منها لم يكن الرجل مؤمنًا.

وأمّا الإرجاء الذي نسب إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة؛ كأبي حنيفة وغيره، وهو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان، ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السنة على أن الله يعذِّب مَن يعذِّب من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها، وعلى أنه لا بدّ في الإيمان من نطقٍ باللسان، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة يستحقُّ

---

(١) هكذا في (م)، لكن في (أ)، و(ب): وبين.

(٢) زيادة من (ب).

تاركها الذمَّ والعقاب؛ فهذا النوع من الإرجاء ليس كفرًا، وإن كان قولًا باطلًا مبتَدعًا؛ لإخراجهم الأعمال عن الإيمان.

وأما الوعيدية؛ فهم القائلون بأن الله يجب عليه عقلًا أن يعذِّب العاصي؛ كما يجب عليه أن يُثيب المطيع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يَغْفِرَ الله لـه، ومذهبهم باطلٌ مخالفٌ للكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨، ١١٦].

وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحِّدين من النار ودخولهم الجنة.

فمذهب أهل السنة والجماعة وسطٌ بين نفاة الوعيد من المرجئة وبين موجبيه من القدريَّة، فمَن مات على كبيرةٍ عندهم؛ فأمره مفوَّضٌ إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه؛ كما دلَّت عليه الآية السابقة.

وإذا عاقبه بها؛ فإنه لا يخلد خلود الكفار، بل يخرج من النار، ويدخل الجنة.

(٩- أ) ب (وَفِي بَابِ [أَسْمَاءِ][(١)] **الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ**/[(٢)] [وبين][(٣)] **وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ**).

/ش/ قوله: (**وفي باب أسماء الإيمان**...) إلخ؛ كانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ماوقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان

---

(١) زيادة من (م).

(٢) وهم الخوارج، نسبوا إلى حروراء، وهو موضع قريب من الكوفة؛ لاجتماعهم فيه حين خرجوا على علي رضي الله عنه.

(٣) زيادة من (ب).

للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما في ذلك الحين، وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدريَّة أثر كبير في ذلك النزاع.

والمراد بالأسماء هنا أسماء الدين، مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق... الخ.

والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.

فالخوارج الحرورية والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحقُّ اسمَ الإيمان إلاّ مَن صدَّق بجَنانه، وأقرَّ بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر. فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنًا باتفاق بين الفريقين.

ولكنهم اختلفوا: هل يسمَّى كافرًا أو لا؟

فالخوارج يسمونه كافرًا، ويستحلِّون دمه وماله، ولهذا كفَّروا عليًّا ومعاوية وأصحابهما، واستحلُّوا منهم ما يستحلُّون من الكفّار.

وأما المعتزلة؛ فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال.

واتَّفق الفريقان أيضًا على أن مَن مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلَّد في النار.

فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

١- نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

٢- خلوده في النار مع الكفّار.

ووقع الخلاف أيضًا في موضعين:

أحدهما: تسميته كافرًا.

والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي.

وأما المرجئة؛ فقد سبق بيان مذهبهم، وهو أنه لا يضر مع الإيمان معصية؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمنٌ كامل الإيمان، ولا يستحقُّ دخول النار.

فمذهب أهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذين المذهبين؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمنٌ ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلًا؛ كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنه كامل الإيمان؛ كالمرجئة والجهمية. وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفو الله عز وجل عنه فيدخل الجنة ابتداءً، أو يعذِّبه بقدر معصيته، ثم يخرجه ويدخله الجنة كما سبق، وهذا الحكم أيضًا وسط بين مَن يقول بخلوده في النار، وبين مَن يقول: إنه لا يستحق على المعصية عقابًا.

(**وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ [الرَّافِضَةِ][(١)] [و][(٢)] الخَوَارِجِ**).

/ ش/ قوله: (**وفي أصحاب رسول الله...**) إلخ. المعروف أن الرافضة -قبَّحهم الله- يسبون الصحابة رضي الله عنهم، ويلعنونهم، وربما كفَّروهم أو كفَّروا بعضهم، والغالبية منهم -مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء- يغلون في عليٍّ وأولاده، ويعتقدون فيهم الإلهية.

---

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): الروافض.

(٢) في (أ)، و(ب): وبين.

وقد ظهر هؤلاء في حياة عليٍّ رضي الله عنه بزعامة عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًّا وأسلم وأراد أن يكيد للإسلام وأهله؛ كما كاد اليهود من قبل للنصرانية وأفسدوها على أهلها، وقد حرَّقهم علي بالنار لإطفاء فتنتهم، وروي عنه في ذلك قوله:

لَـمَّا رَأَيْـتُ الأَمْـرَ أَمْـرًا مُنْكَـرًا أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَـوْتُ قَنْـبَرًا[١]

وأما الخوارج؛ فقد قابلوا هؤلاء الروافض، فكفَّروا عليًّا ومعاوية ومَن معهما من الصحابة، وقاتلوهم واستحلُّوا دماءهم وأموالهم.

وأما أهل السنة والجماعة؛ فكانوا وسطًا بين غلوِّ هؤلاء وتقصير أولئك، وهداهم الله إلى الاعتراف بفضل أصحاب نبيِّهم، وأنهم أكمل هذه الأمة إيمانًا وإسلامًا وعلمًا وحكمةً، ولكنهم لم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم؛ بل قاموا بحقوقهم، وأحبُّوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصرة الإسلام وجهادهم مع رسول الله ﷺ.

([فَصْلٌ][٢]: وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ [بِهِ][٣] فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَن رَّسُولِهِ[٤]، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ

---

(١) وقد حسن هذه القصة الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٢٧٠) عند شرحه حديث عكرمة قال: أتى عليٌّ رضي الله عنه بزنادقةٍ فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

(٢) زيادة من (م).

(٣) سقط من (أ).

(٤) في (أ)، و(ب)، و(م): ﷺ.

سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ[١] عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، [يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ][٢]؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ
(٦- أ) أ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا/ يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد:٤].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ [وَهُوَ خِلافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ][٣]، بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، [وَ][٤]هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ [وَغَيْرِ المُسَافِرِ][٤] أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ [عَرْشِهِ][٥]، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، [مُهَيْمِنٌ][٦] عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ [عَلَيْهِم][٧] ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَّعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ [سُبْحَانَهُ][٨] - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ [مَعَنَا][٩] - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ؛ {مِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أَنَّ السَّمَاءَ [تُظِلُّهُ أَوْ

---

(١) هذا الذي وجد في عدة نسخ وفي «مجموع الفتاوى» وفي بعض النسخ: (بائن) نبّه عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري.

(٢) في (ب): يعلم ما هم عليه وما هم عاملون.

(٣) ما بين المعقوفين ثابت في (أ)، و(ب)، و(م).

(٤) سقط من (أ).

(٥) في (أ)، و(ب)، و(م): العرش.

(٦) في (أ): مهيمنًا.

(٧) في (أ)، و(ب)، و(م): إليهم.

(٨) زيادة من (م).

(٩) في (ب): معنى.

تُقِلُّهُ][(١)]، **وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ [الذي]**[(٢)] **يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ؛ إلاَّ بِإِذْنِهِ، وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ}**[(٣)]).

/ ش/ قوله: (**وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان...**) إلخ. صرَّح المؤلِّف هنا بمسألة علوِّ الله تعالى واستوائه على عرشه بائنًا من خلقه؛ كما أخبر الله عن ذلك في كتابه، وكما تواتر الخبر بذلك عن رسوله، وكما أجمع عليه سلف الأمة الذين هم أكملها علمًا وإيمانًا، مؤكِّدًا بذلك ما سبق أن ذكره في هذا الصدد، ومشدِّدًا النكير على مَن أنكر ذلك من الجهمية والمعتزلة ومَن تبعهم من الأشاعرة.

ثم بَيَّنَ أن استواءه على عرشه لا ينافي معيَّته وقربه من خلقه؛ فإن المعيَّة ليس معناها الاختلاط والمجاورة الحسيَّة.

وضرب لذلك مثلًا بالقمر الذي هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغيره أينما كان؛ بظهوره واتصال نوره، فإذا جاز هذا بالنسبة للقمر، وهو من أصغر مخلوقات الله؛ أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير الذي أحاط بعباده علمًا وقدرة، والذي هو شهيدٌ مطَّلع عليهم، يسمعهم، ويراهم، ويعلم سرَّهم ونجواهم، بل العالم كله سماواته وأرضه من العرش إلى الفرش كله بين يديه سبحانه؛ كأنه

---

(١) في (م): (تقله أو تظله) بالشك.

(٢) زيادة من (م).

(٣) ما بين القوسين المتعرجين سقط من (أ)، و(ب).

بندقةٌ[(١)] في يد أحدنا؛ أفلا يجوز لمن هذا شأنه أن يقال: إنه مع خلقه مع كونه عاليًا عليهم بائنًا منهم فوق عرشه؟!

بلى؛ يجب الإيمان بكلٍّ من علوِّه تعالى ومعيَّته، واعتقاد أن ذلك كلـه حقٌّ على حقيقته، من غير أن يُساء فهم ذلك، أو يُحمل على معانٍ فاسدة؛ كأن يُفْهَمَ من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ معيَّةَ الاختلاط والامتزاج؛ كما يزعمه الحلولية! أو يفهم من قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء ظرفٌ حاوٍ له محيطٌ به! كيف وقد وسع كرسيُّه السموات والأرض جميعًا؟! وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؟!

فسبحان مَن لا يبلغه وهم الواهمين، ولا تدركه أفهام العالمين.

(**[فَصْلٌ]**[(٢)]: **[وَقَد]**[(٣)] **دَّخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ [من خلقه]**[(٤)] **[مُجِيبٌ]**[(٥)]؛ **كَمَا [جَمَعَ بينَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ]**[(٦)]: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى

---

(١) البُندق: الجِلَّوز، واحدته بندقية، وقيل البندق، حِمل شجر، كالجِلَّوْز. اهـ «لسان العرب»
وفي «المعتمد» للتركماني: هو الجِلَّوز. والبندق فارسي، والجلّوز عربي. وهو يشبه الجوز الكبار.
(٢) زيادة من (م).
(٣) سقط من (أ).
(٤) زيادة من (أ)، و(ب)، و(م).
(٥) سقط من (أ)، و(ب).
(٦) هكذا في (م)، وبدله في (أ)، و(ب): قال تعالى.

قَرِيبٌ﴾[١] **الآيَة** [البقرة: ١٨٦]، **[وَقَوْلُهُ]**[٢] ﷺ:[...][٣] **«إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ»**[٤].

وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي [مَا ذُكِرَ][٥] **مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ/ فِي** (٩-ب) ب **دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ)**.

/ ش/ قوله: (**وقد دخل في ذلك الإيمان...**) إلخ. يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه من أنه قريبٌ مجيبٌ، فهو سبحانه قريبٌ ممَّن يدعوه ويناجيه، يسمع دعاءه ونجواه، ويجيب دعاءه متى شاء وكيف شاء، فهو تعالى قريبٌ قربَ العلم والإحاطة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦].

وبهذا يتبيَّن أنه لا منافاة أصلًا بين ما ذُكر في الكتاب والسنة من قربه تعالى ومعيَّته وبين ما فيهما من علوِّه تعالى وفوقيَّته.

فهذه كلها نعوتٌ لـه على ما يليق به سبحانه، ليس كمثلـه شيءٌ في شيءٍ منها.

---

(١) [أجيب دعوة الداع إذا دعان] إلى هنا في (م)، وفي (أ) ذكر الآية إلى آخرها.

(٢) في (أ): وقال النبي. وفي (ب): وقول النبي.

(٣) هنا زيادة من (م): [للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالذكر: أيها الناس اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا.

(٤) سبق تخريجه ص(١٢٠).

(٥) في (ب): ما ذكرناه.

(وَمِنَ الإِيمَانِ [باللهِ][١] وَكُتُبِهِ الإيمانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ [اللهُ][٢] عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلامَ غَيْرِهِ.

وَلا يَجُوزُ [إِطْلاقُ][٣] القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ [عنه][٤]، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ [بذلك][٥] فِي المَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ
(٦- ب) أ يَكُونَ كَلامَ اللهِ [تَعَالَى][٦] حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلامَ إِنَّمَا/ يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ [تكلم][٢] قَالَهُ مُبْتَدِئًا، [لاَ][٧] إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

[وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلامُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلاَ المَعَانِيَ دُونَ الحُرُوفِ][٨]).

/ ش/ قوله: (**ومن الإيمان بالله وكتبه...**) إلخ. جعل المصنِّف الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالله؛ لأنه صفةٌ من صفاته، فلا يتمُّ الإيمان به سبحانه إلا بها، إذ الكلام لا يكون إلا صفةً للمتكلِّم، والله سبحانه موصوفٌ بأنه متكلِّم بما شاء متى شاء، وأنه لم يزل ولا يزال يتكلَّم؛ بمعنى أن نوع كلامه قديمٌ وإن كانت آحاده لا تزال تقع شيئًا بعد شيءٍ بحسب حكمته.

---

(١) في (أ)، و(ب): به.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): [الإطلاق] وسقطت لفظة [القول].
(٤) زيادة من (م).
(٥) هكذا في (م)، وفي (ب): كتبوه الناس.
(٦) سقطت من (أ)،وبدلها في (ب): سبحانه.
(٧) سقطت [لا] من (ب).
(٨) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، و(ب).

وقد قلنا فيما سبق: إن الإضافة في قولنا: القرآن كلام الله؛ هي من إضافة الصفة للموصوف، فتفيد أن القرآن صفة الرب سبحانه، وأنه تكلم به حقيقة بألفاظه ومعانيه، بصوت نفسه.

فمن زعم أن القرآن مخلوقٌ من المعتزلة؛ فقد أعظم الفِرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعلـه وصفًا لمخلوق، وكان أيضًا متجنِّيًا على اللغة، فليس فيها متكلِّم بمعنى خالق للكلام.

ومَن زعم أن القرآن الموجود بيننا حكاية عن كلام الله؛ كما تقوله الكُلاَّبية، أو أنه عبارة عنه؛ كما تقوله الأشعرية؛ فقد قال بنصف قول المعتزلة؛ حيث فرَّق بين الألفاظ والمعاني، فجعل الألفاظ مخلوقة، والمعاني عبارة عن الصفة القديمة؛ كما أنه ضاهى النصارى في قولهم بحلول اللاهوت -وهو الكلمة- في الناسوت -وهو جسد عيسى عليه السلام-؛ إذ قال بحلول المعاني التي هي الصفة القديمة في هذه الألفاظ المخلوقة، فجعل الألفاظ ناسوتًا لها.

والقرآن كلام الله؛ حيث تصرَّف، فمهما كتبناه في المصاحف، أو تلوناه بالألسنة؛ لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله؛ لأن الكلام -كما قال المصنّف- إنما يضاف إلى مَن قاله مبتدئًا؛ لا إلى مَن قالـه مبلِّغًا مؤدِّيًا.

وأما معنى قول السلف: (منه بدأ وإليه يعود)؛ فهو من البدء؛ يعني: أن الله هو الذي تكلَّم به ابتداء، لم يُبْتَدَأْ من غيره، ويحتمل أن يكون من البُدُو؛ بمعنى الظهور؛ يعني أنه هو الذي تكلَّم به وظهر منه، لم يظهر من غيره.

ومعنى: (**إليه يعود**)؛ أي: يرجع إليه وصفًا؛ لأنه وصفه القائم به، وقيل: معناه يعود إليه في آخر الزمان، حين يرفع من المصاحف والصدور؛ كما ورد في أشراط الساعة[(١)].

وأما كون الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالكتب؛ فإن الإيمان بها إيمانًا صحيحًا يقتضي إيمان العبد بأن الله تكلَّم بها بألفاظها ومعانيها، وأنها جميعًا كلامه هو؛ لا كلام غيره، فهو الذي تكلَّم بالتوراة بالعبرانية، وبالإنجيل بالسريانية، وبالقرآن بلسان عربيٍّ مبين.

(**وَقَد دَّخَلَ أيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ [وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ]**[(٢)]:

الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ [بِهَا][(٣)] **سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.**

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهَ [وَهُمْ][(٤)] **فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ [سبحانه]**[(٥)] **تَعَالَى**).

---

(١) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدرس الإسلام، كما يدرس وشى الثوب، حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك، ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها**» فقال له صلة: ما تغني عنهم: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة تنجيهم من النار ثلاثًا. رواه ابن ماجة، والحاكم في المستدرك وهو حديث صحيح ذكره الألباني في «الصحيحة» (٨٧): وشيخنا في الصحيح المسند ومعنى يُدرس أي ينقرض، وشى الثوب: أي نقشه.

(٢) سقطت من (ب)، ولفظ [الملائكة] فقط سقط من (أ).

(٣) في (أ)، و(ب)، و(م): دونها.

(٤) في (أ): وهو.

(٥) سقط من المطبوع.

/ ش/ قوله: (**وقد دخل أيضًا فيما ذكرناه...**) إلخ؛ تقدم الكلام على رؤية المؤمنين لربِّهم عز وجل في الجنة؛ كما دلّت على ذلك الآيات والأحاديث الصريحة، فلا حاجة بنا إلى إعادة الكلام فيها.

غير أن قوله: (**يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة**) قد يوهم أن هذه الرؤية أيضًا خاصة بالمؤمنين، ولكن الحق أنها عامَّة[1] لجميع أهل الموقف؛ حين يجيء

---

(١) أختلف العلماء في الذين يرون الله في عرصات القيامة، على أقوال ثلاثة:

القول الأول: ما ذكره الشارح.

القول الثاني: يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، وغبَّرات من أهل الكتاب، ثم يحتجب عن المنافقين.

الثالث: لا يراه إلا المؤمنون.

راجع هذه الأقوال وأدلتها وقائليها في رسالة ابن تيمية إلى أهل البحرين، وهي ضمن «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٥-٥٠٧).

والصحيح منها هو القول الثاني، والله أعلم.

لحديث أبي هريرة في الصحيحين أن النبي ﷺ ذكر أن الله يرُى يوم القيامة كرؤية الشمس، وكرؤية القمر ليلة البدر، ليس دونها سحاب، ثم قال: «**يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فمنهم من يَتَّبع الشمس، ومنهم من يَتَّبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذا الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذه مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم...**».

وحديث أبي سعيد في «الصحيحين» أيضًا، وفيه ثم قال النبي ﷺ: «**ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كُلِّ آلهةٍ مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر، وغُبَّرات من أهل الكتاب، ثم يُؤْتى بجهنم، تُعْرَضُ كأنها سرابٌ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله، فقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم، وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج مِنَّا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كلُّ قوم بما كانوا**=

الرب لفصل القضاء بينهم؛ كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٠].

والعَرَصَات: جمع عَرَصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه.

([فَصْلٌ][(١)]: وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ [وَنَعِيمِهِ][(٢)].

فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ [يُمْتَحَنُونَ][(٣)] فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَ[مَا][(٤)] نَّبِيُّكَ؟

= يعبدون، وإنما ننتظرُ ربنا؛ قال: فيأتيهم الجبار، في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرةٍ، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونه؟ فيقولون: الساق؛ فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعةً، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا...» هذا لفظ البخاري برقم: (٧٤٣٩).

قال ابن خزيمة في كتابه «التوحيد» وفي هذا الخبر ما بان وثبت وصح أن جميع الكفار قد تساقطوا في النار، وجميع أهل الكتاب الذين كانوا يعبدون غير الله، وأن الله جل وعلا إنما يتراءى لهذه الأمة برها وفاجرها، ومنافقيها بعد ما تساقط أولئك في النار، فالله جل وعلا كان محتجبًا عن جميعهم، لم يره منهم أحد كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[المطففين:١٧].اهـ

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٥].

فقسم الله عز وجل الوجوه إلى قسمين: ناظرة، وباسرة، وظاهره أن الباسرة غير ناظرة، وأصرح من هذه الآية أية المطففين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥] وهذا الحجب عام صريح، لم يأتِ مخصص صريح، يخصصه.

وأما الآية التي ذكرها الشارح، وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢١٠].

فالاستدلال بها غير صريح، ولا يلزم من إتيانه سبحانه الرؤية.

(١) زيادة من (م).

(٢) في (أ)، و(ب)، و(م): وبنعيمه.

(٣) في (أ)، و(ب)، و(م): يفتنون.

(٤) في (أ)، و(ب)، و(م): مَنْ.

فيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ [فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ][(١)]، فَيَقُولُ المؤْمِنُ: [رَبِّيَ اللهُ][(٢)]، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي.

وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: [هَاه هَاه][(٣)]؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ[(٤)]، [إِلَى أَنْ تَقُومَ][(٥)] القِيَامَةُ الكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ).

/ ش/ قوله: (**ومن الإيمان باليوم الآخر...**) **إلخ**؛ إذا كان الإيمان باليوم الآخر أحد الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان؛ فإن الإيمان به إيمانًا تامًّا كاملًا لا يتحقق إلاّ إذا آمن العبد بكل ما أخبر به النبيُّ ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت.

---

(١) زيادة من (م)، وفي (ب): في الحياة.

(٢) في (أ)، و(ب)، و(م): الله ربي.

(٣) في (ب): آه آه.

(٤) وكلام ابن تيمية هنا أخذه من مجموع أحاديث منها، ما رواه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم**» - وفي بعض طرقه في مسلم: «**إذا انصرفوا**» - «**أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ماكنت تقول في هذا الرجلُ؟ لمحمدٍ ﷺ: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدُ الله ورسولُه، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك اللهُ به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا**».

قال قتادة: وذُكِرَ لنا أنه يفسحُ له في قبره. وزاد مسلم: «**سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خَضِرًا إلى يوم يبعثون**». انتهت رواية مسلم.

زاد البخاري: ثم رجع -أي قتادة- إلى حديث أنس قال: «**وأمَّا المنافق الكافر، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقولُ ما يقولُ الناس. فيقال: لا دَرَيت ولا تليت** -معناه لا دريت ولا اتبعت من يدري- **ويُضربُ بمطارق من حديدٍ ضربةً، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين**».

وحديث البراء الطويل المشهور، وقد ذكره شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

(٥) هكذا في (م)، وفي (أ)، و(ب): إلى يوم.

والضابط في ذلك أنها أمورٌ ممكنةٌ أخبر بها الصادق صلوات الله عليه وسلامه وآلِه، وكل ممكن[١] أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر؛ فإن هذه الأمور لا تستفاد إلا من خبر الرسول، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله.

وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة؛ فينكرون هذه الأمور؛ من سؤال القبر، ومن نعيم القبر، وعذابه، والصراط، والميزان، وغير ذلك؛ بدعوى أنها لم تثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأوَّل الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلاَّ عن طريقه، وهم يردُّون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تُقبل في باب الاعتقاد، وأما الآيات، فيؤوِّلونها بما يصرفها عن معانيها.

والإضافة في قوله: (**بفتنة القبر**) على معنى في؛ أي: بالفتنة التي تكون في القبر.

وأصل الفتنة وضع الذّهب ونحوه على النار لتخليصه من الأوضار والعناصر الغريبة، ثم استُعْمِلَتْ في الاختبار والامتحان.

وأما عذاب القبر ونعيمه؛ فيدل عليه قوله تعالى في حقِّ آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾[غافر: ٤٦]، وقوله سبحانه عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾[نوح: ٢٥]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**القَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**»[٢].

---

(١) الصواب: أن يقال: وكل ما أخبر الصادق بوقوعه فإنه يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر؛ لأن الصادق لا يمكن أن يخبر بوقوع مستحيل. اهـ قاله ابن عثيمين رحمه الله.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٦٠٨) من طريق محمد بن أيوب بن سويد، قال حدثنا أبي، قال حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة... فذكره.

ثم قال: لم يرو هذا الحديث، عن الأوزاعي إلا أيوب بن سويد تفرد به ابنه. اهـ سنده ضعيف جدًا؛ محمد بن أيوب بن سويد هو الرملي، ضعفه الدارقطني، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه، قال أبو زرعة: رأيته قد أدخل في كتب أبيه، أشياء موضوعه. اهـ «الميزان». =

والمِرْزَبَة بالتخفيف: المطرقة الكبيرة، ويقال لها أيضًا: إِرْزَبَّة؛ بالهمزة والتشديد.

([وَتَقُومُ][(١)] القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ [تعالى][(٢)] بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ [ﷺ][(٢)]، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ.

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ/ لِرَبِّ العَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُمُ(١٠-أ) ب الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ.

فَتُنْصَبُ المَوَازِينُ، فَتُوزَنُ [بِهَا][(٣)] أَعْمَالُ العِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى][(٤)]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ/ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ (٧-أ) أ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء: ١٣-١٤]).

/ ش/ قوله: (**وتقوم القيامة..**) إلخ؛ يعني: القيامة الكبرى، وهذا الوصف للتخصيص، احترز به عن القيامة الصغرى التي تكون عند الموت؛ كما في الخبر:

= ورواه الترمذي (٢٤٦٠)، والبيهقي كما قاله المنذري في «الترغيب والترهيب» من طريق عبيدالله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، فذكر حديثًا طويلًا والشاهد في آخره.
وعبيدالله بن الوليد ضعيف جدًا، كما في «تهذيب التهذيب» وعطية العوفي ضعيف، ورواه البيهقي في «عذاب القبر» كما في «كنز العمال» (٤٢٣٩٧)، وتخريج الإحياء رقم: (٤٠٤٢)، ولم أعثر على الكتاب حتى أقف على سنده، ويغلب على ظني أنه من طريق عبيد الله بن الوليد المتقدم به، والله أعلم.

(١) في (أ): فتقوم.
(٢) زيادة من (أ).
(٣) في (أ)، و(م): فيها.
(٤) سقطت من (أ).

«مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ»[١].

وذلك أن الله عز وجل إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا؛ أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيَصْعَقُ كل من في السموات ومن في الأرض إلا مَن شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبال كثيبًا مهيلًا، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لا سيما في سورتي التكوير والانفطار، وهذا هو آخر أيام الدنيا.

ثم يأمر الله السماء، فتمطر مطرًا كمنيٍّ[٢] الرجال أربعين يومًا، فينبت منه الناس في قبورهم من عَجْبِ أذنابهم، وكل ابن آدم يبلى إلاَّ عجب الذنب.

---

(١) في تخريج الإحياء الذي استخرجه الحداد -هداه الله- (٣٣٥٧)، قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت» من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: وعند ابن لال في «مكارم الأخلاق» والديلمي من حديث أنس: «**إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، واعبدوا الله كأنكم ترونه، واستغفروه كل ساعة**» وروى العسكري في «الأمثال» وذكره، وفيه داود بن المحبر كذاب، عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك متهم، عن محمد بن زازات، قال البخاري لا يكتب حديثه... وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة.

قال: يقولون القيامة القيامة، وإنما قيامة الرجل موته. اهـ المراد منه.

وأثر المغيرة أخرجه الدولابي في «الكنى» (٢/ ٨٩) فقال رحمه الله: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، قال: حدثنا سفيان، عن مسعر، عن أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة فذكره، وسنده حسن.

ويغني عن معنى حديث أنس، ما رواه البخاري (٦٥١١) واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «**إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**» قال هشام: يعني موتهم. وفي «الصحيحين» عن أنس بنحوه.

(٢) هذه قطعة من أثر طويل لعبد الله بن مسعود، أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ١٩٠) رقم (٣٨٦٣٣)، وابن جرير مختصرًا في تفسير سورة فاطر آية (٩)، والطبراني في «الكبير» (ج٩، رقم: ٩٧٦١)، والحاكم (٤/ ٥٩٨-٦٠٠)، كلهم من طريق سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبدالله أنه ذُكِرَ عنده الدجال، فقال عبدالله: «**تفترقون أيها الناس لخروجه ثلاث فرق...**»، إلى أن =

= قال: «**ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون**»، قال: «**فيرش الله**» هكذا عند ابن أبي شيبة، وعند غيره: «**فيرسل الله ماءً من تحت العرش كمني الرجال**»، قال: «**فليس من بني آدم خلق في الأرض إلا منه شيء**»، قال: «**فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى**» ثم قرأ عبدالله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[فاطر:٩].

قال الحاكم عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الذهبي رحمه الله: ما احتجا بأبي الزعراء. اهـ

وأبوالزعراء هو عبدالله بن هانئ الكندي - وهو خال سلمة بن كهيل - وثقه ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١٧١) وقال: له أحاديث. وقال العجلي: من أصحاب عبدالله ثقة. وذكره ابن حبان في «الثقات».

وقال البخاري في «التاريخ الكبير»: سمع ابنَ مسعود رضي الله عنه، سمع منه سلمةُ بن كهيل... روى عن ابن مسعود رضي الله عنه في الشفاعة: (ثم يقوم كنبيكم رابعهم) والمعروف عن النبي ﷺ: «أنا أول شافع»، ولا يتابع في حديثه.

وقال العقيلي في «الضعفاء»: سمع ابن مسعود وفيه كلام ليس في حديث الناس - ثم ذكر كلام البخاري - ثم قال: وهذا الحديث... وساق حديث الشفاعة بطوله وفيه القدر الذي ذكرناه.

أقول: ومما لم يتابع عليه في هذا الأثر وصف ذلك الماء بأنّه كمني الرجال. وبقية رجال الإسناد ثقات.

وقد صح عن نبينا ﷺ: أنَّ الله ينزل ماءً فتنبت منه الأجساد.

كما في حديث أبي هريرة في البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين النفختين أربعون**». قالوا: أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. «**ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون، كما ينبت البقل**». قال: «**وليس في الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**».

وهذا لفظ مسلم، و(العَجْب) بفتح المهملة، وسكون الجيم. ويقال (عجم) بالميم أيضًا عوض الباء، وهو عظم لطيف في أصل الصلب. وهو رأس العصعص، وهو ما كان رأس الذنب من ذوات الأربع. اهـ من «الفتح» (٨/ ٥٥٢).

وحديث عبد الله بن عمرو في مسلم (٢٩٤٠) مرفوعًا وفيه «**ثم يرسل الله -أو قال ينزل الله- مطرًا كأنه الطل أو الظلُّ -نعمان الشاك- فتنبت منه أجساد الناس**». =

= وجاء في حديث (الصور): «**ثم ينزل الله ماءً من تحت العرش فتمطر السماء أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقكم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات الطراثيث، وهي صغار القِثّاء، أو كنبات البقل**».

وقد ذكره ابن كثير بطوله في تفسير سورة الأنعام آية (٧٣) وهكذا في «النهاية» (١/ ٢١٣-٢٢٣) ثم قال عقبة: هذا حديث مشهور رواه جماعة من الأئمة في كتبهم، كابن جرير في «تفسيره» والطبراني في «المطولات» وغيرها، والحافظ البيهقي في كتاب «البعث والنشور» والحافظ أبو موسى المديني في «المطولات» أيضًا من طرق متعددة عن إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد تُكُلِّم فيه بسببه، وفي بعض سياقاته نكارة واختلاف، وقد بيَّنتُ طرقه في جزء مفرد، ثم قال وإسماعيل بن رافع ليس من الوضاعين.

وكأنه جمع هذا الحديث من طرق، وأماكن متفرقة، فجمعه، وساقه سياقة واحدة، فكان يقضي به على أهل المدينة، وقد حضره جماعة من أعيان الناس في عصره، ورواه عنه جماعة من الكبار، كأبي عاصم، والوليد بن مسلم، ومكي بن إبراهيم، ومحمد بن شعيب بن شابور، وعبدة بن سليمان، وغيرهم، واختلف عليه فيه قتادة يقول عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب، عن رجل عن أبي هريرة، وتارة يسقط الرجل، وقد رواه إسحاق بن راهوية عن عبدة بن سليمان، عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن يزيد، عن أبي زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب، عن رجل من الانصار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، ومنهم من أسقط الرجل الأول.

قال شيخنا الحافظ المزي: وهذا أقرب، قال: وقد رواه عن إسماعيل بن رافع، الوليد بن سليمان، وله عليه مصنف، بيَّن شواهده من الأحاديث الصحيحة، وقال الحافظ أبو موسى المديني بعد أيراده له بتمامه: وهذا الحديث وإن كان فيه نكارة، وفي إسناده من تُكلم فيه، فعامَّة ما فيه يروى مفرقًا من أسانيد ثابتة، ثم تكلم على غريبه.

قلت: ونحن نتكلم عليه فصلًا فصلًا، وبالله المستعان. اهـ المراد.

وذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٦٨) من صححه، ومن ضعفه، ثم قال: وقول عبدالحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي. اهـ

روى أبو بكر بن أبي داود في «البعث» (٤٢) فقال حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال ثنا سعد، قال ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا: «... **بين النفختين: أربعون عامًا. فيمطر الله في تلك الأربعين مطرًا؛ فينبتون في الأرض، كما ينبت البقل**».

إسحاق بن إبراهيم وهو المعروف بشاذان، صدوق، كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ١١) زاد الذهبي في «السير» (١٢/ ٣٨٣) ذكره أبو حاتم البستي في «الثقات» وقد سمع من جده سعد بن الصلت. اهـ =

حتى إذا تمَّ خلقُهُم وتركيبُهم؛ أمر الله إسرافيل بأن ينفخ في الصور النفخة[١] الثانية، فيقوم الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفّار والمنافقون حينئذ: ﴿يَٰوَيۡلَنَا

= وسعد هو ابن الصلت، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٣٧٨) وقال: (ربما أغرب). وترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. وبقية رجاله ثقات.

وفي بعض متنه مخالفة لما في الصحيح، وهذا من غرائب سعد بن الصلت. والله أعلم.

فالخلاصة أن الذي ثبت في الصحيح نزول الماء بعد النفخة الأولى، وأما تشبيهه بمنى الرجال، كما في أثر ابن مسعود، وأن أمده أربعون يومًا حتى يبلغ اثنى عشر ذراعًا، كما في حديث الصور.

وفي حديث أبي هريرة الذي رواه أبوبكر: (أن أمده أربعون عامًا) فلا يصح عن النبي ﷺ.

(١) اختلف أهل العلم في عدد النفخات، فمنهم من قال نفختان، ومنهم من قال ثلاث، ومنهم من قال أربع، والصحيح أنهما نفختان؛ لحديث أبي هريرة في الصحيحين، مرفوعًا: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة يومًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنةً؟ قال: أبيت... الحديث.

وحديث عبد الله بن عمرو في مسلم (٢٩٤٠) مرفوعًا، وفيه: «**ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى** -أي: أمال- **ليتًا، ورفع ليتًا**» والليت صحفة العنق، وهي جانبه.

قال: «**وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حوض إبله. قال فيصعقُ، ويصعق الناس. ثم يرسلُ الله - أو قال: ينزل الله - مطرًا كأنه الطل أو الظّلّ (نعمان الشاك) فتنبتُ منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون**».

وهذا ظاهر قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨].

ولا يعارض ما تقدم قول الله في سورة النمل ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾[النمل:٨٧].

فقد ثبت الاستثناء في الآيتين والحديث، وهو قوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾[الزمر:٦٨]. ولا يلزم في مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معًا من النفخة الأولى. انظر الفتح (١١/ ٣٦٩- ٣٧٠) للحافظ.

وأما ما جاء في حديث (الصور): «**أن النخفات ثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخةُ القيام لرب العالمين**».

فهو حديث ضعيف، وقد سبق كلام أهل العلم عليه ص(٢٠٦-٢٠٨) في الحاشية. =

مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾[يس: ٥٢]، يقول المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[يس: ٥٢].

ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاةً غير مُنْتَعلين، عُراةً غير مكتسين، غُرلًا غير مختتنين؛ جمع أغرل، وهو الأقلف، والغُرلة: القَلَفة.

وأول من يكتسي يوم القيامة إبراهيم؛ كما في الحديث[(١)].

وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويُلْجِمُهم العرق، فمنهم مَن يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم مَن يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ترقوته؛ كلٌّ على قدر عمله، ويكون أناسٌ في ظلِّ الله عزّ وجلّ.

فإذا اشتدَّ بهم الأمر، وعظُمَ الكرب؛ استشفعوا إلى الله عزّ وجلّ بالرسل والأنبياء أن ينقذوهم مما هم فيه، وكلُّ رسولٍ يحيلهم على مَن بعده؛ حتى يأتوا نبيّنا ﷺ، فيقول: «**أَنَا لَهَا**»[(٢)]، ويشفع فيهم، فينصرفون إلى فصل القضاء.

= **فائدة:** روى أبو بكر بن أبي داود في «البعث» (٤٢) وابن مردويه كما في «الفتح» (٨/ ٥٥٢) من طريق سعد بن الصلت، قال: ثنا الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا، وفيه تعيين الأربعين بين النفختين بالأعوام. قال الحافظ: وهو شاذ.

قلت: وسعد بن الصلت ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: (ربما أغرب). وترجمه ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. وهذا من غرائب سعد والله أعلم.

(١) الذي رواه البخاري (٣٣٤٩) ومسلم تحت رقم: (٢٨٦٠).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

وهناك تُنْصَبُ الموازين، فتوزَنُ بها أعمال العباد، وهي موازين[(١)] حقيقية، كل ميزان منها له لسانٌ[(٢)] وكفَّتان، ويقلِبُ الله أعمال العباد -وهي أعراضٌ- أجسامًا؛ لها

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية [الأنبياء:٤٧]: الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه. اهـ المراد.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٥٣٨) بعد أن ذكر الخلاف: والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يُشكِل بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا. اهـ المراد.

والأدلة متكاثرة في إثبات «الميزان». منها:

قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾[الرحمن:٧] وقوله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» متفق عليه، عن أبي هريرة، وقوله ﷺ في ساقي عبد الله بن مسعود: «**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد**» رواه أحمد وغيره، عن ابن مسعود، وقوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان...**» رواه مسلم وغيره عن أبي مالك الأشعري، وقوله ﷺ: «**وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع**» في الصحيحين عن أبي هريرة، وفي حديث النواس بن سمعان عند أحمد: «**والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه**» وهو صحيح.

واختلف في الموزون، هل هو العمل، أم صاحبه، أم محله وهي الصحائف، وقد وردت الأدلة، بهذه الأمور كلها، وأكثرها في وزن العمل.

قال ابن كثير في تفسير سورة الأعراف (٨، ٩) بعد أن ذكر هذه الأمور الثلاثة، وبعض أدلتها: (وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها)، والله أعلم.

وقال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٢/ ٦١٣) بعد أن ذكر الأنواع الثلاثة وبعض أدلتها: (فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال).

وقال ابن باز رحم الله الجميع: الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة، يكون بالعمل نفسه، لا بذات العامل، ولا بالصحيفة.

(٢) لسان الميزان: عَذَبَتُه، وعذبته: طرفه الدقيق. اهـ «لسان الميزان» مادة (لسن) و(عذب).

ولم أقف على حديث مرفوع، بأن للميزان لسانًا، وإنما الذي وقفت عليه، ما أخرجه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٢١٠) فقال رحمه الله: أنا القاسم بن جعفر، أنا علي بن إسحاق، قال: نا علي بن حرب، ثنا الأسود بن عامر، ثنا هريم، عن عبدالملك بن أبي سليمان، قال: ذكر الميزان عند الحسن، فقال: (له لسانٌ وكفتان) وزاد السيوطي في «الدر» تفسير سورة الأعراف آية (٨، ٩) عزوه إلى ابن المنذر من طريق عبدالملك بن أبي سليمان به.

وهذا سند حسن إلى الحسن البصري رحمه الله. =

ثقلٌ، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧].

ثم تُنْشَر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فأما مَن أُوتي كتابه بيمينه؛ فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، وينقلب إلى أهله مسرورًا، [وأما من أوتي كتابه بشماله أو من

= والقاسم بن جعفر هو الهاشمي، ثقة أمين صدوق، كما في «تأريخ بغداد» (١٢/ ٤٥١-٤٥٢) وشيخه علي بن إسحاق، هو أبو الحسن المادرائي، صنف المسند، وجمع وحدث ببلده أي البصرة، وبمكة سمع علي بن حرب، وروى عنه القاسم بن جعفر، كما في «الأنساب» للسمعاني (٥/ ١٦٠) وعلي بن حرب هو الطائي.

وجاء عن ابن عباس. قال البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٦٣) وقد روى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، فذكره بزيادة فيه. ثم ذكره من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي فذكره.

وقال السيوطي في «الدرالمنثور» أوائل الأعراف: أخرج أبو الشيخ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. اهـ

ومحمد بن السائب الكلبي كذاب، وهكذا محمد بن مروان، وهو السدي، وأبو صالح هو مولى أم هانئ ضعيف.

ولكن قد نُقِلَ إجماع أهل الحق والسنة على أن الميزان حقيقي، له لسان وكفتان. انظر «فتح الباري» لابن حجر شرح حديث (٧٥٦٣)، و«لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ١٨٥)، وكتاب «الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار» لغالب عواجي.

وأما الكفتان، فقد صح ذكرهما، في حديث عبد الله بن عمرو، في قصة البطاقة، وفيه: «**فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة؛ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة...**» والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا (١/ ٥٣٤) و«الصحيحة» للألباني (١/ ٢١٣) رحمهما الله.

وفي حديث عبد الله بن عمرو أيضًا مرفوعًا: «**إنَّ نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة، قال لابنه آمرك بـ(لا إله إلا الله)، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كِفة، ووضعت لا إله إلا الله في كِفة، رجحت بهن لا إله إلا الله...**» رواه أحمد والبيهقي في «الأسماء والصفات» والبخاري في الأدب المفرد، وهو في «الصحيحة» (١٣٤) و«الصحيح المسند» لشيخنا (١/ ٥٣٤) ط أولى.

وصح عن سلمان من قوله: «**وبوضع الميزان وله كفتان...**» رواه اللالكائي (٢٢٠٨)، والآجري في «الشريعة» ص(٣٨٢)، واللفظ للالكائي.

وراء ظهره[(١)]]، فسوف يدعو ثبورًا، ويصلى سعيرًا، ويقول: يا ليتني لم أوتَ كتابيه، ولم أدرِ ما حسابيه؛ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩].

وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾[الإسراء: ١٣]؛ فقد قال الراغب: (أي: عمله الذي طار عنه من خيرٍ وشرٍّ).

ولكن الظاهر أن المراد بالطائر هنا نصيبه في هذه الدنيا، وما كُتِب له فيها من رزق وعمل؛ كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ﴾[الأعراف: ٣٧].

يعني: ما كُتِبَ عليهم فيه.

(وَيُحَاسِبُ اللهُ [الخَلائِقَ][(٢)]، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الكُفَّارُ؛ [فَلا يُحَاسَبُونَ][(٣)] مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ [فَإِنَّهُ][(٤)] لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، [فَتُحْصَى][(٥)]، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا [وَيُجْزَوْنَ بِهَا][(٦)]).

---

(١) الصواب: أن يقال بشماله، من وراء ظهره، عملًا بآية الحاقة والإنشقاق، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾[الانشقاق:١٠] أي: بشماله من وراء ظهره، تُثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها.

(٢) في (أ)، و(ب): الخلق.

(٣) في (ب): فيحاسبون.

(٤) في (أ)، و(ب): فإنهم.

(٥) في (أ)، و(ب)، و(م): وتحصى.

(٦) زيادة من (أ)، و(ب)، و(م). سقطت من المطبوع.

/ ش/ قوله: (**ويحاسب الله الخلائقَ...**) إلخ؛ المراد بتلك المحاسبة تذكيرهم وإنباؤهم بما قدَّموه من خير وشرٍّ أحصَاه الله ونسوه؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ١٠٨].

وفي الحديث الصحيح: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ**».

فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! أوليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٨]؟

فقال: «**إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكُ**»[(١)].

وأما قوله: (**ويخلو بعبده المؤمن**)؛ فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الله عز وجل يُدني منه عبده المؤمن، فيضع عليه كَنَفَه، ويحاسبه فيما بينه وبينه، ويقرِّره بذنوبه، فيقول: ألم تفعل كذا يوم كذا؟ ألم تفعل كذا يوم كذا؟ حتى إذا قرَّره بذنوبه، وأيقن أنه قد هلك؛ قال لـه: سترتُها عليك في الدِّنيا وأنا أغفرها لك اليوم[(٢)].

وأما قوله: (**فإنه لا حسنات لهم**)؛ يعني: الكفار؛ لقوله تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]،

---

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها، ومعنى قوله (نوقش) أي: استُقْصِيَ عليه. قال القاضي: وقوله: (عُذّب) له معنيان: أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب، والتوقيف عليها هو التعذيب، لما فيه من التوبيخ.
والثاني: أنه مفضٍ إلى العذاب بالنار.
ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: (هلك)، مكان (عذب). هذا كلام القاضي.
وهذا الثاني هو الصحيح، ومعناه أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك، ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن شاء. اهـ شرح النووي.

(٢) رواه البخاري رقم: (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) وتمامه: «**فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:١٨]».

وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ﴾[إبراهيم: ١٨].

والصحيح [أن](١) أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى(٢) بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء.

---

(١) ليس في الأصل لفظ [أن] ولكن يقتضيه السياق. إسماعيل الأنصاري.

(٢) لحديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنةً، يُعْطى بها في الدنيا، ويُجْزى بها في الآخرة. أما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا. حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنةٌ يجزى بها**». رواه مسلم (٢٨٠٨).

ثم ذكر الشارح القول الثاني بصيغة التمريض، مما يدل على ضعفه.

ومما يزيده ضعفًا قول الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾[إبراهيم:١٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[النور:٣٩] وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[الفرقان:٢٣].

وحديث عائشة في «صحيح مسلم» (٢١٤) قالت يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه؛ لأنه لم يقل يومًا: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**».

وحديث سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ، قال: قلنا: يا رسول الله، إن أُمنا مليكة كانت تصل الرحم، وتُقري الضيف، وتفعل وتفعل، هلكت في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئًا؟ قال: «**لا**» قال: قلنا: فإنها كانت وأدت أختًا لنا في الجاهلية، فهل ذلك نافعها شيئًا؟ قال: «**الوائدة والموءودة في النار، إلا أن تدرك الوائدة الإسلام، فيعفو الله عنها**».

رواه أحمد (٣/ ٤٧٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٤٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٧٤) وغيرهم، وهو حديث صحيح، وهو من الأحاديث التي ألزم الدارقطني البخاري ومسلمًا أن يخرجاها.

فمليكة هذه عملت بعض الأعمال الخيرية، إلا أنها ماتت على الكفر، وكذلك وأدت بنتًا لها، فلم ينفعها ذلك شيئًا، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن «**الوائدة والموءودة في النار**» فالوائدة دخلت النار لكفرها وفعلها والموءودة لكفرها، وهذا الحديث من أدلة القائلين بتعذيب أطفال المشركين، وهو قول مرجوح، والصحيح أنهم في الجنة، لحديث سمرة بن جندب في البخاري (٧٠٤٧): «**وأما**=

وقيل: يخفَّف بها عنه من عذاب غير الكفر.

(وَفِي [عَرَصَاتِ][(١)] القِيَامَةِ الحَوضُ المَوْرُودُ [لِلنَّبِيِّ][(٢)] ﷺ، ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ [لاَ][(٣)] يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا).

/ ش/ وأما قوله: (**في عَرَصَات القيامة...**)؛ فإن الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حدَّ التواتر، رواها من الصحابة بضعٌ وثلاثون صحابيًّا، فمَن أنكره؛ فأَخْلِق به أن يُحالَ بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر، وقد ورد في أحاديث:

«**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا**»[(٤)].

= **الولدان الذين حوله (أي: إبراهيم)، فكل مولودٍ مات على الفطرة**» قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وأولاد المشركين**».

وقد قال النبي ﷺ: «**كل مولودٍ يولد على الفطرة...**» والفطرة هي الإسلام.

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن عياض بن حمار «**وخلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجْتالتهم عن دينهم**».

إلى غير ذلك من الأدلة.

وأما قوله ﷺ في الحديث السابق: «**والموءودة في النار**» فيحمل على أنه واقعة عين كما قاله بعض أهل العلم، أو أن غيره من الأدلة أرجح منه، والله أعلم. لاسيما وقد استدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ على أن أطفال المشركين لا يعذبون بل هم في الجنة.

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): عرصة.

(٢) في (أ)، و(ب)، و(م): لمحمد.

(٣) في (أ)، و(م): ثم.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٢) رقم: (٦٨٨١)، و«مسند الشاميين» رقم: (٢٦٤٧)، والبخاري في «التأريخ الكبير» (١/ ٤٤) من طريق محمد بن بكَّار الدمشقي، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيُّهم أكثر واردةً، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردةً**». =

= قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، وقد رَوَى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث، عن النبي ﷺ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح. اهـ

والأشعث بن عبد الملك ثقة، وهو متابع أيضًا.

قال الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» رقم: (٤٠٤) برواية نعيم بن حماد، أنا هشام بن حسان، عن الحسن مرسلًا فذكره، وهشام ثقة، أثبت الناس في ابن سيرين، وفي روايته عن الحسن وعطاء مقال.

قال الحافظ ابن كثير في «النهاية» وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا خالد بن خداش - في «النهاية» خراش، والصواب ما اثبتناه-، حدثنا حزم بن أبي حزم، سمعت الحسن البصري يقول: قال رسول الله ﷺ فذكره مع زيادة فيه.

قال الحافظ ابن كثير: وهو مرسل عن الحسن، وهو حسن، صححه يحيى بن سعيد القطان، وغيره وقد أفتى شيخنا المزي بصحته، من هذه الطرق. اهـ

والأمر كما يقول الحافظ بأن هذا المرسل، بهذا الإسناد حسن، فخالد بن خداش صدوق، وشيخه ثقة، كما في التحرير. وأما الحافظ ابن حجر، فقد صحح هذا الإسناد كما في «الفتح» (١١/ ٤٦٧).

والإسناد المرفوع فيه سعيد بن بشير، وهو الأزدي ضعيف قال ابن نمير: يروي عن قتادة المنكرات. اهـ وعنعنة قتادة والحسن، فإنهما مدلسان، وقد رُوي مرسلًا، وهو الصحيح كما تقدم، ولحديث سمرة طريق أخرى.

أخرجها الطبراني في «الكبير» (٧/ رقم: ٧٠٥٣) فقال رحمه الله: حدثنا موسى بن هارون، ثنا مروان بن جعفر السمري، ثنا محمد بن إبراهيم بن خبيب بن سليمان بن سمرة، ثنا جعفر بن سعد بن سمرة، عن خبيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه، عن سمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحابًا من أمته، فأرجو أن أكون يومئذٍ أكثرهم كلَّهم واردَهُ، فإنه -هكذا في الأصل، والذي يقتضيه السياق [فإن]- كل رجل منهم يومئذٍ قائم على حوض ملآن، معه عصا يدعو من عرف من أمته، ولكل أمة سيًا يعرفهم بها نبيهم**».

سنده مسلسل بالمجاهيل، والضعفاء سوى شيخ الطبراني وشيخه، فسليمان بن سمرة مجهول حال، وابنه خبيب روى عنه ابن عمه جعفر بن سعد بن سمرة وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال ابن حزم: مجهول، وقال عبد الحق: ليس بالقوي، وقرأت بخط الذهبي لا يعرف. اهـ من «تهذيب التهذيب».

وجعفر بن سعد ضعيف، ومحمد بن إبراهيم بن خبيب، ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ١٨٦) وقال روى عن جعفر، روى عنه مروان بن جعفر رسالة سمرة، سمعت أبي يقول ذلك، ومروان بن جفعر، صدوق صالح الحديث، قاله أبو حاتم كما في «الجرح والتعديل». =

= وموسى بن هارون ثقة، حافظ كبير، عالم كما في «السير» (١٢/ ١١٦) و «تأريخ بغداد» (١٣/ ٥٠).

فحديث سمرة الصحيح فيه الإرسال، وله شاهدان، يحسن بهما:

١- حديث أبي سعيد الخدري. أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» كما في «النهاية» لابن كثير، ص(٢٠٤، ٢٠٧) ط. دار الكتب العلمية، قال رحمه الله: حدثنا محمد بن سليمان الأسدي، حدثنا عيسى بن يونس، عن زكريا، عن عطية، عن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لي حوضًا، ما بين الكعبة إلى بيت المقدس، أشد بياضًا من اللبن، آنيته عدد النجوم، وكل نبي يدعو أمته، ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه النفر، ومنهم من يأتيه الرجلان والرجل، ومنهم من لا يأتيه أحد، فيقال: لقد بلغت، وإني لأكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة**».

رجاله ثقات إلا عطية، وهو ابن سعد العوفي، ضعيف، وشيعي ومدلس.

وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٠٩-١١٠) حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، ثنا أبو محمد أحمد بن سليمان بن أيوب الوشاء المديني، ثنا سعيد بن يحيى بن الأزهر الواسطي، ثنا إسحاق الأزرق، ثنا زكريا بن أبي زائدة به.

ورواه ابن ماجة (٤٣٠١) مختصرًا.

٢- حديث ابن عباس، رواه ابن أبي الدنيا، كما في «النهاية» لابن كثير ص(١٩٨، ٢٠٧) قال رحمه الله: حدثنا العباس بن محمد، حدثنا الحسين بن محمد المروزي، حدثنا محصن بن عقبة اليماني، عن الزبير بين شبيب، عن عثمان بن حاضر، عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء؟ قال: «**إي والذي نفسي بيده، إن فيه لماء، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء**».

قال الحافظ، وهذا الحديث غريب من هذا الوجه، وليس في شيء من الكتب الستة. اهـ

ورواه ابن مردويه، كما في «تفسير ابن كثير» تفسير سورة الأنعام آية (١٢)، من طريق العباس بن محمد به.

عثمان بن حاضر ثقة، والزبير بن شبيب، ومحصن بن عقبة اليماني، قال الألباني رحمه الله: لم أجد من ترجمهما، كما في «الصحيحة» (١٥٨٩) وقال رحمه الله وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٦٧): وقد اشتهر اختصاص نبينا بالحوض، لكن أخرج الترمذي وذكر الحديث المتقدم، ثم قال: وإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ: الكوثر، الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الإمتنان عليه به، في السورة المذكورة، قال القرطبي في «المفهم» تبعًا للقاضي عياض في غالبه: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدًا ﷺ بالحوض المصرّح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة =

ولكن حوض نبيِّنا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا.

جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

(وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ[(١)] عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالبَرْقِ [الخاطف][(٢)]، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ [كَرِكَابِ][(٣)] الإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمَنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الجِسرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِم مِّن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ)[(٤)].

= الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي... وأجمع على إثباته السلف، وأهل السنة من الخلف....

فائدة: وأما حديث عبد الكريم بن كيسان، عن سويد بن عُمير، قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتبعني من الأنبياء، ويبعث الله ناقة ثمود لصالح فيحلبها فيشربها والذين آمنوا معه حتى توافى بها الموقف معه ولها رغاء...**».

رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٦٤) وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٤٤)، وقال العقيلي في عبد الكريم مجهول بالنقل، حديثه غير محفوظ، وقال فيه الذهبي من (المجاهيل، وحديثه منكر) وقال ابن الجوزي عقبه هذا حديث موضوع لا أصل له، وذكر كلام العقيلي.

(١) في (أ)، و(م) زيادة: [عَلَيْهِ].

(٢) زيادة من (م)، ومضروب عليها في (ب).

(٣) في (ب): كراكب.

(٤) لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا** =

/ ش/ قوله: (**والصراط منصوبٌ**...) إلخ. أصل الصراط الطريق الواسع؛ قيل: سمي بذلك لأنه يسترط السابلة؛ أي: يبتلعهم إذا سلكوه، وقد يستعمل في الطريق المعنوي؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام: ١٥٣].

والصراط الأخروي الذي هو الجسر الممدود على ظهر جهنَّم بين الجنة والنار[(١)] حقٌّ لا ريب فيه؛ لورود خبر الصادق به، ومَن استقام على صراط الله الذي هو دينه الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة، وقد ورد في وصفه أنه: «**أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»[(٢)].

= **هذبوا ونقوا أذِن لهم في دخول الجنة، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»، رواه البخاري برقم: (٢٤٤٠، ٦٥٣٥).

قال القرطبي في «التذكرة»: معنى «**يخلص المؤمنون من النار**»، أي: يخلصون من الصراط المضروب على النار... وأما من دخل النار ثم خرج بالشفاعة أو غيرها فهؤلاء لا يحبسون، بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة. اهـ بتصرف يسير.

قال الحافظ: واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: أنهما صراطان وبهذا الثاني جزم القرطبي.

(١) جاء في حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «**الصراط طريق بين الجنة والنار**...» وسنده ضعيف.

وسيأتي ذكره في الحاشية في وصف الصراط، والمعتمد ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد: «**ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم**».

وحديث أبي هريرة المتفق عليه أيضًا: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم**».

(٢) جاء في آخر حديث أبي سعيد الطويل الذي رواه مسلم (١٨٣)، قال أبو سعيد: (بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف).

وممن روى حديث أبي سعيد ابن مندة في «الإيمان» (٢/ ٨٠٢) وفي آخره قال سعيد بن أبي هلال فذكره. وأخرجه ابن المبارك وابن أبي الدنيا، وهو مرسل أو معضل، قاله الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٥٤)، وهو عند ابن المبارك في «الزهد» رواية نعيم برقم (٤٠٦)، ومن طريقه أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» برقم (٢٣) وفي سنده رشدين بن سعد المصري، ضعيف، ولفظه: بلغني أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع. =

= وروى البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٢/ ٢٤٥-٢٤٦) من طريق سعيد بن زربي عن يزيد الرقاشي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**إن على جهنم جسرًا أدق من الشعر، وأحد من السيف، أعلاه نحو الجنة، دَحْضٌ مزلّةٌ، بجنبتيه كلاليب...**» قلت: وسعيد بن زربي هو الخزاعي البصري، ويزيد هو ابن أبان. وكلاهما ضعيف جدًا، والأول أضعف من الثاني.

قال البيهقي: وروى عن زياد النميري، عن أنس مرفوعًا: «**الصراط كحد الشفرة، أو كحد السيف**» وهي أيضًا رواية ضعيفه.

وروى بعض معناه، عن عبيد بن عمير، عن النبي ﷺ مرسلًا، وجاء عنه من قوله.

قلت: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم: (٤٠٣) برواية نعيم، أخبرنا هشام بن حسان عن موسى بن أنس عن عبيد بن عمير: (أن الصراط مثل السيف، على جسر جنهم، وإن بجنبيه كلاليب وحسك، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر).

وجاء عن الفضيل بن عياض، بلاغًا كما في «الفتح» (١١/ ٤٥٤).

وقد صح عن النبي ﷺ، وصف الصراط بأنه كحد الموسى، أو كحد السيف. وأما وصفه بأنه أدق من الشعر، فلا أعلم لهذا شاهدًا يصح به عن النبي ﷺ.

ثم وقفت على حديث عائشة مرفوعًا عند الإمام أحمد (٤١/ ٣٠٢) وفيه: «**ولجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف**» وفي سنده عبدالله بن لهيعة، ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح، لكن قوله في الحديث في الصراط بأنه أدق من الشعر، لا يتقوى ببلاغ أبي سعيد، وأما حديث أنس فضعيف جدًّا كما تقدَّم.

وروى الدارقطني في «الرؤية» (١٦٢) من طريق أحمد بن محمد بن عيسى البرقي، والحاكم (٢/ ٣٧٦) من طريق السري بن خزيمة، (٤/ ٥٨٩) من طريق أحمد بن حازم بن أبي عزرة الغفاري، والطبراني في «الكبير» (٩/ رقم: ٩٧٦٣) من طريق علي بن عبدالعزيز، كلهم عن أبي غسان مالك بن إسماعيل النهدي، ثنا عبد السلام بن حرب، حدثنا يزيد بن عبد الرحمن، أبو خالد الدالاني، ثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: (يجمع الله الناس يوم القيامة) فذكر الحديث بطوله، وفيه: (فيمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحضٌ مزلة).

سنده حسن. والدالاني، قال فيه ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: صدوق ثقة. كما في «الجرح والتعديل» (٩/ ٢٧٧) وتكلَّم فيه بعضهم بما لا ينزله عن درجة الاحتجاج، وبقية رجاله ثقات. =

= وقد تابع يزيد بن عبد الرحمن الدالاني على رفع الحديث، زيد بن أبي أنيسة، عند عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٢٠-٥٢٤) والدارقطني في «الرؤية» (١٦٣) والطبراني في «الكبير» (٩/ رقم: ٩٧٦٣). وزيد بن أبي أنيسة ثقة له أفراد كما في «التقريب».

ورواه الدارقطني أيضًا في «الرؤية» (١٦٠)، (١٦١)، والطبراني في «الكبير» (٩/ رقم: ٩٧٦٤) من طريق أبي طيبة عن كرز بن وبرة، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه مرفوعًا فذكره.

وأبو طبية هو عيسى بن سليمان بن دينار، روى عنه ورقاء، وابناه أحمد وعبد الواسع، كما في «الجرح والتعديل» ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا. وذكره ابن حبان في «الثقات» وشيخه كرز، روى عنه جمع كما في «الجرح والتعديل» وذكره ابن حبان في «الثقات» فهما مستوران، وبقية رجاله ثقات، غير أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، ولكن قد تقدم ذكر الواسطة، وهذا الإسناد أيضًا في الشواهد.

فصح الحديث عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا، والحمد لله.

ورواه الدارقطني في «الرؤية» (١٦٤) من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، وقيس بن السكن، قالا: قال عبد الله، وذكر طرفًا من الحديث، ثم قال الدارقطني وساق الحديث بطوله، ولم يرفعه ولم يذكر مسروقًا.

ورجاله ثقات عن آخرهم إلى شيخ الدارقطني غير أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، لكنه مقرون بقيس بن السكن، وهو من أصحاب ابن مسعود.

وله شواهد:

١- حديث زياد النميري عن أنس مرفوعًا، وقد تقدم.

٢- حديث سلمان الفارسي.

أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٦) من طريق هدبة بن خالد، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان عن النبي ﷺ قال: «... **ويوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**». هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وأخرجه الآجري في «الشريعة» ص(٣٨٢) فقال رحمه الله: أخبرنا الفريابي، قال حدثنا عبيدالله بن معاذ، قال حدثنا أبي، قال حدثنا حماد بن سلمة به، عن سلمان موقوفًا.

ورواه اللالكائي (٢٢٢١) فقال رحمه الله: أنا عيسى بن علي، قال أنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز، قال أبو نصر التمار، قال أنا حماد، عن ليث عن أبي عثمان عن سلمان موقوفًا. =

(وَأَوَّلُ مَن يَّسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَن يَّدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ).

/ ش/ قوله: (**وأوّل من يستفتح باب الجنة محمّد ﷺ**)؛ يعني: أول من يحرك حلقها طالبًا أن يُفْتَح له بابها؛ كما قال ﷺ:

= قال شيخنا في تعليقه على «المستدرك» (٥/ ٥٠) وهذا أصح أي الموقوف.

٣- جاء في حديث «الصور» الطويل: «**ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم، كحد الشفرة، أو كحد السيف، عليه كلاليب، وخطاطيف**».

وإن كان الحديث ضعيفًا، لكن لبعض فقراته شواهد، وهذا منها. وقد تقدم كلام أهل العلم عليه، في الحاشية.

٤- حديث هشام بن عمار الدمشقي، قال حدثنا صدقة بن خالد، قال حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد عن القاسم، عن أبي أمامة: أن عائشة سألت النبي ﷺ عن الصراط، فقال: «**طريق بين الجنة والنار، يجاز الناس عليها، وهي مثل حد الموسى، والملائكة صافون يمينًا وشمالًا، يتخطفونهم بكلاليب مثل شوك السعدان، يقولون: رب سَلِّم سَلِّمْ، وأفئدتهم هواء، فمن شاء الله عز وجل سلمه، ومن شاء كبكبه فيها**».

أخرجه الآجري في «الشريعة» ص(٣٨٥-٣٨٦). وسنده ضعيف.

عثمان بن أبي العاتكة قال الحافظ: صدوق، ضعفوه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني.

وعلي بن يزيد هو الألهاني ضعيف، ويشتد ضعفه في روايته عن القاسم عن أبي أمامة.

والقاسم هو ابن عبد الرحمن، صاحب أبي أمامة حسن الحديث.

ولحديث عائشة طريق آخر عند أحمد كما سبق، وفي سنده ابن لهيعة، وفيه وصف الجسر بأنه كحد السيف.

٥- ما أخرجه ابن أبي الدنيا كما في «النهاية» لابن كثير (٢/ ٢٦٨) ط. دار الكتب العلمية. حدثني محمد بن إدريس، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الرحمن حدثني رجل من كندة، قال: دخلت على عائشة وبيني وبينها حجاب... قلت: أحدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحدٍ شفاعة... وأخبرته أنه أخبرها ببعض صفات الصراط، ومن ذلك: يستحد حتى يكون مثل شعرة السيف.

وفي سنده مبهم.

«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الجَنَّةِ، فَأَدْخُلُهَا وَيَدْخُلُهَا مَعِي فُقَرَاءُ أُمَّتِي»[(١)].

---

(١) صحيح لغيره. إلا دخول فقراء أمته معه ﷺ، وكأن الشارح رحمه الله جمع جمل هذا الحديث من حديثين. والله أعلم.

الأول: عن عبد الله بن عباس، رواه الترمذي (٣٦١٦)، أن النبي ﷺ، قال: فذكر الحديث وفيه: «**ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مُشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يُحرّكِ حِلق الجنةِ، فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**».

قال أبو عيسى: حديث غريب.

وسنده ضعيف، لأنه من طريق زمعة بن صالح وهو ضعيف.

الثاني: ما رواه الترمذي أيضًا رقم: (٣١٤٨، ٣٦١٥) من طريق سفيان عن ابن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيٍّ يومئذٍ آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**».

قال أبو عيسى، وفي الحديث قصة، وهو حديث حسن صحيح.

وقد روى بهذا الإسناد عن أبي نضرة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

قلت: على بن زيد بن جدعان ضعيف.

ولفقرات الحديث الذي ذكره الشارح، شواهد كثيرة نذكر بعضها.

فيشهد لأوله ما في البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة، قال أتى رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه، الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» ثم ذكر حديث الشفاعة.

ويشهد للفقرة الثانية منه. ما رواه الترمذي (٣٦٩٢) عن ابن عمر مرفوعًا: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض...**»، وفي سنده عاصم بن عبد الله العمري، وهو ضعيف.

ويشهد للفقرة الثالثة منه. ما رواه مسلم تحت رقم: (١٩٦) عن أنس مرفوعًا. «**أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**».

وما رواه أيضًا برقم: (١٩٧) عن أنس أيضًا مرفوعًا: «**آتي باب الجنة يوم القيامة، فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك**».

وأما الفقرة الأخيرة وهي: «**دخول فقراء أمته معه ﷺ**» فلا أعلم لها شاهدًا. ولا يَحْسُنُ أن يُستشهد لها بحديث أبي هريرة مرفوعًا: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**» لأن فيه أن الفقراء يسبقون الأغنياء في الدخول، وليس فيه أنهم يدخلون مع النبي ﷺ.

يعني: بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكون فقراء هذه الأمة أول الناس دخولًا الجنة.

(وَلَه [ﷺ][(١)] فِي القِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُوْلَى؛ فَيَشفَعُ فَي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسى ابْنُ مَرْيَمَ [عَنِ][(٢)] الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ[(٣)].

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَن يَّدْخُلُوا الجَنَّة.

وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

(٧- ب) أ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ؛ فَيَشْفَعُ/ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ [النَّبِيِّينَ][(٤)] وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، [فَيَشْفَعُ][(٥)] فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَن لاَّ يَدْخُلَهَا[(٦)]، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَن يَّخْرُجَ مِنْهَا.

---

(١) زيادة من (م).

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) كما في حديث أبي هريرة، في البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

(٤) في (ب): الأنبياء.

(٥) في (أ)، و(ب): يشفع.

(٦) قول ابن تيمية رحمه الله: فيشفع فيمن استحق النار، أن لا يدخلها.

دليل ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في «كتاب الأهوال» كما في «النهاية» لابن كثير (٢/ ١٨١-١٨٢) ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، حدثني محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، حدثني زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن أبي هريرة، وذكر حديثًا عن أبي هريرة.

ثم قال المنهال: حدثني عبد الله بن الحارث أيضًا، أن النبي ﷺ قال: «**أُمِرَّت بقوم من أمتي قد أمِرَ بهم إلى النار، قال: فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلق** =

وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغيرِ شَفَاعَةٍ؛ [بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ][(١)]، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ).

/ ش/ وأما قوله: (**وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات**)؛ فأصل الشفاعة من قولنا: شفع كذا بكذا إذا ضمّه إليه، وسمي الشافع شافعًا لأنه يضمُّ طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له.

= **وأستأذن على الرب عز وجل، فيأذن لي فأسجد وأقول: يا رب قومٌ من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فيقول لي: انطلق فأخرج منهم، قال: فانطلق وأخرج منهم من شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد، ننشدك الشفاعة؟ فأرجع إلى الرب، فأستأن، فيؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأثنى على الله بثناء لم يثنِ عليه أحد، أقول: ثمَّ قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم، قال: فأقول: يا رب أخرج منهم، من قال: لا إله إلا الله، ومن كان في قلبه حبة من إيمان؟ قال: فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي. قال: فانطلق وأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهلُ النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به، أدخلكم النار، قال: فيحزنون لذلك.**

قال: فيبعثُ الله ملكًا بكفٍ من ماء فينضح بها في النار، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون ويدخلون الجنة، فيقال: انطلقوا فتضيَّفوا الناس، فلو أنهم جمعيهم نزلوا برجل واحدٍ، كان لهم عنده سعةٌ ويسمون المحررين».

قال الحافظ ابن كثير: وهذا السياق يقتضي تعداد هذه الشفاعة، فيمن أُمِر بهم إلى النار، ثلاث مرات، أن لا يدخلوها ويكون معنى قوله (أخرج) أي (أنقذ) بدليل قوله بعد ذلك (ويبقى قومٌ فيدخلون النار). والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

قال شيخنا في كتابه «الشفاعة» ص(١٢٦) الحديث رجاله رجال الصحيح، إلا إسماعيل بن عبيد ابن أبي كريمة، وقد وثقه الدارقطني، وقال الجعابي: يحدث عن ابن سلمة بعجائب.

كما في «تهذيب التهذيب» و«الميزان» ويُخشى أيضًا من إرساله، فيحتمل أن يكون عبد الله بن الحارث، سمعه من أبي هريرة، ويحتمل أن يكون أرسله. والله أعلم. اهـ فيتوقف في الحديث.

(١) في (أ)، و(ب): بفضل رحمته.

والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة؛ قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥]

فنفي الشفاعة بلا إذن إثباتٌ للشفاعة من بعد الإذن.

قال تعالى عن الملائكة: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[النجم: ٢٦].

فبيَّن الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قوله وعمله.

وأما ما يتمسَّك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر: ٤٨]، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾[البقرة: ١٢٣]، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[الشعراء: ١٠٠].. إلخ؛ فإن الشفاعة المنفيَّة هنا هي الشفاعة في أهل الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها المشركون لأصنامهم، ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان، وهي التي تكون بغير إذن الله ورضاه.

وأما قوله: (**أما الشفاعة الأولى؛ فيشفع في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم**)؛ فهذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيُّون، والذي وعده الله أن يبعثه إياه بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩].

يعني: يحمده عليه أهل الموقف جميعًا.

وقد أمرنا نبيُّنا ﷺ إذا سمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه:

«**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ**»[(١)].

---

(١) رواه البخاري رقم: (٦١٤) عن جابر.

وأما قوله: (**وأما الشفاعة الثانية؛ فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة**)؛ يعني: أنهم - وقد استحقُّوا دخول الجنة - لا يؤذن لهم بدخولها إلا بعد شفاعته[(١)].

وأما قوله: (**وهاتان الشفاعتان خاصَّتان له**)؛ يعني: الشفاعة في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها.

وتنضمُّ إليهما ثالثة، وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض المشركين؛ كما في شفاعته لعمه أبي طالب، فيكون في ضحضاح من نار؛ كما ورد بذلك الحديث[(٢)].

وأما قوله: (**وأما الشفاعة الثالثة؛ فيشفع فيمن استحقَّ النار**...) إلخ. وهذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة؛ فإن مذهبهم أن مَن استحقَّ النار؛ لا بدَّ أن يدخُلَها، ومن دخلها؛ لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها.

والأحاديث المستفيضة المتواترة تردُّ على زعمهم وتبطله[(٣)].

---

(١) من أدلة هذه القسم، ما أخرجه مسلم عن أنس مرفوعًا: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**».

وفي لفظ آخر له: «**أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصَدق نبي من الأنبياء، ما صُدِّقتُ، وإن من الأنبياء ما يُصَدِّقه من أمته إلا رجل واحد**».

(٢) الذي رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

وروى البخاري (٣٨٨٥) ومسلم (٢١٠) أيضًا عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**».

والضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب، واستعير في النار.

والذي ينبغي أن يقال: وهي خاصة في عمه أبي طالب، إذ أن عبارة الشارح يفهم منها دخول غيره.

(٣) من تلكم الأحاديث، ما رواه البخاري (٦٥٦٦) عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يسمون الجهنمين**». =

(وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ [حق][(١)] وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، [...][(٢)] وَالآثَارِ مِنَ العِلْمِ [المَأْثُورِ][(٣)] عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي العِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ).

/ ش/ وأما قوله: (**وأصناف ما تضمَّنَتْهُ الدار الآخرة من الحساب...**) إلخ؛ فاعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرّها ثابتٌ بالعقل كما هو ثابتٌ بالسمع، وقد نبَّه الله العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتابه؛ مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

= وحديث أنس في البخاري (٧٥١٠) ومسلم تحت رقم: (١٩٣) وفيه أن النبي ﷺ يستأذن ربه في هذه الشفاعة، أربع مرات، فيأذن له. ويقول له بعد الأولى: أخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، وبعد الثانية: أخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، وبعد الثالثة: أخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فيفعل النبي ﷺ ما يأمره الله في كل مرة. وفي الرابعة يقول النبي ﷺ: ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول الله: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي؛ لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله. اهـ مختصرًا.

ويشاركه فيها غيره من النبيين والملائكة والمؤمنين، كما في حديث أبي سعيد الخدري في مسلم (١٨٣): «**يقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا، لم يعملوا خيرًا قط...**».

وهؤلاء الموحدون الذين دخلوا النار بذنوبهم، وخطاياهم يعذبهم الله على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم إماتة حقيقية ثم يخرجون بالشفاعة، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى بهم. بخلاف الكفار، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون.

وذلك لما رواه مسلم في «صحيحه» (٤٥٨) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم -أو قال: بخطاياهم- فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحمًا، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة، تكون في حميل السيل**».

ضبائر: أي جماعات.

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب) هنا: وفي.

(٣) في (أ)، و(ب)، و(م): المأثورة.

أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة: ٣٦].

فإنه لا يليق في حكمة الحكيم أن يترك الناس سُدًى مهمَلين، لايؤمرون، ولا يُنْهَون، ولا يُثابون ولا يُعاقبون؛ كما لا يليق بعدله وحكمته أن يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ كما قال تعالى:

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨].

فإن العقول الصحيحة تأبى ذلك وتنكره أشدَّ الإنكار.

وكذلك نبَّههُم الله على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إكرام الطائعين، وخذلان الطاغين.

وأما تفاصيل الأجزية ومقاديرها؛ فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن المعصوم الذي لا يَنْطِقُ عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

(وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ [مِنْ][1] أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ).

/ ش/ والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى أحدُ الأركان الستَّة التي يدور عليها فَلَكُ الإيمان؛ كما دلَّ عليه حديث جبريل وغيره، وكما دلَّت عليه الآيات الصريحة من كتاب الله عزّ وجلّ.

---

(١) غير موجودة في (أ)، و(ب)، و(م).

وقد ذكر المؤلِّف هنا أن الإيمان بالقدر على درجتين، وأنّ كلاً منهما تتضمن شيئين:

(فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى [عَلِيمٌ بِالخَلْقِ وَهُمْ][١] عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً [وَأَبَدًا][٢]، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ.

فَأَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ [قَالَ][٣] لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِّيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُن لِّيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلاَمُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى][٤]: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى [ٱلسَّمَآءِ][٥] وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ [عَلَى ٱللَّهِ][٦] يَسِيرٌ﴾[الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً:

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

---

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): علم ما الخلق.

(٢) سقط من (م).

(٣) في (ب): فقال.

(٤) هكذا في (ب)، و(م). وسقط [وتعالى] من (أ).

(٥) في (أ): السموات.

(٦) سقط من (ب).

[وَإِذَا][(١)] **خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ/ كَلِمَاتٍ/، فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ [أَمْ]**[(٢)] **سَعِيدٌ**.(٨- أ) أ (١١- أ) ب
وَنَحْوَ ذَلِكَ... فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، [وَمُنْكِرُوهُ][(٣)] **اليَوْمَ [قَلِيلٌ]**[(٤)]).

/ ش/ فالدرجة الأولى تتضمَّن:

أَوَّلًا: الإيمـــان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء، وأنه تعالى عَلم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلًا وأبدًا كلَّ ما سيعمله الخلق فيها لا يزال، وعلم به جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف ويقع من أفعال وأحداث فهو مطابقٌ لما علمه الله عز وجل أزلًا.

ثانيًا: أن الله كتب ذلك كله وسجَّله في اللوح المحفوظ، فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع ذلك من الأحوال والأوصاف والأفعال ودقيق الأمور وجليلها قد أمر القلم بكتابته؛ كما قال ﷺ: «**قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**»[(٥)].

---

(١) في (أ): فإذا.
(٢) في (أ)، و(م): [أو]. وفي (ب): [و].
(٣) في (أ)، و(ب)، و(م): منكروه.
(٤) في (ب): قليلًا.
(٥) رواه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ: «**كتب...**».

وكما قال في الحديث الذي ذكره المؤلف: (أنّ[١] أول ما خلق الله القلم؛ قال لـه: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة)[٢].

و(أولَ) هنا بالنصب على الظرفية، والعامل فيه (قال)؛ أي: قال له ذلك أول ما خلقه. وقد روي بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره القلم.

ولهذا اختلف العلماء في العرش والقلم؛ أيهما خُلِقَ أولًا.

وحكى العلامة ابن القيّم في ذلك قولين، واختار أن العرش مخلوقٌ قبل القلم[٣]. قال في «النونية»:

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي القَلَمِ الَّـذي ... كُتِـبَ القَـضَاءُ بِـهِ مِـنَ الـدَّيَّانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ العَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ ... قَوْلانِ عِنْـدَ أَبِي العَـلاَ الهَمَـدَانِي
وَالحَـقُّ أَنَّ العَـرْشَ قَبْـلُ لأَنَّـهُ ... [وَقْتَ][٤] الكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَـانِ
وَكَتَابَةُ القَلَـمِ الـشَّرِيفِ تَعَقَّبَـتْ ... إِيجَـادَهُ مِـنْ غَـيْرِ فَـصْلِ زَمَـانِ

وإذا كان القلم قد جرى بكلِّ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة بكل ما يقع من كائنات وأحداث؛ فهو مطابق لما كتب فيه، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[٥].

---

(١) ليس في نص الواسطية ذكر لفظ (أنَّ) أو (أول) رواية هذا الحديث، التي ذكرها ثم إن قول المؤلف: [(وأول) هنا بالنصب على الظرفية]، يتنافى مع وجود (أن) أولها إذْ لو -أي: حرف (أن)- موجودًا لكان نصب (أول) به لا على الظرفية. إسماعيل الأنصاري.

(٢) تقدم الكلام عليه ص(٣٩-٤٠).

(٣) وهو قول الأكثر، وهو الصحيح انظر (٤٣).

(٤) في «شرح النونية» [قَبْلَ].

(٥) حديث ابن عباس، أن النبي ﷺ قال له: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك...**» له طرق وشواهد، هو بها صحيح لغيره. =

وهذا التقدير التابع للعلم القديم تارة يكون جملةً؛ كما في اللوح المحفوظ؛ فإن فيه مقادير كل شيء، ويكون في مواضع تفصيلًا يخصُّ كل فردٍ؛ كما في الكلمات الأربع التي يؤمر الملك بكتابتها عند نفخ الروح في الجنين؛ يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أم سعيد[1].

فهذا تقديرٌ خاصٌّ، وهذا التقدير السابق على وجود الأشياء قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا؛ مثل: معبد الجهني، وغَيلان الدِّمشقي، وكانوا يقولون: إن الأمر أنف.

= وقد يسر الله لي جمعها والكلام عليها، وبيان ما في الحديث من زوائد في «جزء».

ومن تلكم الزوائد: «**واعلم أن ما أصابك، لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**» جاءت من طريق أبي عبد السلام، عن يزيد بن أبي حبيب، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس.

وأبو عبد السلام هو صالح بن رستم مجهول حال.

ومن طريق عيسى بن محمد القرشي، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس، وعيسى بن محمد، قال أبو حاتم: ليس بالقوى، كما في «الجرح والتعديل» وقال العقيلي: مجهول بالنقل، وقال الذهبي: ليس بمعتمد، كما في «تلخيص المستدرك» وجاءت أيضًا من طريق محمد الجدعاني، عن المثنى بن الصباح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس.

والجدعاني والمثنى بن الصباح، متروكان.

وقد ورد من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا، وعن أبي بن كعب، وابن مسعود وحذيفة بن اليمان موقوفًا، أن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذب أهل سمواته، وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود، فقال: مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ، مثل ذلك.

أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجة (٧٧) وأحمد (٥/ ١٨٢) وغيرهم وسنده حسن، وقد ذكره شيخنا في «الجامع الصحيح» (١/ ٣١٦-٣١٧) وقد ورد حديث زيد بن ثابت، منفردًا في أحمد (٥/ ١٨٥).

وما ذكره الشارح، جاء عن غير من تقدم، انظر الصحيحة رقم: (٢٤٣٩).

(١) جاء هذا في حديث عبد الله بن مسعود، الذي رواه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم رقم: (٢٦٤٣).

ومنكر هذه الدرجة من القدر كافر؛ لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

(وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ [فَهِيَ][(١)] مَشِيئَةُ اللهِ [تعالى][(٢)] النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ؛ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ [وتعالى][(٣)]، [لاَ][(٤)] يَكُونُ فِي مُلْكِهِ [مَا لاَ][(٥)] يُرِيدُ، وَأَنَّهُ [سُبْحَانَهُ][(٦)] [وتعالى][(٧)] عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ المَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ [اللهُ][(٨)] خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

[وَمَعَ ذَلِكَ][(٩)]؛ [فَقَدْ][(١٠)] أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ [رُسُلِهِ][(١١)]، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ المُتَّقِينَ وَالمُحْسِنِينَ وَالمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الفَسَادَ).

---

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): فهو.
(٢) زيادة من (أ)، و(ب).
(٣) زيادة من (ب).
(٤) في (ب): ولا.
(٥) في (أ)، و(م): إلا ما.
(٦) سقط من (ب).
(٧) زيادة من (أ).
(٨) في (ب): والله.
(٩) سقط من (أ).
(١٠) في (أ): قد.
(١١) في (ب): رسوله.

/ ش/ قوله: (**وأما الدرجة الثانية من القدر..**) إلخ؛ فهي تتضمن شيئين أيضًا:

أولهما: الإيمان بعموم مشيئته تعالى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائنٌ؛ سواءً كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا.

وثانيهما: الإيمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى، وأنها مخلوقة لـه؛ لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها؛ كما قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦].

ويجبُ الإيمان بالأمر الشرعيّ، وأن الله تعالى كلَّف العباد، فأمرهم بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته.

ولا منافاة أصلًا بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهيٍ؛ فإن تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل، ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٨-٢٩].

كما أنه لا تلازمَ بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعيّ المتعلِّق بما يحبه الله ويرضاه، فقد يشاء الله ما لا يحبُّه، ويحبُّ ما لا يشاء كونه:

فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده.

والثاني: كمحبة إيمان الكفار، وطاعات الفجَّار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك؛ لوجد كله؛ فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

(وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ [خَلَقَ][(١)] أَفْعَالَهُمْ.

وَالعَبْدُ هُوَ: المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، [وَلَهُمْ إِرَادَةٌ][(٢)]، وَاللهُ خَالِقُهُمْ [وخالق][(٣)] وَقُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ]؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٨-٢٩]).

/ ش/ وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلًا لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصَفُ بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل.

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي غفر الله له وأجزل مثوبته: (إن العبد إذا صلَّى، وصام، وفعل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي؛ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السيء، وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحسُّ ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكان هذا هو الواقع؛ فهو الذي نصَّ الله عليه في كتابه، ونصَّ عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها -إن كانت صالحة- ومثابون، وملومون عليها -إن كانت سيئة- ومعاقبون عليها.

---

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): خالق.

(٢) في (أ): وإرادة.

(٣) هكذا في (أ)، و(ب)، و(م).

فقد تبيَّن واتَّضَحَ بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم، وأنهم إذا شاؤوا فعلوا، وإذا شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًّا وشرعًا ومشاهدةً.

ومع ذلك؛ إذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟! فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم؛ هذا يعترف به كل أحد. فيقال: ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم؟ فالجواب الذي يعترف به كل أحد أن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال.

فهذا هو الذي يحلُّ الإشكال، ويتمكَّن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمدَّ المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوِّعة وصرف عنهم الموانع؛ كما قال ﷺ: «**أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ**»[(١)].

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكَّلوا عليه، فولاَّهم ما تولَّوا لأنفسهم). اهـ

---

(١) هذا قطعة من حديث علي بن أبي طالب نذكره بتمامه: أنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئًا، فجعل ينكت به الأرض، فقال: «**ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء، فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾[الليل:٥-٦]» رواه البخاري رقم: (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) وغيرهما.

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقًا لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدَّره في اللوح المحفوظ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقُّون عليها الجزاء: إما بالمدح والمثوبة، وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلًا لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا؛ لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.

(وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَومٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى [سَلَبُوا][(١)] العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حُكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا).

/ ش/ وضلَّ في القدر طائفتان؛ كما تقدم:

الطائفة الأولى: القدرية نفاة القدر، الذين هم مجوس هذه الأمة؛ كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعًا[(٢)] وموقوفًا، وهؤلاء ضلُّوا بالتفريط وإنكار القدر،

---

(١) في (أ)، و(ب): يسلبوا.

(٢) حديث: «**القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**».
جاء عن عدد من الصحابة، ابن عمر، وحذيفة بن اليمان، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وسهل بن سعد، وعبد الله بن عباس مرفوعًا وموقوفًا، وعمر بن الخطاب، وعائشة، وأثر عن مجاهد، وقد جمعت هذه الأحاديث وتكلمت عليها ونقلت ما وقفت عليه من كلام أهل العلم في جزء مستقل، ولله الحمد والمنة. =

وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه، وبين ما دلَّت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته؛ لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسئولية العبد عن فعله، وهدمٌ للتكاليف، فرجحوا جانب الأمر والنهي، وخصَّصوا النصوص الدَّالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله، ولهذا سمُّوا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقًا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية، وهؤلاء غَلَوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ كالريشة في مهبِّ الرياح، وإنما تُسْنَدُ الأفعال إليه مجازًا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتّهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

= والحاصل أن الحديث صحيح، فحديث ابن عمر، جاء مرفوعًا وموقوفًا، وصحح الدارقطني فيه الوقف، وحديث جابر مما يُستشهد به، وقد نص على الاستشهاد به البيهقي رحمه الله، وحديث أبي هريرة ليس لبعض أسانيده سوى علة الانقطاع، وحديث حذيفة في سنده عمر بن عبدالله مولى غفرة وهو ضعيف، ورجلٌ مبهم فلا بأس بالاستشهاد بهما. والصحيح في حديث ابن عباس الوقف.

وقد قوى الحديث الحافظ ابن حجر في أجوبته عن أحاديث المصابيح، وقال صلاح الدين العلائي، في أجوبته عن الأحاديث التي انتقدها السراج القزويني على كتاب المصابيح... بل ينتهي بمجموع طرقه، إلى درجة الحسن الجيد المحتج به إن شاء الله، نقل هذا السيوطي في اللآلئ (١/ ٢٥٩)، ونقل كلام العلائي أبو الحسن الكناني، في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣١٧) مقرًا له.

وصحح الحديث الشيخ الألباني، رحم الله الجميع.

([فَصْلٌ][1] : وَمِنْ أُصُولِ [أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ][2] أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ[3] .

وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ).

/ ش/ سبق أن ذكرنا في مسألة الأسماء والأحكام أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهرُه وباطنُه، أصولُه وفروعُه، فلا يستحقُّ اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئًا.

ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمانُ قابلًا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب

(١) زيادة من (م)، والكلام بعده مكبر في (أ)، و(ب).

(٢) في (أ)، و(ب): [الفرقة الناجية]. وفي (م): [أهل السنة].

(٣) قال ابن القيم في كتابه «حكم تارك الصلاة» وها هنا أصل آخر: وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب: وهو الاعتقاد.

وقول اللسان: وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيَّتُه وإخلاصه. وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله. وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها، وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق: فهذا موضع المعركة بين المرجئة، وأهل السنة، فأهل السنة: مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه، واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سرًا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به، وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب، فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح... فإنه يلزم من عدم طاعة القلب، عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح، وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، وهو حقيقة الإيمان. اهـ المراد.

والسنة، وكما هو ظاهرٌ مشاهدٌ من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم.

ومن الأدلّة على زيادة الإيمان ونقصه أن الله قسّم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[فاطر: ٣٢].

فالسابقون بالخيرات هم الذين أدَّوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرَّمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقرَّبون.

والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرَّمات.

والظالمون لأنفسهم هم الذين اجترؤوا على بعض المحرَّمات وقصَّروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خيرٌ كثيرٌ، فازداد به إيمانه، وتمَّ يقينُه، ومنهم من هو دون ذلك، حتى يبلغ الحالُ ببعضهم أن لا يكون معه إلا إيمانٌ إجماليٌّ لم يتيسّر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن.

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة الطاعات وقلتها.

وأما من ذهب إلى أن الإيمان مجرَّد التصديق بالقلب، وأنه غير قابل للزيادة أو النقص؛ كما يُروى عن أبي حنيفة وغيره؛ فهو محجوجٌ بما ذكرنا من الأدلة، قال ﷺ:

«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[(١)].

(٨- ب) أ / (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ [في آية القصاص][(٢)]: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ [فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ]﴾[(٣)][البقرة: ١٧٨]،

(١) رواه مسلم (٣٥) والنسائي (٥٠٠٤)، وابن حبان، كما في الإحسان (١٩٠) وابن مندة في «الإيمان» رقم: (١٤٤) من طريق سليمان بن بلال، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا، فذكره.

ورواه البخاري (٩)، وابن حبان، كما في «الإحسان» والبيهقي في «الشعب» رقم: (١) من طريق سليمان بن بلال به، بلفظ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**».

وأخرجه أبو عوانة من طريق بشر بن عمرو عن سليمان بن بلال، فقال: «**بضع وستون أو بضع وسبعون**» كما في «الفتح» ورواه مسلم (٣٥)، وابن ماجة (٥٧)، والآجري في «الشريعة» ص(١١٠) وغيرهم، من طريق سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة**» ومنهم من رواه عن سهيل به. بلفظ: «**بضع وسبعون**» بدون شك، وللحديث طرق أخرى.

قال البيهقي رحمه الله في «شعب الإيمان» رقم: (٢) بعد حديث سهيل، وهذا الشك وقع من سهيل بن أبي صالح في «**بضع وستين**» أو في «**بضع وسبعين**».

وسليمان بن بلال قال: «**بضع وستون**» ولم يشك فيه. وروايته أصح عند أهل العلم بالحديث.

غير أن بعض الرواة عن سهيل رواه من غير شك قال: «**بضع وسبعون**». اهـ

قال الحافظ في «الفتح» ورجح البيهقي رواية البخاري لأن سليمان لم يشك، وفيه نظر، لما ذكرنا من رواية بشر بن عمرو عنه فتردد أيضًا.

قال أبوعبدالرحمن الصلوي: وقع أيضًا في مسلم وغيره، من طريق سليمان «**بضع وسبعون**» فقط بلا تردد. قال الحافظ: لكن يرجح بأنه المتيقَّن، وما عداه مشكوك فيه. وأما رواية الترمذي بلفظ: «**أربع وسبعون**» فمعلولة، وعلى صحتها لا تخالف رواية البخاري، وترجيح رواية: «**بضع وسبعون**» لكونها زيادة ثقة - كما ذكره الحليمي ثم عياض- لا يستقيم، إذ الذي زادها لم يستمر على الجزم بها، لا سيما مع اتحاد المخرج، وبهذا يتبين شفوف نظر البخاري، وقد رجح ابن الصلاح الأقل لكونه المتيقَّن. اهـ المراد منه.

(٢) زيادة من (أ)، و(ب)، و(م).

(٣) غير موجود في (أ)، و(ب).

وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا[1] فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ][2]﴾[الحجرات: ١٠]).

/ ش/ ومع أن الإيمان المطلق مركَّب من الأقوال والأعمال والاعتقادات؛ فهي ليست كلها بدرجة واحدة؛ بل العقائد أصلٌ في الإيمان، فمَن أنكر شيئًا مما يجب اعتقاده في الله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو مما هو معلومٌ من الدين بالضرورة؛ كوجوب الصلاة، والزكاة، وحرمة الزنا والقتل... إلخ؛ فهو كافرٌ، قد خرج من الإيمان بهذا الإنكار.

(**وَلاَ يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ [الإسلام][3] بِالكُلِّيَّةِ**،/ **وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ**؛(١١-ب) ب **كَمَا [تَقُولُ][4] المُعْتَزِلَةُ.**

بَلِ الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ[5]؛ **[كَمَا][6] فِي [مثل][7] قَوْلِهِ [تعالى][8]**: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء: ٩٢].

وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ [تَعَالَى][7]: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ [وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

---

(١) في (ب) هنا: [إلى قوله: وأصلحوا بين أخويكم].
(٢) سقط من (ب).
(٣) في (أ)، و(ب)، و(م): اسم الإيمان.
(٤) في (أ)، و(ب): تقوله.
(٥) أي: (مطلق الإيمان) وهوالإيمان الناقص، ولا يدخل في اسم (الإيمان المطلق) وهو الكامل.
(٦) زيادة من المطبوع.
(٧) سقط [مثل] من المطبوع.
(٨) زيادة من (م).

إِيمَـٰنًا][(١)]﴾[الأنفال: ٢]، **وَقَوْلُهُ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا [وَهُوَ][(٢)] مُؤْمِنٌ»**[(٣)].

[وَيَقُولُونَ]: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ).

/ ش/ وأما الفاسق المِلِّي[(٤)] الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها؛ فأهل السنة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلِّيَّة، ولا يخلِّدونه في النار؛ كما تقول المعتزلة والخوارج، بل هو عندهم مؤمنٌ ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر معصيته، أو هو مؤمنٌ فاسقٌ، فلا يعطونه اسم الإيمان المطلق، ولا يسلبونه مطلق الإيمان.

وأدلَّة الكتاب والسنَّة دالَّةٌ على ما ذكره المؤلف رحمه الله من ثبوت مطلق الإيمان مع المعصية؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[الممتحنة: ١].

فناداهم باسم الإيمان، مع وجود المعصية، وهي موالاة[(٥)] الكفار منهم.. إلخ.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ)، و(ب).

(٢) سقط من (ب).

(٣) رواه البخاري رقم: (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة.

(٤) أي: الذي لا يزال على ملة الإسلام.

(٥) وهذه موالاة صغرى، قال العلماء، وهي عبارة عن الإحسان إلى الكفار، في الظاهر مع بغضهم في الباطن، وبغض دينهم وما هم عليه. =

فائدة: الإيمان والإسلام الشرعيَّان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمانٌ صحيحٌ معتدٌّ به، وُجِدَ معه إسلامٌ، وكذلك العكس، ولهذا قد يُسْتَغْنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذُكِرا معًا مقترنين؛ أُريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأُريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق؛ فهو أخصُّ مطلقًا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونه؛ كما في قوله تعالى:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات: ١٤].

فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان[(١)] عنهم.

= وهي من كبائر الذنوب، ودليلها الآية التي ذكرها الشارح، والذي يؤكد أنها موالاة صغرى سبب نزولها، وهي قصة حاطب في مكاتبة بعض أهل قريش يخبرهم بقدوم النبي ﷺ.

وأما الموالاة الكبرى فهي عبارة عن حبهم وحب دينهم، وما هم عليه من العقائد الكفرية.

وهذه الموالاة مخرجة من الملة، وقد عدَّها الإمام محمد بن عبد الوهاب ناقضًا من نواقض الإسلام، ودليلها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة:٥١].

وقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[المائدة:٨١].

(١) أي الإيمان الكامل، وكما في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص، قال أعطى النبي ﷺ رهطًا، (وفي رواية: قسم قسمًا)، وترك فيهم من لم يعطه، وهو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان؟ فو الله إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أو مسلمًا**» أقولها ثلاثًا ويرددها عليّ رسول الله ﷺ ثلاثًا، ثم قال: «**إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إليَّ منه، مخافة أن يكبه الله على وجهه في النار**».

فائدة: قال ابن تيمية في كتاب «الإيمان» ص(١٩١) تخريج الألباني: والدليل على أن الإسلام المذكور في الآية، هو إسلام يثابون عليه، وأنهم ليسوا منافقين، أنه قال: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾[الحجرات:١٤] ثم قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ﴾[الحجرات:١٤] فدل على أنهم إذا أطاعوا الله ورسوله مع هذا الإسلام، آجرهم الله على الطاعة، والمنافق عمله حابط في الآخرة. =

وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فدل على أن كلاً منها أخصُّ مما قبله.

([فَصْلٌ][١] : وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سَلامَةُ قُلُوبِهِمْ [وَأَلْسِنَتِهِمْ][٢] لأَصْحَابِ [رَسُولِ اللهِ][٣] ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ [بِهِ][٢] فِي قَوْلِهِ [تَعَالَى][١] : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠]، **وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ [لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ][٤] مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»[٥].**

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

/ ش/ يقول المؤلِّف: إن من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها مَن عداهم من أهل الزيغ والضلال أنهم لا يُزْرون بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ،

= وذكر أمورًا أخرى ترجح أنهم مسلمون، وليسوا بمنافقين.

وقال ابن القيم رحمه الله، في كتابه «الصلاة وحكم تاركها» ص(٦٠): فأثبت لهم إسلامًا، وطاعة لله ورسوله مع نفي الإيمان عنهم، وهو الإيمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[الحجرات:١٥] وهؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين، بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله، وليسوا مؤمنين، وإن كان معهم جزء من الإيمان، أخرجهم من الكفر.

(١) زيادة من (م).

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (أ)، و(ب): محمد.

(٤) في (ب): لو أنفق.

(٥) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد، ورواه مسلم برقم: (٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعًا، وهو وهم جزم به خلف وأبو مسعود وأبو علي الجياني والمزي. وحكم عليه بالشذوذ ابن المديني، وصوَّب الدارقطني حديث أبي سعيد. انظر «الفتح» (٧/ ٣٥-٣٦).

ولا يطعنون عليه، ولا يحملون له حقدًا ولا بغضًا ولا احتقارًا، فقلوبهم وألسنتهم من ذلك كله براء، ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية.

فهذا الدعاء الصادر ممَّن جاء بعدهم ممَّن اتَّبعوهم بإحسان يدلُّ على كمال محبَّتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وثنائهم عليهم، وهم أهل لذلك الحب والتكريم؛ لفضلهم، وسبقهم، وعظيم سابقتهم، واختصاصهم بالرسول ﷺ، ولإحسانهم إلى جميع الأمة؛ لأنهم هُمْ المبلِّغون لهم جميع ما جاء به نبيُّهم ﷺ، فما وصل لأحدٍ علمٌ ولا خبرٌ إلا بواسطتهم، وهم يوقِّرُونهم أيضًا طاعةً للنبي ﷺ؛ حيث نهى عن سبهم والغضِّ منهم، وبيَّن أن العمل القليل من أحد أصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم، وذلك لكمال إخلاصهم، وصادق إيمانهم[١].

(**[وَيُفَضِّلُونَ]**[٢] **مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ/ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ [بَعْدُ]**[٣] **وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ [تعالى]**[٤] **قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».** (٩- أ) أ

وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ [لَقَدْ][٥] **رضي [الله]**[٦] **عنهم وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ.**

---

(١) وشرفهم بصحبة النبي ﷺ. إسماعيل الأنصاري.

(٢) في (أ)، و(ب)، و(م): فيفضلون.

(٣) في (أ)، و(ب): بعده.

(٤) زيادة من (أ)، و(ب).

(٥) في (أ)، و(ب)، و(م): قد.

(٦) سقط لفظ الجلالة من (أ).

وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ [لِمَنْ][(١)] شَهِدَ لَهُ [رَسُولُ اللهِ][(٢)] ﷺ، كَالعَشَرَةِ، [وَثَابِتِ][(٣)] بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ).

/ش/ وأما قوله: (**ويفضِّلون مَن أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل على مَن أنفق من بعد وقاتل**)؛ فلورود النص القرآني بذلك، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾[الحديد: ١٠].

وأما تفسير الفتح بصلح الحُديبية؛ فذلك هو المشهور، وقد صحَّ أن سورة الفتح نزلت عقيبه.

وسمي هذا الصلح فتحًا؛ لما ترتَّب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزَّة الإسلام، وقوَّته وانتشاره، ودخول الناس فيه.

وأما قوله: (**ويقدِّمون المهاجرين على الأنصار**)؛ فلأن المهاجرين جمعوا الوصفين: النصرة والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر، وهذا التفضيل إنما هو للجملة على الجملة، فلا ينافي أن في الأنصار مَن هو أفضل من بعض المهاجرين.

وقد رُوي[(٤)] عن أبي بكر أنه قال في خطبته يوم السقيفة:

---

(١) في (ب): من.

(٢) في (أ): النبي.

(٣) في (أ)، و(ب)، و(م): وكثابت.

(٤) قوله: روي صيغة تمريض، والأولى أن يُعبّر بـ(ورد) ونحوه مما يفيد الجزم، إذ أصل الخطبة في البخاري كما سيأتي في التعليق الآتي.

(نحن المهاجرون، وأول الناس إسلامًا، أسلمنا قبلكم، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء)[(١)].

وأما قوله: (**ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر...**) إلخ؛ فقد ورد أن عمر رضي الله عنه لما أراد قتل حاطب بن أبي بلتعة وكان قد شهد بدرًا لكتابته كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير الرسول ﷺ، فقال لـه الرسول ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ؟ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦٨) بلفظ: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حُباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء.

قلت: والأحاديث تؤيد قول أبي بكر رضي الله عنه، منها قوله ﷺ: «**الخلافة في قريش**»، «**ولا يزال هذا الأمر في قريش**» ومِنْ ثَمَّ بايع المسلون أبا بكر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم: (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد استُشكِل قوله: «**اعملوا ما شئتم**».

قال ابن القيم رحمه الله في «الفوائد» أشكل على كثير من الناس معناه، فإن ظاهره إباحة كل الأعمال، لهم وتخييرهم فيما شاءوا منها، وذلك ممتنع، فقالت طائفة منهم ابن الجوزي: ليس المراد من قوله: «**اعملوا**» الاستقبال، وإنما هو للماضي، وتقديره أي عمل كان لكم فقد غفرته، قال: ويدل على ذلك شيئان:

أحدهما: أنه لو كان للمستقبل، كان جوابه قوله: فسأغفر لكم.

الثاني: أنه كان يكون إطلاقًا في الذنوب، ولا وجه لذلك.

وحقيقة هذا الجواب، أني قد غفرت لكم بهذه الغزوة، ما سلف من ذنوبكم.

قال ابن القيم: لكنه ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن لفظ: «**اعملوا**» يأباه، فإنه للاستقبال دون الماضي. وقوله: «**قد غفرت لكم**» لا يوجب أن يكون اعملوا مثله، فإن قوله: «**قد غفرت**» تحقيق لوقوع المغفرة في المستقبل، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[النحل:١]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[الفجر:٢٢]، ونظائره.

ثانيهما: أن نفس الحديث يرده، فإن سببه قصة حاطب، وتجسسه على النبي ﷺ، وذلك ذنب واقع بعد غزوة بدر - قلتُ: وقع هذا الأمر من حاطب بعد غزوة بدر بست سنين، كما في «الفتح»- لا قبلها، وهو سبب الحديث، فهو مراد منه قطعًا، فالذي نظن في ذلك -والله أعلم- أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وإنهم قد يقارفون بعض ما =

وأما قوله: (**وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة...**) إلخ؛ فلإخباره ﷺ بذلك[(١)]، ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨] الآية.

= يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبة نصوح، واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك.

ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفورٌ لهم.

ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقًا بالمغفرة، فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر، لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد.

وهذا محال. ومن أوجب الواجبات التوبة بعد ذلك، فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة، ونظير هذا قوله في الحديث الآخر: «**أذنب عبد ذنبًا فقال: أي: ربي أذنبت ذنبًا، فاغفره لي، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم أذنب ذنبًا آخر، فقال: أي ربي أصبت ذنبًا، فاغفره لي، فغفره له. ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم أذنب ذنبًا، فقال: رب أصبت ذنبًا فاغفره لي، فقال الله: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، فقد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**» - قلت: رواه البخاري رقم: (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) عن أبي هريرة- فليس في هذا إطلاق، وإذن منه سبحانه له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أنه يغفر له مادام كذلك، إذا أذنب تاب.

واختصاص هذا العبد بهذا، لأنه قد علم أنه لا يصر على ذنب، وأنه كلما أذنب تاب. حكم يعم كل من كانت حاله حاله، لكن ذلك العبد مقطوع له بذلك كما قطع به لأهل بدر، وكذلك كل من بشره رسول الله ﷺ بالجنة، أو أخبره بأنه مغفور له، لم يفهم منه هو ولا غيره من الصحابة، إطلاق الذنوب والمعاصي له، ومسامحته بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشد اجتهادًا وحذرًا وخوفًا بعد البشارة منهم قبلها، كالعشرة المشهود لهم بالجنة، وقد كان الصديق شديد الحذر والمخافة، وكذلك عمر فإنهم علموا أن البشارة المطلقة مقيدة بشروطها، والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيدة بانتفاء موانعها، ولم يفهم أحدٌ منهم من ذلك الإطلاق، الأذن فيما شاءوا من الأعمال. اهـ

وانظر «فتح الباري» للحافظ ابن حجر، وفي نهاية كلامه على الحديث، قال: اتفقوا على أن البشارة المذكورة، فيما يتعلق بأحكام الآخرة، لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها.

(١) عن أمِّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين بايعوا تحتها**» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها. فقالت حفصة: وإن منكم إلا واردها، فقال النبي ﷺ: «**وقد قال الله عز وجل:** ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم:٧٢]» رواه مسلم (٢٤٩٦). =

فهذا الرضا مانعٌ من إرادة تعذيبهم، ومستلزمٌ لإكرامهم ومثوبتهم.

وأما قوله: (**ويشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ؛ كالعشرة**[1]،

= وعن جابر أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ، يشكوا حاطبًا، فقال: يا رسول الله، ليدخُلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية**». رواه مسلم (٢٤٩٥).

وعن عبد الله بن أبي أوفى أن النبي ﷺ قال: «**لن يلج النار أحدٌ شهد بدرًا والحديبية**». رواه البزار، وقد صححه شيخنا في «الصحيح المسند» (١/ ٤٠٧) والذين شهدوا الحديبية بايعهم النبي ﷺ، وبايع عن عثمان رضي الله عنهم.

(١) جاءت بشارتهم في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة**» وتاسع المؤمنين في الجنة، لو شئت أن أسميه لسميته، قال: فضج أهل المسجد يناشدونه: يا صاحب رسول الله ﷺ من التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله، والله عظيم، أنا تاسع المؤمنين، ورسول الله ﷺ العاشر. وفي بعض طرقه أبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وليس فيه: رسول الله ﷺ في الجنة.

وللحديث طرق كثيرة، هو ببعضها صحيح لغيره، نذكر ما تيسر منها إن شاء الله:

الطريق الأولى: رياح بن الحارث، عن سعيد بن زيد، عند أحمد (١/ ١٨٧)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٢-١٣، ٤٢) وأبي داود (٤٦٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢١٩، ٨١٩٣) وابن ماجة (١٣٣) وغيرهم.

ورياح هذا روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال العجلي تابعي ثقة، وكما ترى هو من رجال النسائي وأبي داود، فبمجموع هذه الأمور يحسن حديثه، والله اعلم، وبقية رجاله ثقات.

الطريق الثانية: عبد الرحمن بن الأخنس عن سعيد بن زيد، عند أبي داود الطيالسي (٢٣٦) وأبي داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧) والنسائي في «الكبرى» (٨١٥٦، ٨٢٠٤) وأحمد (١/ ١٨٨) وغيرهم.

وعبد الرحمن بن الأخنس، روى عنه اثنان، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي لا يعرف. وبقية رجاله ثقات.

الطريق الثالثة: أبو معشر نجيح المدني، عن محمد بن قيس، عن سعيد بن زيد، عند عبد الله بن أحمد في «زوائد فضائل الصحابة» (٨٦)، وأبو معشر ضعيف، ومحمد بن قيس صدوق، كما في الجرح والتعديل. =

= الطريق الرابعة: هلال بن يساف، عن عبد الله بن ظالم المازني، عن سعيد بن زيد، عند النسائي في «الكبرى» (٨٢٠٥)، والطيالسي (٢٣٥)، وابن ماجة (١٣٤)، وأحمد (١/ ١٨٩) وغيرهم، وقال النسائي عقبه: هلال بن يساف لم يسمعه من عبد الله بن ظالم.

وقد وقع اختلاف على هلال بن يساف، ذكره الدارقطني في العلل (٤/ ٤٠٩-٤١٣) قال: والذي عندنا أن الصواب قول من رواه عن الثوري، عن منصور، عن هلال، عن فلان بن حيان، أو حيان بن فلان، عن عبد الله بن ظالم، لأن منصورًا أحد الأثبات، وقد بين في روايته عن هلال، أنه لم يسمعه من ابن ظالم، وأن بينهما رجلًا، وقول طلحة بن مصرف، والعوام بن حوشب، ومن تابعهما عن هلال مرسل. قلت: أي هلال عن سعيد بن زيد.

وقال الإمام البخاري رحمه الله في «التأريخ الكبير» (٥/ ١٢٤-١٢٥) عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ: «**عشرة في الجنة**» قاله عبيد بن سعيد، عن سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن عبد الله بن ظالم التميمي سمع سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ.

وقال مسدد، عن خالد، عن حصين، مثله، ولم يقل التميمي، وقال الأحوص: عن منصور، عن هلال، عن سعيد، عن النبي ﷺ، وزاد بعضهم ابن حيان فيه، ولم يصح، وليس له إلا هذا، و«**بحسب أصحابي القتل**».

الطريق الخامسة: أبو يعفور، عن يزيد بن الحارث، عن سعيد بن زيد، عند ابن أبي عاصم، في «السنة» (١٤٣٢)، رجاله رجال الصحيح عدا يزيد بن الحارث، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» والبخاري في «التأريخ الكبير» (٨/ ٣٢٥)، وابن حبان في «الثقات» وقالوا: روى عن سعيد بن زيد، وروى عنه أبو يعفور وقدان العبدي. اهـ

فهو مجهول العين. وأخرج ابن عساكر في «تأريخ دمشق» (١/ ٧٥).

الطريق السادسة: علي بن زيد بن جدعان، عن عدي بن ثابت، عن المغيرة بن شعبة، عن سعيد بن زيد، عند ابن عساكر في «تأريخه» (٢١/ ٧٦) وعلي بن زيد ضعيف.

الطريق السابعة: إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الملك بن عمر (هكذا وقع في المطبوع، وصوابه عبد الملك بن عمير والله أعلم)، عن سعيد بن زيد، عند ابن عساكر (٣٥/ ٢٧٦).

الطريق الثامنة: عباد بن صهيب، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن سعيد بن زيد، عند أبي نعيم في «معرفة الصحابة» وابن عساكر (٢٥/ ٤٦٧) عباد بن صهيب متروك، انظر كلام الأئمة عليه في «اللسان».

الطريق التاسعة: صالح بن موسى الطلحي، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن سعيد بن زيد، عند أبي يعلى (٩٧٠) ومن طريقه ابن عساكر (٢١/ ٧٦).

صالح بن موسى الطلحي متروك، كما في «التقريب». =

= الطريق العاشرة: ابن سيرين، عن سعيد بن زيد، عند ابن عساكر (٢١/ ٧٤) وفي سندها سَلْم بن سالم البلخي، قالوا فيه متهم بوضع الحديث، متروك، ليس بشيء كما في «اللسان».

الطريق الحادية عشرة: عبيدة بن مُعتب عن سالم بن أبي الجعد، عن سعيد بن زيد، عند ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٨٣) وابن معتب هو الضبي ضعيف جدًا، وسالم بن أبي الجعد، لم يسمع من سعيد بن زيد كما في «العلل» للدارقطني (٤/ ٤٢٠).

الثانية عشرة: الكلبي، عن سعيد بن زيد بن عمرو، عند ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٨٣)، والكلبي هو محمد بن السائب كذبه غير واحد.

وقد جاء عن عبد الرحمن بن عوف وهو معل.

رواه النسائي في «الكبرى» (٨١٩٤)، والترمذي (٣٧٤٧)، وأحمد (١/ ١٩٣)، وأبو يعلى (٨٣٥)، وابن حبان، كما في «الإحسان» (٧٠٠٢)، والبغوي (٣٩٢٥) من طريق قتيبة بن سعيد، أنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عبد ا لرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن عوف مرفوعًا، فذكر العشرة، وليس فيهم النبي ﷺ.

سئل الإمام الدارقطني عن حديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ قال: «**عشرة في الجنة**» فذكرهم.

فقال: هو حديث يرويه عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه.

واختلف عنه، فرواه عمر بن سعيد بن سريج، عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه، عن سعيد بن زيد.

ورواه الدراوردي، عن عبد الرحمن بن حميد.

واختلف عنه، فرواه مروان بن محمد الطاطري، -قلت: روايته عند الآجري في «الشريعة» رقم: (١٧٦٩)-، عن الدراوردي، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن سعيد بن زيد.

وخالفه جماعة منهم سعيد بن منصور، وقتيبة ويحيى الحماني، وضرار بن صرد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، فرووه عن الدراوردي، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن جده، عبد الرحمن بن عوف.

واجتماعهم على خلاف مروان بن محمد يدل على أن قولهم أصح من قوله، وقد روى عن الدراوردي -قلت: رواه الترمذي (٣٧٤٧) من طريق أبي مصعب، والبزار في «مسنده» (١٠٢١) من طريق أحمد بن أبان الرقاشي، كلاهما عن الدراوردي عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه مرسلًا. اهـ العلل (٤/ ٤١٦-٤١٨).

وعمر بن سعيد، هو ابن أبي حسين النوفلي «ثقة» إذ هو الذي أخرج له النسائي والترمذي، وقد تقدم في «العلل» للدارقطني بأنه محمد بن سعيد بن سريج، وسيأتي في «العلل» لابن أبي حاتم، وهكذا في الحاكم (شريح) قال الحافظ في «اللسان» (٤/ ٣٥٣) والتحقيق في ضبط جده أنه بالجيم في =

وثابت[(١)] بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة).

= (سريح) وترجمه أيضًا البخاري في «التأريخ الكبير» (٦/ ١٥٩) وابن أبي حاتم (٦/ ١١١) وهو ضعيف، فيحتمل أن زيادة (سريح) خطأ؛ فيكون هو النوفلي أو يكون على الصواب، فيكون متابعًا للنوفلي إذ كلاهما قد روى عن عبد الرحمن بن حميد، وروى عنهما موسى بن يعقوب الزمعي، والاحتمال الأول أقرب، والله أعلم.

ورواية عمر بن سعيد هي المحفوظة، وهي عند النسائي في «الكبرى» (٨١٩٥)، والترمذي (٣٧٤٨)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد فضائل الصحابة» رقم: (٥٥).

قال الترمذي عقب الحديث: سمعت محمدًا يعني البخاري يقول: هو أصح من الحديث الأول، يعني حديث الدراوردي.

وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٦٦): سألت أبي عن حديث، رواه عبد العزيز الدراوردي، عن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، عن جده، عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ قال: «**عشرة في الجنة**».

ورواه موسى بن يعقوب الزمعي، عن عمر بن سعيد بن شريح، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ.

قلت لأبي: أيهما أشبه؟ قال: حديث موسى أشبه؛ لأن الحديث يروى، عن سعيد من طرق شتى، ولا يعرف عن عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ في هذا شيء. اهـ

وموسى بن يعقوب الزمعي ضعيف.

وجاءت بشارة الخلفاء الأربعة في «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري.

وقد جمع الشاعر هؤلاء العشرة بقوله:

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... في جنةِ الخلد نصًا زادهم شرفًا
هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسعدين والخلفا

والسعدان: هما سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد.

(١) لما رواه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) عن أنس، أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[الحجرات:٢] إلى آخر الآية. جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار. واحتبس عن النبي ﷺ.

فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «**يا أبا عمروٍ ما شأن ثابت؟ أشتكى؟**» قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعدٌ فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابتٌ: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا، على رسول الله ﷺ. فأنا من أهل النار؛ فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**».

أما العشرة؛ فهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عُبيدة بن الجراح.

وأما غيرهم؛ فكثابت بن قيس، وعُكَّاشة[١] بن محصن، وعبد الله[٢] بن سلام، وكل مَن ورد الخبر الصحيح بأنه من أهل الجنة.

(وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ [رضي الله عنه][٣] [وَغَيْرِهِ][٤] مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

(١٢- أ) ب **وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ/ [رضي الله عنهم][٥]؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا [أَجْمَعَ][٦] الصَّحَابَةُ [رضي الله عنهم][٧] عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.**

---

(١) لما رواه البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠) عن ابن عباس أن النبي ﷺ ذكر أن سبعين ألفًا من أمته يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، وذكر أنهم لا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم؟ فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**».

وروى البخاري (٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) عن أبي هريرة مرفوعًا: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب**» فقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**اللهم، اجعله منهم**» ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم؟ قال: «**سبقك بها عكاشة**».

(٢) لما رواه البخاري (٣٨١٢) ومسلم (٢٤٨٣) عن سعد بن أبي وقاص، قال ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحيٍّ يمشي إنه في الجنة، إلا لعبد الله بن سلام.

ولما روى أيضًا الترمذي وأحمد، عن معاذ بن جبل، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه عاشر عشرة في الجنة**». وقد حسنه شيخنا في «الصحيح المسند».

(٣) غير موجودة في (ب).

(٤) في (م): وعن غيره.

(٥) سقط من (أ)، و(ب).

(٦) في (ب): [أجمعت عليه الصحابة]. وفي (أ): [أجمعت الصحابة].

(٧) زيادة من (م).

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ [رضي الله عنهما][(١)] - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى [تَقْدِيمِ][(٢)] أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، [أَوْ][(٣)] رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ[(٤)] عُثْمَانَ،[ثُمَّ عَلِيٍّ][(٥)].

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي [يُضَلَّلُ][(٦)] الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنِ [المسألة][(٧)] الَّتِي [يُضَلَّلُ][(٦)] فِيهَا: مَسْأَلَةُ الخِلَافَةِ، وَذَلِكَ [أَنَّهُمْ][(٨)] يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، [وَ][(٩)] عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ [الأئمة][(١٠)]؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

/ ش/ وأما قوله: (ويؤمنون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر)؛ فقد ورد أن

---

(١) سقط من (أ)، و(ب).

(٢) سقط من (أ).

(٣) هكذا في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٣) وهو الصواب، ووقع في المطبوع [و].

(٤) وقال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٤): وأن الاجماع انقعد بآخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) سقط من (أ)، و(م).

(٦) [يظل] في (أ)، و(ب).

(٧) سقط من (ب).

(٨) في (أ)، و(ب): بأنهم.

(٩) في (أ)، و(ب)، و(م): ثم.

(١٠) سقط من (ب).

عليًّا رضي الله عنه قال ذلك على منبر الكوفة، وسمعه منه الجم الغفير؛ وكان يقول: (ما مات رسول الله ﷺ حتى علمنا أن أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى علمنا أن أفضلنا بعده عمر)[(١)].

وأما قوله: (**ويُثَلِّثون بعثمان، ويربِّعون بعليٍّ..**) إلخ؛ فمذهب جمهور أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضِّلون عثمان على علي، محتجِّين بتقديم الصحابة عثمان في البيعة على عليٍّ.

وبعض أهل السنة يفضِّل عليًّا؛ لأنه يرى أن ما ورد من الآثار في مزايا عليٍّ ومناقبه أكثر. وبعضهم يتوقَّف في ذلك.

وعلى كل حالٍ؛ فمسألة التفضيل ليست -كما قال المؤلف- من مسائل الأصول التي يُضلَّل فيها المخالف، وإنما هي مسألة فرعيَّة يتَّسع لها الخلاف.

وأما مسألة الخلافة؛ فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنها كانت بمشورة من الستة[(٢)]، الذين عيَّنهم عمر رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٠٠) بإسناد ضعيف، لأنه من طريق حماد بن سعيد البراء، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال العقيلي في حديثه وهم.

وأخرجه ابن أبي عاصم وغيره من طرق أن عليًّا رضي الله عنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أن أسمي لكم الثالث لفعلت).

قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح.

وروى البخاري (٣٦٧١) وغيره أن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: أيُّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

وروى البخاري (٣٦٩٧) وغيره أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم.

(٢) وهم: عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والزبير، وقد جمعهم الشاعر بقوله: =

بعده، فمن زعم أن خلافة عثمان كانت باطلة، وأن عليًّا كان أحق بالخلافة منه؛ فهو مبتدعٌ ضالٌّ يغلب عليه التشيُّع؛ مع ما في قوله من إزراءٍ بالمهاجرين والأنصار.

(وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، [أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي][1] **»**[2].

(٩-ب) أ **وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه -وَقَدِ [اشْتَكَى]**[3] **إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ/ [يَجْفُو]**[4] **بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي»**[5].

= عـــليٌّ وعــــثمانٌ وســــعدٌ وطلحـــة زبـــيرٌ وذو عـــوفٍ رجـــال المــــشورة

(١) هكذا مكرر في (أ)، و(ب)، و(م).

(٢) هذه قطعة من حديث زيد بن أرقم، الذي رواه مسلم (٢٤٠٨) وغيره.

(٣) في (أ)، و(ب): شكى.

(٤) في (أ): [يجفوا]، و(ب): [تجفوا].

(٥) حسن لغيره، أخرجه الترمذي (٣٧٥٨)، وأحمد (١/ ٢٠٧-٢٠٨)، و(٤/ ١٦٥)، وفي «فضائل الصحابة» رقم: (١٧٥٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٧٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٠٨) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم: ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤)، والحاكم (٣/ ٣٣٣) من طريق جماعة عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، حدثني المطلب بن ربيعة، أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضبًا، وأنا عنده فقال: «**ما أغضبك؟**» قال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش؟ إذا تلاقوا بينهم، تلاقوا بوجوه مُبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى أحمرَّ وجهه، ثم قال: «**يا أيها الناس من آذى عمِّي، فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وجاء في بعض طرقه: «**والله لا يدخل قلب امرئ إيمانٌ حتى يحبكم لله عز وجل ولقرابتي**».

وأخرجه أحمد (١/ ٢٠٧)، ويعقوب الفسوي في «المعرفة والتأريخ» (١/ ٢٩٥) ومن طريقه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٦٧)، وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٣٣) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله، إن قريشًا إذا لقي بعضها بعضًا... =

= ففي هذا الطريق لم يذكر المطلب بن ربيعة، وإنما الصحابي فيه العباس، والعهدة في هذا على يزيد بن أبي زياد؛ فإنه ضعيف، وقد قال شعبة كان رفاعًا.

والحديث يدور عليه، وبقية رجاله ثقات، وللحديث شاهد يرتقي به إلى درجة الحسن لغيره، وهو مرسل أبي الضحى.

جاء عن الثوري، وقد اختلف عليه فيه:

فرواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٦) من طريق وكيع، وابن عساكر في «تأريخه» (٢٦/ ٣٣٧-٣٣٨) من طريق أبي نعيم، وأبي داود عمر بن سعد الحضري، كلهم عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن أبي الضحى قال: قال العباس يا رسول الله، إنا نعرف في وجوه أقوام الضغائن بوقائع أوقعتها فيهم، قال: فقال النبي ﷺ: «**لن ينالوا خيرًا، حتى يحبوكم لله ولقرابتي، ترجو سلهم شفاعتي، ولا يرجوها بنو عبدالمطلب**». اهـ وهذا مرسل. و(سَلْهم) حيٌّ من مذحج كما في «القاموس».

ورواه الطبراني في «الكبير» (١١/ رقم: ١٢٢٢٨) والخطيب في «تأيخه» (٥/ ٣١٧) من طريق أبي حذيفة، موسى بن مسعود عن الثوري، عن أبيه عن أبي الضحى عن ابن عباس، قال جاء العباس فذكره.

وأبو حذيفة حسن الحديث، إلا في روايته عن الثوري، قال عبد الله بن أحمد سمعت أبي وذكر قبيصة، وأبا حذيفة فقال: قبيصة أثبت منه - يعني في حديث سفيان-، وأبو حذيفة شبه لا شيء، وقد كتبت عنهما. اهـ «العلل ومعرفة الرجال» لأحمد (١/ ٣٨٦) رقم: (٧٥٨) وفي «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ١٦٨) قال أحمد: كأن سفيان الذي يحدث عنه أبو حذيفة، ليس هو سفيان الثوري الذي يحدث عنه الناس.

ورواه الخطيب في «تأريخه» من طريق إبراهيم بن هراسة، عن الثوري، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قال: أتى العباس بن عبد المطلب رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله فذكره، وفيه: «**ترجو سهلب شفاعتي...**».

ثم قال عقبه: لا أعلم ذكر فيه عائشة ومسروقًا، عن الثوري، غير ابن هراسة، والمحفوظ عن أبي الضحى، عن ابن عباس. اهـ

إبراهيم بن هراسة كذبه ابن معين، وأبو داود، وأبو عبيد، وقال غير واحد متروك، انظر «اللسان» وغيره.

فالمحفوظ عن الثوري، هي الطريق الأولى المرسلة.

ورواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ١٤٨-١٤٩) فقال رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الله بن الأجلح، عن منصور -يعني ابن المعتمر- عن أبي الضحى، مسلم بن صبيح، عن ابن عباس، قال: قال العباس: يا رسول الله، إنا لنعرف الضغائن في وجوه أقوام، قال: «**بم تعرفهم؟**» قال: بوقائع أوقعتها، تكون الحلقة في الحديث، فإذا طلعت عليهم أمسكوا =

وَقَالَ [...][(١)]: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى [بَنِي][(٢)] إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ [قُرَيْشًا][(٣)]، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[(٤)].

/ ش/ أهل بيته ﷺ هم مَن تحرُم عليهم الصدقة، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم، ويلحق بهم بنو المطلب؛ لقوله ﷺ: «إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا جَاهِلِيَّةً وَلَا إِسْلَامًا»[(٥)].

= لقرابتي منك، ولو كانوا في نصيحة لله ورسوله، فأمسكوا لقرابتي، قال: «**أتعرفهم؟**» قال: نعم، فوضع العباس يده على ذراع النبي ﷺ، ثم دخل المسجد، فقال له العباس: هذه الحلقة منهم، فأخذ النبي ﷺ بيد العباس ورفعها، فقال: «**من لم يحب عمي هذا لله عز وجل ولقرابته؛ فليس مني، أو قال: ليس بمؤمن**».

محمد بن الفضل هو القسطاني، صدوق، كما في «تأريخ بغداد» (٣/ ١٥٢)، وعبد الله بن الأجلح صدوق، كما في «التقريب»، وبقية رجاله ثقات، سوى محمد بن يحيى وهو الحجري، ذكره العقيلي في «الضعفاء» وذكر في ترجمته هذا الحديث، وآخر ثم قال: لا يتابع عليهما جميعًا من جهة تصح.

وقد ورد الحديث عن عبد الله بن جعفر، قال: سمعت رسول الله ﷺ وأتاه ابن عباس فقال: إني انتهيت إلى قوم، وهو يتحدثون، فلما رأوني نكسوا واستثنوني، فقال رسول الله ﷺ: «**وقد فعلوها، والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم؛ حتى يحبكم لحبي، أترجون أن تدخلوا الجنة، بشفاعتي؛ فلا يرجوها بنو عبد المطلب**».

رواه الحاكم (٣/ ٥٦٨)، قال الذهبي: أظنه موضوعًا.

فإسحاق هو ابن واصل الضبي: متروك، وأصرم متهم بالكذب. اهـ

وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/ ٩٥-٩٦) من طريق أصرم بن حوشب، وأصرم بن حوشب كذاب، كما في «اللسان».

(١) هنا في (م): ﷺ.

(٢) ليس في (أ)، و(ب).

(٣) في (ب): قريش.

(٤) رواه مسلم (٢٢٧٦) وغيره، عن واثلة بن الأسقع.

(٥) رواه البخاري (٣١٤٠)، (٣٥٠٢) من طريق عقيل، وبرقم (٤٢٢٩) من طريق يونس، والطبراني في «الكبير» ج٢ رقم (١٥٩٤) من طريق النعمان بن راشد. =

فأهل السنة والجماعة يرعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله ﷺ؛ كما يحبونهم لإسلامهم، وسبقهم، وحسن بلائهم في نصرة دين الله عز وجل.

و(**غدير خُم**) -بضم الخاء؛ - قيل: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي بين مكَّة والمدينة بالجحفة. وقيل: خُم اسم غَيْضَةٍ هناك نُسِب إليها الغدير، والغَيْضَة: الشجر الملتف.

= وأبوداود (٢٩٨٠)، والنسائي (٤١٣٧)، وأحمد (٤/ ٨١)، والطبري في «تفسيره» تفسير سورة الأنفال آية (٤١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٤١) وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق، كلهم عن الزهري عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، أعطيت بني المطلب، وتركتنا، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد**».

ومحمد بن إسحاق مدلس، وقد صرح بالتحديث عند الطبري والبيهقي، ثم هو متابع، لكنه تفرد بزيادة في المتن عن كل من روى الحديث عن الزهري، وهي: «**إنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام**»، فهي زيادة شاذة، والشاذ من قسم الضعيف.

ويغني عن الاستدلال بهذه الزيادة قوله ﷺ: «**إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد**».

وأخرج الحديث الشافعي، ومن طريقه البيهقي (٦/ ٣٤١)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٧٣٥) من طريق مطرف بن مازن عن معمر بن راشد.

والطبراني في «الكبير» (١٥٤٠)، والبيهقي (٦/ ٣٤١) من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع، كلاهما عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه.

قال البيهقي: إبراهيم بن إسماعيل ومطرف بن مازن ضعيفان، وفي رواية الجماعة عن الزهري عن ابن المسيب عن جبير كفاية.

وقال الدارقطني في «العلل» (١٣/ ٤٣٠) رقم (٣٣٢٤): والصحيح قول من قال: عن ابن المسيب. ورواه عن ابن شوذب عن قتادة عن ابن المسيب عن جبير بن مطعم. اهـ

قوله: (ورواه عن ابن شوذب) قال محقق «العلل»: هكذا في جميع النسخ. اهـ قال أبوعبدالرحمن الصلوي: ولعل الصواب: (ورواه ابن شوذب)، والله أعلم.

فائدة: عبد مناف له أربعة أبناء: هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل.

فلما قسم النبي ﷺ خمس خيبر، على بني هاشم وبني المطلب، وترك بني عبد شمس وبني نوفل، جاء عثمان؛ لأنه من بني عبد شمس، وجبير؛ لأنه من بني نوفل، فذكرا للنبي ﷺ ما تقدم، فأجابهم بما تقدم.

وأما قوله ﷺ لعمه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لله وَلِقَرَابَتِي»؛ فمعناه: لا يتم إيمان أحدٍ حتى يحب أهل بيت رسول الله ﷺ لله؛ أولًا؛ لأنهم من أوليائه وأهل طاعته الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه. وثانيًا: لمكانهم من رسول الله، واتصال نسبهم به.

([وَيَتَوَلَّوْنَ][(١)] أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ [الْمُؤْمِنِينَ][(٢)]، [وَيُؤْمِنُونَ][(٣)] بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ [رضي الله عنها][(٤)] أُمَّ [أَكْثَرِ][(٥)] أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ [وَعَاضَدَهُ][(٦)] عَلَى أَمْرِه، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ [الْعَالِيَةُ][(٧)].

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ [رضي الله عنها][(٨)]، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى [النِّسَاءِ][(٩)] كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[(١٠)]).

---

(١) في (ب): ويقولون.
(٢) في (ب): المؤمنون.
(٣) في (أ): ويقرون.
(٤) غير موجود في (أ)، و(م).
(٥) سقط من (ب).
(٦) في (ب): وأعانه.
(٧) في (أ)، و(ب): العلية.
(٨) سقط من (أ)، و(ب). وفي (م): [رضي الله عنهما].
(٩) في (ب): سائر النساء.
(١٠) رواه البخاري (٣٧٧٠)، ومسلم (٢٤٤٦) عن أنس، ورواه أيضًا البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٣١) عن أبي موسى الأشعري، والثريد هو ما جاء في قول الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد

والنصوص في فضل عائشة وخديجة كثيرة، وقد اختلف أهل العلم في إيهما أفضل، فمنهم من فضل خديجة على عائشة، ومنهم من عكس، ومنهم من توقف. والصحيح التفصيل، فقد سئل ابن تيمية عن هذا، كما في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٩٣)، فأجاب بأن خديجة وسبقها وتأثيرها في أول الإسلام، وقيامها في الدين، لم تشركها فيه عائشة، ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدين وتبليغة إلى الأمة، وإدراكها من العلم مالم تشركها فيه خديجة، ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها. =

/ ش/ أزواجه ﷺ هن مَن تزوجهُنَّ بنكاح، فأولهن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، تزوَّجها بمكة قبل البعثة، وكانت سِنُّهُ خمسًا وعشرين، وكانت هي تكبره بخمسة عشر عامًا، ولم يتزوَّج عليها حتى توفِّيت، وقد رُزِقَ منها بكل أولاده إلا إبراهيم، وكانت أول من آمن به، وقوَّاه على احتمال أعباء الرسالة، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة، فتزوج بعدها سودة بنت زمعة (رضي الله عنها).

وعقد على عائشة رضي الله عنها، وكانت بنت ست سنين، حتى إذا هاجر إلى المدينة بنى بها وهي بنت تسع.

ومن زوجاته أيضًا أم سلمة رضي الله عنها، تزوجها بعد زوجها أبي سلمة.

وزينب بنت جحش تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها، أو على الأصح[1] زوجه الله إياها.

وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، وكلهن أمهات المؤمنين، وهن أزواجه ﷺ في الآخرة[2]، وأفضلهن على الإطلاق خديجة وعائشة رضي الله عنهما.

= ونقل ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١٦٢-١٦٣) عن شيخه نحو ما تقدم مقرًا له. وفي «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٤٠)، بعد أن ذكر الإمام الذهبي بعض فضائل عائشة، قال: وأنا واقف في أيتها أفضل، نعم، جزمت بأفضلية خديجة عليها لأمور، وليس هذا موضعها.

ولابن عثمين رحمه الله في «شرح الواسطية» نحو ما تقدم من التفصيل.

هذا بالنسبة للمنافع المتعدية، منهما رضي الله عنهما، أما ما لهما عند الله من الثواب، فالله أعلم.

(١) لا يليق التعبير بعبارة: (أو على الأصح) بل الواجب أن يقال: (تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها، زوجه الله إياها)؛ لأن ذلك هو الموافق، لقول الله تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾. إسماعيل الأنصاري.

(٢) من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[الرعد:٢٣-٢٤]. =

= وقالت الملائكة في دعائهم للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[غافر:٨٠].

ففي هاتين الآيتين دلالة على أن زوجه المؤمن في الدنيا، تكون زوجة له في الآخرة، إن كانت من أهل الجنة.

وإذا تزوجت المؤمنة في الدنيا أكثر من زوج فهي لآخرهم في الآخرة، لحديث أبي الدرداء مرفوعًا: «**المرأة لآخر أزواجها**» وهو في «الصحيحة» للشيخ الألباني رحمه الله (١٢٨١).

وقد حرَّم الله نكاح أزواجه ﷺ من بعده، لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٥٣].

ذكر القرطبي في «تفسيره» عند هذه الآية، قوله ﷺ: «**زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الآخرة**» ولم يعزه إلى أحد، ولم أقف له على سند.

وروى الحاكم (٤/ ١٣) عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، من مِن أزواجك في الجنة؟ قال: «**أما إنك منهن**» وجاء بألفاظ وهو في «الصحيحة» للألباني رحمه الله (١١٤٢).

وروى البخاري (٣٧٧٢، ٧١٠٠، ٧١٠١) وغيره، ولفظه عند البخاري في الموضع الأول، لما بعث عليٌّ عمارًا والحسن إلى الكوفة، ليستنفرهم، خطب عمارٌ فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه، أو إياها.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ١٠٨): حديث عمار: إني لأعلم أنها زوجته، أي: زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وعند ابن حبان من طريق سعيد بن كثير عن أبيه: حدثتنا عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «**أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة**»؛ فلعل عمارًا كان سمع هذا الحديث، من النبي ﷺ، وقوله في الحديث: (لتتبعوه أو إياها)، قيل: الضمير لعلي؛ لأنه الذي كان عمار يدعو إليه، والذي يظهر أنه لله. والمراد باتباع الله، إتباع حكمه الشرعي في طاعة الإمام، وعدم الخروج عليه، ولعله أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[الأحزاب:٣٣] فإنه أمرٌ حقيقي خوطب به أزواج النبي ﷺ، ولهذا كانت أم سلمة تقول: لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي ﷺ، والعذر في ذلك عن عائشة، أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير، وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس، وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وكان رأي علي الاجتماع على الطاعة، وطلب أولياء المقتول القصاص، ممن يثبت عليه القتل بشروطه. اهـ

ومن الأدلة على أن أمهات المؤمنين أزواجه في الآخرة، قول النبي ﷺ: «**كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي، فإنه باقٍ إلى يوم القيامة**» رواه الآجري في «الشريعة» تحت باب [وتقطعت بهم الأسباب] (٥/ ٢٢٢٧- ٢٢٣٢) ط، دار الوطن، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان، وأحمد =

(وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ.

وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ [بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ][(١)].

ويُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ:/ إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي(١٢-ب) ب مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ.

وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّى [إِنَّهُمْ][(٢)] يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ [رَسُولِ اللهِ][(٣)] ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ [كَانَ][(٤)] أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ.

= (٤/ ٣٢٣، ٣٣٢) والطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم عن ابن عباس، وعمر بن الخطاب، والمسور بن مخرمة، وابن عمر، وهو في «الصحيحة» للألباني رحمه الله برقم: (٢٠٣٦).

(١) في (ب): بقولًا وعمل.

(٢) في (أ)، و(ب)، و(م): إنه.

(٣) في (ب): النبي.

(٤) سقط من (ب).

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ [مِنْ][(١)] أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، [أَوْ أَتَى][(٢)] بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ [الَّذِي][(٣)] هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

(١٠ - أ) أ فَإِذَا/ كَانَ [هَذَا][(٤)] فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ [الأُمُورُ][(٥)] الَّتِي كَانُوا فِيهَا [مُجْتَهِدِينَ][(٦)]: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَئُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مغْفُورٌ [لهم][(٧)].

ثُمَّ [إِنَّ][(٨)] القَدْرَ الَّذِي [يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ][(٩)] بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ [مَغْفُورٌ][(١٠)] فِي [جَنْبِ][(١١)] فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَن نَّظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ [عَلَيْهِم بِهِ][(١٢)] مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ،

---

(١) في (أ): عن.
(٢) في (أ): وأتى.
(٣) في (أ)، و(ب): الذين.
(٤) غير موجود في (ب).
(٥) في (أ)، و(ب)، و(م): بالأمر.
(٦) في (ب): مجتهدون.
(٧) زيادة من (م).
(٨) غير موجود في (أ)، و(ب)، و(م).
(٩) في (ب): ينكرونه من يعمل.
(١٠) في (أ)، و(ب)، و(م): مغمور.
(١١) سقطت من (ب).
(١٢) في (أ)، و(ب)، و(م): به عليهم.

[وَأَنَّهُمْ][(١)] **الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ** [تعالى][(٢)]).

/ش/ يريد أن أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض التي هي الغلو في عليٍّ وأهل بيته، وبغض مَن عداه من كبار الصحابة، وسبهم، وتكفيرهم.

وأول من سماهم بذلك زيد بن علي رحمه الله لأنهم لما طلبوا منه أن يتبرأ من إمامة الشيخين أبي بكر وعمر ليبايعوه أبى ذلك، فتفرقوا عنه، فقال: (رفضتموني)، فمن يومئذٍ قيل لهم: رافضة.

وهم فرق كثيرة: منهم الغالية، ومنهم دون ذلك.

ويتبرَّءُون كذلك من طريقة النواصب الذين ناصَبوا أهل بيت النبوَّة العداء لأسباب وأمور سياسية معروفة، ولم يعد لهؤلاء وجود الآن.

ويمسك أهل السنة والجماعة عن الخوض فيما وقع من نزاع بين الصحابة رضي الله عنهم؛ لا سيما ما وقع بين علي وطلحة والزبـير بعد

مقتل عثمان، وما وقع بعد ذلك بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، ويرون أن الآثار المروية في مساويهم أكثرها كذبٌ أو محرَّفٌ عن وجهه، وأما الصحيح منها؛ فيعذرونهم فيه، ويقولون: إنهم متأولون مجتهدون.

وهم مع ذلك لا يدَّعون لهم العصمة من كبار الذنوب وصغارها، ولكن ما لهم من السوابق والفضائل وصحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر منهم من زلات؛ فهم بشهادة رسول الله ﷺ خير القرون، وأفضلها، ومُدُّ

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): وأنهم هم.
(٢) زيادة من (أ)، (م).

أحدِهم أو نَصِيفه أفضل من جبل أحدٍ ذَهَبًا يتصدَّق به مَن بعدهم، فسيِّئاتهم مغفورة إلى جانب حسناتهم الكثيرة.

يريد المؤلِّف رحمه الله أن ينفي عن الصحابة رضي الله عنهم أن يكون أحدهم قد مات مصرًّا على ما يوجب سخط الله عليه من الذنوب، بل إذا كان قد صدر الذنب من أحدهم فعلًا؛ فلا يخلو عن أحد هذه الأمور التي ذكرها؛ فإما أن يكون قد تاب منه قبل الموت، أو أتى بحسنات تذهبه وتمحوه، أو غُفر لـه بفضل سالفته في الإسلام؛ كما غُفِر لأهل بدر وأصحاب الشجرة، أو بشفاعة رسول الله ﷺ، وهم أسعد الناس بشفاعته، وأحقُّهم بها، أو ابتلي ببلاء في الدنيا في نفسه أو مالـه أو ولده فَكُفِّر عنه به.

فإذا كان هذا هو ما يجب اعتقاده فيهم بالنسبة إلى ما ارتكبوه من الذنوب المحققة؛ فكيف في الأمور التي هي موضع اجتهاد والخطأ فيها مغفورٌ.

ثم إذا قِيس هذا الذي أخطؤوا فيه إلى جانب مالهم من محاسن وفضائل؛ لم يَعْدُ أن يكون قطرةً في بحر.

فالله الذي اختار نبيه ﷺ هو الذي اختار لـه هؤلاء الأصحاب[1]، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، والصفوة المختارة من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم.

---

(١) كما قال عبد الله بن مسعود: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد؛ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا؛ فهو عند الله سيء) حسن، رواه أحمد، وقد ذكره شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» قال شيخنا في (الحاشية): ليس فيه دليل للمستحسنين للبدع، فإن المسلمين الكاملي الإسلام، لا يستحسنون البدع، ثم هو موقوف على ابن مسعود. اهـ
أو أن المراد بالمسلمين هنا الصحابة الذين سبق ذكرهم، والألف واللام في (المسلمين) للعهد الذكري، وحاشاهم أن يستحسنوا البدع.

ومَن تأمَّل كلام المؤلِّف رحمه الله في شأن الصحابة عجب أشد العجب مما يرميه به الجهلة المتعصِّبُون، وادِّعائهم عليه أنه يتهجَّم على أقدارهم، ويغضُّ من شأنهم، ويخرق إجماعهم... إلى آخر ما قالوه من مزاعم ومفتريات.

(وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ [والجماعة][(١)]: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى [أَيْدِيهِم][(٢)] مِّنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَات، [وَالمَأثُورِ][(٣)] عَنْ/ [سَالِفِ][(٤)] الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ(١٣- أ) ب وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ [فِرَقِ][(٥)] الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)[(٦)].

/ ش/ وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع قديمًا وحديثًا على وقوع كرامات الله لأوليائه المتَّبعين لهدي أنبيائهم.

والكرامة أمر خارقٌ للعادة، يجريه الله على يد وليٍّ من أوليائه؛ معونةً لـه على أمر دينيٍّ أو دنيويٍّ.

ويفرَّق بينها وبين المعجزة بأنّ المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة، بخلاف الكرامة.

ويتضمَّن وقوع هذه الكرامات حكم ومصالح كثيرة؛ أهمها:

---

(١) زيادة من (م).
(٢) في (ب): يديهم.
(٣) في (أ)، و(ب)، و(م): كالمأثور.
(٤) سقط من (ب).
(٥) في (أ)، و(ب)، و(م): [قرون]. وفي (ب) معرف بأل.
(٦) انظر «مجموعة الفتاوى» (١١/ ٣١٤-٣١٨).

أولًا: أنها كالمعجزة، تدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه فعَّال لما يريد، وأن لـه فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سننًا أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم.

فمن ذلك قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم في تلك المدة الطويلة، مع حفظه تعالى لأبدانهم من التحلل والفناء.

ومنها ما أكرم الله به مريم بنت عمران من إيصال الرزق إليها وهي في المحراب؛ حتى عجب من ذلك زكريا عليه السلام، وسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[آل عمران: ٣٧].

وكذلك حملها بعيسى بلا أب، وولادتها إياه، وكلامه في المهد، وغير ذلك.

ثانيًا: أن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم.

ثالثًا: أن كرامات الأولياء هي البشرى التي عجَّلها الله لهم في الدنيا؛ فإن المراد بالبشرى كل أمر يدلُّ على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن جملة ذلك الكرامات.

هذا؛ ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الأمة إلى يوم القيامة، والمشاهدةُ أكبرُ دليلًا.

وأنكر الفلاسفةُ كرامات الأولياء كما أنكروا معجزات الأنبياء، وأنكر الكرامات أيضًا المعتزلة، وبعض الأشاعرة؛ بدعوى التباسها بالمعجزة، وهي دعوى باطلة؛ لأن الكرامة - كما قلنا - لا تقترن بدعوى الرسالة.

لكن يجب التنبه إلى أن ما يقوم به الدَّجاجلةُ والمشعوذون من أصحاب الطرق المُبتدعة الذين يسمون أنفسهم بالمتصوِّفة من أعمال ومخاريق شيطانية؛ كدخول النار، وضرب أنفسهم بالسلاح، والإمساك بالثعابين، والإخبار بالغيب... إلى غير ذلك[(١)]؛ ليس من الكرامات في شيء؛ فإن الكرامة إنما تكون لأولياء الله بحق، وهؤلاء أولياء الشيطان.

([فَصْلٌ][(٢)]: ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ [ﷺ][(٣)] بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ [سَبِيلِ][(٤)] السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ [المَهْدِيِّينَ][(٥)] مِنْ بَعْدِي، [تَمَسَّكُوا بِهَا، وَ][(٦)]عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ [مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ][(٢)] [بِدْعَةٍ][(٧)] ضَلَالَةٌ»[(٨)].

---

(١) روى البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٥٣) من طريق إبراهيم بن محمود، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: قلت: لمحمد بن إدريس الشافعي قال: صاحبنا الليث بن سعد: (لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء، ما قبلته). فقال الشافعي: أما إنه قصَّر، (لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته).

ورواه ابن أبي حاتم في كتابه «أدب الشافعي ومناقبه» ص(١٨٤)، قال: ثنا أبي، قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى رحمه الله، قال: قلت للشافعي: تروى يا أبا عبد الله ما كان يقول فيه -أي علم الكلام- أصحابنا؟ أريد الليث أو غيره، كان يقول: (لو رأيته يمشي على الماء -يعني صاحب الكلام- لا تثق به -أو لاتغتر به- ولا تكلمه). قال الشافعي: فإنه والله قد قصَّر؛ (إن رأيته يمشي في الهواء، فلا تركن إليه). وهذا الأثران صحيحان.

(٢) زيادة من (م).

(٣) غير موجود في (أ).

(٤) في (أ)، و(ب): سُبُل.

(٥) غير موجود في (أ)، و(ب).

(٦) سقط من (ب).

(٧) في (ب): محدثة.

(٨) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم والبيهقي والطبراني وغيرهم، وهو حديث صحيح لغيره، وقد صححه جماعة من المتقدمين، كما في «جامع العلوم والحكم» وجماعة من=

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ [ﷺ][(١)]، [وَيُؤْثِرُونَ][(٢)] كَلامَ اللهِ عَلَى [غَيْرِهِ][(٣)] مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

[وَلِهَذَا][(٤)] سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ [الإِجْمَاعُ][(٥)]، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ/ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا (١٠-ب)أ لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ.

[وَالإِجمَاعُ][(٦)] هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ [عَلَيْهِ][(١)] فِي العِلْمِ وَالدينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ [مَا عَلَيْهِ النَّاسُ][(٧)] مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ [أَوْ][(٨)] ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

[وَالإِجْمَاعِ][(٦)] الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، [وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ][(٩)]).

/ ش/ قوله: (**ثم من طريقة أهل السنة...**) إلخ؛ هذا بيانٌ لمنهج أهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول، وهذا المنهج يقوم على أصول ثلاثة:

= المتأخرين، كالشيخ الألباني، وحسنه شيخنا في «الصحيح المسند» وقد جمعت طرقه، وتكلمت عليها، وما فيه من الزيادات في رسالة مستقلة والحمد لله.

(١) غير موجود في (أ).

(٢) في (أ)، و(ب): فيؤثرون.

(٣) في (ب): كلام غيره.

(٤) في (أ)، و(م): وبهذا.

(٥) في (أ)، و(ب)، و(م): الاجتماع.

(٦) في (أ)، و(ب): والاجتماع.

(٧) في (ب): ما الناس عليه.

(٨) في (ب): و.

(٩) في (أ)، و(ب)، و(م): وانتشرت الأمة.

أولها: كتاب الله عز وجل، الذي هو خير الكلام وأصدقه، فهم لا يقدِّمون على كلام الله كلام أحد من الناس.

وثانيها: سنة رسول الله ﷺ، وما أُثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون على ذلك هَدْيَ أحد من الناس.

وثالثها: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرُّق والانتشار وظهور البدعة والمقالات، وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب، والسنة، والإجماع، فإن وافقها؛ قبلوه، وإن خالفها ردُّوه؛ أيًّا كان قائله.

وهذا هو المنهج الوسط، والصراط المستقيم، الذي لا يضلُّ سالكه، ولا يشقى مَن اتَّبعه، وسطٌ بين مَن يتلاعب بالنصوص، فيتأوَّل الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السلف، وبين من يخبط خبط عشواء، فيتقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين غثٍّ وسمينٍ، وصحيحٍ وسقيمٍ.

(فَصْلٌ: ثُمَّ هُم [مَّعَ][(١)] هَـٰذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ/ (١٣- ب) ب كَالبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[(٢)] [...][(٣)]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ

---

(١) في (ب): على.

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٦)، (٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى.

(٣) هنا في (أ)، و(م): ﷺ.

المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ [وَتَرَاحُمِهِمْ][(١)] وَتَعَاطُفِهِمْ [كَمَثَلِ][(٢)] الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بُالحُمَّى وَالسَّهَرِ»[(٣)].

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاءِ، وَالشُّكْرِ [عِنْدَ الرَّخَاءِ] وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى [قَوْلِهِ][(٤)] ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[(٥)]. وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى [اليَتَامَى][(٦)] وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، وَالخُيَلاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَيَأْمُرُونَ [بِمَعَالِي][(٧)] الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ [وَيَفْعَلُونَهُ][(٨)] مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ [لِلْكِتَابِ][(٩)] وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ [اللهُ][(١)] بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ).

/ ش/ قوله: (**ثم هم مع هذه الأصول...**) **إلخ**؛ جمع المؤلف في هذا الفصل جماع مكارم الأخلاق التي يتخلَّق بها أهل السنة والجماعة؛ من الأمر بالمعروف؛ وهو

---

(١) غير موجودة في (ب).

(٢) في (ب): مثل.

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

(٤) في (ب): قول النبي.

(٥) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) وأحمد (٢/ ٥٢٧) وغيرهم من حديث أبي هريرة، وهو صحيح لغيره.

(٦) في (ب): الأيتام.

(٧) في (ب): بمعال.

(٨) في (أ)، و(م): أو يفعلونه. وسقط من (ب).

(٩) في (ب): الكتاب.

ما عُرِف حُسْنُه بالشرع والعقل، والنهي عن المنكر؛ وهو كل قبيحٍ عقلًا وشرعًا؛ على حسب ما توجبه الشريعة من تلك الفريضة؛ كما يفهم من قوله ﷺ:

«**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[(١)].

ومن شهود الجُمَعِ والجماعات والحج والجهاد مع الأمراء أيًّا كانوا؛ لقوله ﷺ: «**صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ**»[(٢)].

ومن النصح لكل مسلم؛ لقوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[(٣)].

ومن فهمٍ صحيحٍ لما توجبه الأخوة الإيمانية من تعاطفٍ وتوادٍّ وتناصرٍ؛ كما في هذه الأحاديث التي يشبِّه فيها الرسول المؤمنين بالبنيان المرصوص المتماسك

---

(١) رواه مسلم (٤٩) وغيره عن أبي سعيد الخذري.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٣)، والدراقطني في «سننه» (٢/ ٥٧) من طريق مكحول، عن أبي هريرة، ولم يسمع منه، لكن يتقوى معناه، بما رواه البخاري (٦٩٤) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن اخطأوا فلكم وعليهم**».

وقال الإمام البخاري رحمه الله كما في «الفتح» (٢/ ١٨٨) باب إمامة المفتون والمبتدع، وقال الحسن: صلِّ وعليه بدعته.

وساق بسنده إلى عبيد الله بن عديٍّ بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه -وهو محصور- فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويُصلِّي لنا إمام فتنة، ونتحرَّج. فقال: (الصلاة أحسنُ ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس، فأحِسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم).

وقد ورد عن عبد الله بن عمر أنه صلى خلف الحجاج بن يوسف الظالم.

رواه البيهقي في «الكبرى» (٣/ ١٢١ -١٢٢) من طريقين الأولى فيها مسلم بن خالد الزنجي وهو ضعيف، والثانية فيها الوليد بن مسلم كان يدلس تدليس التسوية ولم يصرح بالتحديث من شيخ شيخه، والأثر بمجموع الطريقين حسن لغيره.

(٣) رواه مسلم (٥٥)، عن تميم الداري، ورواه البخاري معلقًا في آخر (كتاب الإيمان) من «صحيحه» وغيرهما.

اللَّبنات، أو بالجسد المترابط الأعضاء من دعوة إلى الخير، وإلى مكارم الأخلاق، فهم يدعون إلى الصبر على المصائب، والشكر على النعماء، والرضا بقضاء الله وقدره.. إلى غير ذلك مما ذكره.

(١١-أ) أ / (لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ [النَّبِيُّ][(١)] ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ [كُلُّهَا][(٢)] فِي النَّارِ؛ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ[(٣)].

وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ [...][(٤)] أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ [اليَومَ][(٥)] وَأَصْحَابِي»؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو المَنَاقِبِ [المَأْثُورَةِ]، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، [وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ][(٦)]، الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ [...][(٧)]، وَهُمُ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ

(١٤-أ) ب الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ:/ «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي [عَلَى الحَقِّ][(٨)] [مَنْصُورَةً][(٩)]، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ [خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ][(١٠)]؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[(١١)].

---

(١) غير موجود في (أ)، و(ب).
(٢) في (ب): وأنها.
(٣) تقدم ص(٢٨).
(٤) زيادة هنا في (م): ﷺ.
(٥) غير موجود في (أ).
(٦) في (أ)، و(م): [الأئمة] بدون لفظ [فيهم]، ولفظ [الدين]. وفي (ب): [الأئمة الذين] بدون [الدين].
(٧) هنا زيادة في (أ)، و(ب)، و(م): ودرايتهم.
(٨) في (م): [على الحق ظاهرين]. وفي (أ)، و(ب): [ظاهرين على الحق].
(٩) غير موجودة في (أ)، و(ب)، و(م).
(١٠) في (م): خذلهم ولا من خالفهم.
(١١) تقدم ص(٢٧).

[نَسْأَلُ اللهَ][(١)] أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، [وَأَنْ][(٢)] [يَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً][(٣)] إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

[وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا).][(٤)]

/ ش/ وأما قوله: (**وفيهم الصِّدِّيقون**...) إلخ؛ فالصِّدِّيق صيغة مبالغة من الصدق، يراد به الكثير التصديق، وأبو بكر رضي الله عنه هو الصدِّيق الأول لهذه الأمة.

وأما الشهداء؛ فهو جمع شهيد، وهو مَن قتل في المعركة.

وأما الأبدال؛ فهم جمع بدْل، وهم الذين يخلف بعضهم بعضًا في تجديد هذا الدين والدفاع عنه؛ كما في الحديث:

«**يَبْعَثُ اللهُ لِهَـذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَـا أَمْرَ دِينِهَا**»[(٥)].

والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) في (أ)، و(ب)، و(م): فنسأل الله العظيم.

(٢) زيادة من المطبوع.

(٣) سقط ما بين المعقوفين من (ب).

(٤) هكذا في (م).

وفي (أ): والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله، وعلى سائر المرسلين والنبيين، وآل كلٍّ، وسائر الصالحين.

وفي (ب): والحمد لله رب العالمين، أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. تمت العقيدة بمن الله وتوفيقه. آمين. قال النبي صلى الله عليه (الدنيا جيفة وطالبها كلاب).

(٥) رواه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٢٣)، والحاكم (٤/ ٥٢٢)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» رقم: (٤٢١)، وفي «مناقب الشافعي» (١/ ٥٣) ط. دار التراث، والخطيب في «تأريخ بغداد» (٢/ ٦١)، والمزي في «تهذيب الكمال» ترجمه شراحيل.

عن جماعة، عن ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، فيما أعلم. عن رسول الله ﷺ، وفي بعض المصادر: (ولا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ فذكره) وقع في «المطبوع للأوسط» بدل [أبي علقمة] [أبو طلحة] وهو خطأ. =

= وقال الطبراني عقب الحديث: لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، إلا بهذا الإسناد، تفرد به ابن وهب. اهـ

هذا الحديث حسن، ورجاله كلهم ثقات، سوى شراحيل بن يزيد.

روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في «الثقات» وأخرج له البخاري في «خلق أفعال العباد» ومسلم في (المقدمة) وأبو داود وقال الحافظ: (صدوق) كما في «التقريب».

قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٤٣): وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث. اهـ

وقوى إسناده الحافظ ابن حجر في «توالي التأسيس» ص(٤٩).

وقال أبو داود رحمه الله، بعد أن ذكر الحديث، من طريق ابن وهب، رواه عبد الرحمن بن شريح الأسكندراني، عن شراحيل، فلم يجز به شراحيل. اهـ يعني عضله.

قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص(١٢٢)، ط. دار الهجرة.

وسعيد الذي رفعه أولى بالقبول لأمرين: أحدهما: أنه لم يختلف فيه توثيقه، بخلاف عبد الرحمن، فقد قال فيه ابن سعد إنه منكر الحديث.

والثاني: أن معه زيادة علم على من قطعه؛ وقوله: (فيما أعلم) ليس بشك في وصله؛ بل قد جعل وصله معلومًا له، وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث. اهـ

وأما ما جاء أن الأبدال أربعون، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا وهم بالشام، وجاء بألفاظ، لم يصح.

قال ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص(١٦)، (وكل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء، والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد، والأقطاب، مثل أربعة أو سبعة، أو اثنى عشر، أو أربعين، أو سبعين، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر، أو القطب الواحد؛ فليس في ذلك شيءٌ صحيح، عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف بشيءٍ من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال، روي فيهم حديث... وهو حديث منقطع ليس بثابت...).

وله كلام نفيس حول هذا انظره في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٣-٤٤٤)، وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» ص(١٣٦)، أحاديث الأبدال، والأقطاب، والأغواث، والنقباء، والنجباء، والأوتاد، كلها باطلة على رسول الله ﷺ.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفة» رقم: (٩٣٥)، وأعلم أن أحاديث الأبدال لا يصح منها شيء، وكلها معلولة، وبعضها أشد ضعفًا، من بعض، وأنا ذاكرٌ لك بعضها، وكاشفٌ عن عللها إن شاء الله... اهـ

وقد أطال السخاوي في «المقاصد الحسنة» الكلام على الحديث، وذكر في آخر البحث أن له فيه جزءًا «نظم اللآل في الكلام على الأبدال».

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، كان الفراغ ١٤/ جمادى الآخرة سنة (١٤٢٤).

فهرس الأحاديث القولية

أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ١٤٤
أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ ٢٢٠
إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ ... ١٢٤
أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ٢٥٦
أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ٥٤
أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ١٧٨
اعْمَلُوا مَا شِئْتُم. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ٢٤٨
أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ ١٣٠
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ١٨١
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ ٨٠
أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَـهُ الظُّلُمَاتُ ١١٠
اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا ١٧٥
أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ ١٧٩
اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ ..... ٨٠، ١٨١
أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ٢٧٥
أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَـهُ مَعَهُ ١٦١
أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ ١٧٦
أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ٢٣٨
أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ٢٢
إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ ١٢٠
إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنقِ رَاحِلَتِهِ ١٩٧
إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا ٢٦١
إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا؛ قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ ٩٦
إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ .. ١١٢
إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ ٩٧
إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ١٠١

إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ ١٧٤
أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ٣٠
إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا ٢١٦
إِنَّ يَمِينَ الله مَلْأَى سَحَّاءَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ؛ لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ١١٦
إِنَّ الَّذي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ ١٨١
أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ ٢٢٤
أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الجَنَّةِ، فَأَدْخُلُهَا وَيَدْخُلُهَا مَعِي فُقَرَاءُ أُمَّتِي ٢٢٤
أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ٢٢٤
أَنَا لَهَـا ٢١٠
أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ..... ٨٠، ١٨١
أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ ١٧٥
أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ ١٧٥
إِنَّكُمْ سترَوْنَ رَبَّكُمْ يوم القيامة كَمَا تَـرَوْنَ القَمَـرَ لَيْلَةَ البَدْرِ ١٨٣
إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكُ ٢١٤
إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا جَاهِلِيَّةً وَلَا إِسْلَامًا ٢٦١
أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَـهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ ٣٧
أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ الله أَعْظَمُ؟ ٦٤
إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ٢٧٢
الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ٢٤٣
أَيْنَ اللهُ؟ ..... ١٤١، ١٧٨
أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا ١٨١
بَيْنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ١٢٨
تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ ٦٠
حِجَابُهُ النُّورُ أَوِ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ١١١
الدِّينُ النَّصِيحَةُ ٢٧٦
رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ ١٧٥
سُبْحَانَكَ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ٥٤
سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ٢٨
صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ٢٧٦

عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَ لَـهُ صَبْوَةٌ ١٧٠
عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ ١٦٩
عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا ٢٧٢
فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن لاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا ١٨٣
فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ٢٦٣
فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ ١٤٤
القَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ ٢٠٤
قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ . ٢٣٢
كُلُّ كَلاَمٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ وَالصَّلاَةِ عَلَيَّ؛ فَهُوَ أَقْطَعُ، أَبْتَرُ، مَمْحُوقُ البَرَكَةِ ١٢
لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ ١٧٣
لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً، لاَ يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ ٢٧٧
لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ٢٧
لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ ٢٤٧
لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ٢٤
لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ ١٢٨
لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ٢٤٥
لَلَّـهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ ١٦٦
اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ ١٦٧
اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ ١٨٠
اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ٨٠
اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ ٢٢٧
لِيَهْنِكَ هَذَا العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ ٦٤
المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ٢٧٤
مَا أُرَاكِ إِلَّا قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ ١٢٠
مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ..... ٩١، ١٢٧
مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ١٥١
مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حاجب ولا تَرْجُمَانٌ ١٧٤
مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ ٢٧٥
مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ٨٣

مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِقَلْبِهِ ٢٧٦
مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ ٢٠٦
مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ ٢١٤
مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ ١٦٣
مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ١٦٣
مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ ١٦٣
مَنْ يَكْفُرْ بِالله يَلْقَ الغِيَرَ ١٧٢
هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَومَ وَأَصْحَابِي ٢٧٧
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لله وَلِقَرَابَتِي ٢٦٣
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ المَلِكَ عِنْدَ سَاقِ العَرْشِ ٦٥
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ لله وَلِقَرَابَتِي ٢٥٩
وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ ١٧٦
وَالمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ؛ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ... ٢٥
وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي؛ لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ١٢٨
وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ؟ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ٢٥٠
يَا أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا ١٢٠
يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ ١٢٨
يَبْعَثُ اللهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا ٢٧٨
يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ العَصْرِ ١٨٤
يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ ١٦٨
يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا ابن آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ١٧٤
يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ١٦٣

المحتويات

مقدمة شيخنا المبارك يحيي بن علي الحجوري ٣
مقدمة المحقق ٤
سبب تسمية هذه العقيدة بالواسطية ٦
مقدمة الشـارح ٧
الكلام على البسملة ٨
لفظ الجلالة الله ١٠
الفرق بين الحمد والشكر، وبين الحمد والمدح ١٥
كل رسول نبي ولا عكس ١٦
معنى الهدى ١٨
معنى الشهادة ٢١
معنى العبادة ٢٣
معنى الصلاة ٢٤
معنى السلام ٢٦
الفرقة الناجية المنصورة ٢٧
المراد بأهل السنة والجماعة ٢٩
أركان الإيمان الستة ٣٠
الملائكة، الكتب ٣٤
الرسل ٣٥
البعث ٣٦
الفلاسفة ٣٦
القدر ٣٧
التحريف، التعطيل ٤٢
الفرق بين التحريف والتعطيل، معنى التفويض ٤٣
الفرق بين التكييف والتمثيل ٤٤
معنى الإلحاد في أسماء الله ٤٦
قياس التمثيل ٤٨

قياس الشمول، قياس الأولى..... ٤٩
قاعدة الكمال..... ٥٠
دلالة الكلام على المعاني..... ٥١
الإجمال في النفي، التفصيل في النفي، الإجمال في الإثبات ٥٣
التفصيل في الإثبات ٥٤
توحيد الإثبات..... ٦١
معنى الصمد..... ٦٢
توحيد التنزيه ٦٣
معنى القيوم..... ٦٧
إثبات الشفاعة الصحيحة، إبطال الشفاعة الشركيَّة، معنى الكرسي ٧٥
أنواع العلو، معنى الأول والآخر والظاهر والباطن ٧٩
إثبات اسم الحي، إثبات صفة العلم ٨١
إثبات اسمه الحكيم، إثبات اسمه الخبير ٨٢
كتاب الحيدة ٨٤
إثبات اسمه الرَّزَّاق..... ٨٦
إثبات اسمه القوي، إثبات اسمه المتين..... ٨٨
إثبات اسمي السميع والبصير..... ٨٩
إثبات صفتي الإرادة والمشيئة ٩٠
الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية..... ٩٣
إثبات صفة المحبة ٩٥
معنى الإحسان، معنى الإقساط..... ٩٧
شرط محبة الله ٩٩
إثبات اسمي الغفور والودود، إثبات صفتي الرحمة والعلم ١٠٠
إثبات صفتي الحافظ والحفيظ..... ١٠٢
إثبات صفات الرِّضا، والغَضَب، واللَّعنُ، وَالكُرهِ، والسَّخط، والمَقْت، والأَسَف ١٠٢
معنى الرضا..... ١٠٣
معنى اللعن ١٠٤
معنى الأسف والانتقام، إثبات صفتي الإتيان والمجيء ١٠٧
إثبات صفة الوجه..... ١٠٩

إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه ١١١
إثبات صفة العين..... ١١٧
إثبات صفات السمع والبصر والرؤية ١١٩
إثبات صفتي المكر والكيد ١٢٣
تفسير مكر الله ١٢٤
إثبات صفة العفو، معنى العَفُوّ..... ١٢٦
إثبات صفة العزة..... ١٢٧
معنى العزة..... ١٣٠
صفات السلوب، معنى السَّمِيّ، معنى الند ١٣٢
تسبيح الجمادات التي لا تنطق، معنى تبارك ١٣٤
قياس الأولى ١٣٧
حرمة القول على الله بلا علم..... ١٣٨
إثبات صفة الاستواء ١٤٠
جواز السؤال بـ(أين الله؟)..... ١٤١
إثبات صفة العلو..... ١٤٣
إثبات صفة المعيَّة ١٤٦
إثبات صفة الكلام ١٤٨
القرآن كلام الله ١٥٢
إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة في الجنة ١٥٤
مباحث عامَّة حول آيات الصفات، صفات ذاتيَّة ١٥٨
صفات فعليَّة..... ١٥٩
أحاديث الصفات ١٦١
موقف أهل البدع من السنة ١٦٢
أثبات صفة النزول ١٦٣
إثبات صفة الفرح ١٦٦
إثبات صفة الضحك ١٦٨
إثبات صفة العجب ١٧٠
إثبات الرجل والقدَم ١٧٣
إثباتُ القول والنداء والتكليم لله عز وجل..... ١٧٤

إثبات العلو والفوقية ١٧٨
إثبات صفتي المعية والمراقبة ١٨١
إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة في الجنة ١٨٣
أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق، معنى الوسطية ١٨٥
أفعال العباد ١٨٨
معنى الإرجاء ١٨٩
موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة ١٩٣
إثبات صفة الاستواء على العرش ١٩٣
إثبات قرب الله ومعيته ١٩٦
القرآن كلام الله ١٩٨
رؤية أهل الموقف ربهم ٢٠٠
الإيمان بفتنة وعذاب القبر ٢٠٢
فتنة القبر، عذاب القبر ونعيمه ٢٠٤
الإيمان بالقيامة ٢٠٥
النفخ في الصور ٢٠٦
الحشر ٢٠٩
نصب الموازين ٢١١
الإيمان بالحساب ٢١٣
العرض ٢١٤
صفة الحوض ٢١٦
صفة الصراط ٢١٩
أول الناس دخولًا الجنة ٢٢٣
أنواع الشفاعات ٢٢٥
معنى الشفاعة ٢٢٦
الشفاعة الأولى ٢٢٧
الشفاعة الثانية، الشفاعة الثالثة ٢٢٨
الإيمان بالقدر ٢٣٠
العرش والقلم ٢٣٣
أفعال العباد ٢٣٧

القدر وأفعال العباد، الضلال في القدر ٢٣٩
تعريف الإيمان ٢٤١
الإيمان والإسلام ٢٤٦
حب الصحابة ٢٤٧
التفضيل بين الصحابة ٢٤٨
تقديم المهاجرين على الأنصار ٢٤٩
المبشرون بالجنة ٢٥٢
الخلفاء الراشدون ٢٥٦
مسألة الخلافة ٢٥٨
حب آل البيت ٢٥٩
من هم أهل بيت النبي ﷺ ٢٦١
حب أمهات المؤمنين ٢٦٣
موقف الروافض والنواصب من الصحابة ٢٦٦
الصحابة غير معصومين، الصحابة خير القرون ٢٦٦
موقف أهل السنة والجماعة من النزاع بين الصحابة ٢٦٨
التصديق بكرامات الأولياء، الفرق بين المعجزة والكرامة ٢٧٠
طريقة أهل السنة الاتباع لا الابتداع ٢٧٢
منهج أهل السنة والجماعة ٢٧٣
جماع مكارم الأخلاق ٢٧٤
أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة هم الطائفة المنصورة ٢٧٧
فهرس الأحاديث القولية ٢٨٠
المحتويات ٢٨٤